## إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

**دور سلاح الرعب في سياسة المغول العسكرية اتجاه العالم الإسلامي**

(615 – 658هـ/1218 – 1260م)

The role of Horror In the Mangoli military policy

(AD / 615 – 658 AH 1260 -1218)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: أحمد محمد عطية الداهوك

Signature التوقيع:

Date: التاريخ: 2015/5/7

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم التاريخ والآثار

# دور سلاح الرعب في سياسة المغول العسكرية اتجاه العالم الإسلامي

# (٦١٥ – ٦٥٨هـ/١٢١٨ – ١٢٦٠م)

# The role of Horror In the Mangoli military policy in The Islamic World

# (1218- 1260 AD /615 – 658 AH)

إعداد الطالب:

**أحمد محمد الداهوك**

اشراف الدكتور:

**غسان محمود وشاح**

**قُدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير**

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم.....ج.س.غ/35/..... Ref

التاريخ 2015/04/29م..... Date

# نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **احمد محمد عطية الداهوك** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

## دور سلاح الرعب في سياسة المغول العسكرية اتجاه العالم الإسلامي

## 615-658هـ = 1218-1260م

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 10 رجب 1436هـ، الموافق 2015/04/29م الساعة الحادية عشرة صباحًا بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

| | | |
|---|---|---|
| د. غسان محمود وشاح | مشرفاً ورئيساً | ..... |
| أ.د. رياض مصطفى شاهين | مناقشاً داخليًا | ..... |
| د. عبد الحميد جمال الفراني | مناقشاً خارجيًا | ..... |

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ**.

**واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.**

**والله ولي التوفيق ،،،**

**مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا**

**أ.د. فؤاد علي العاجز**

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

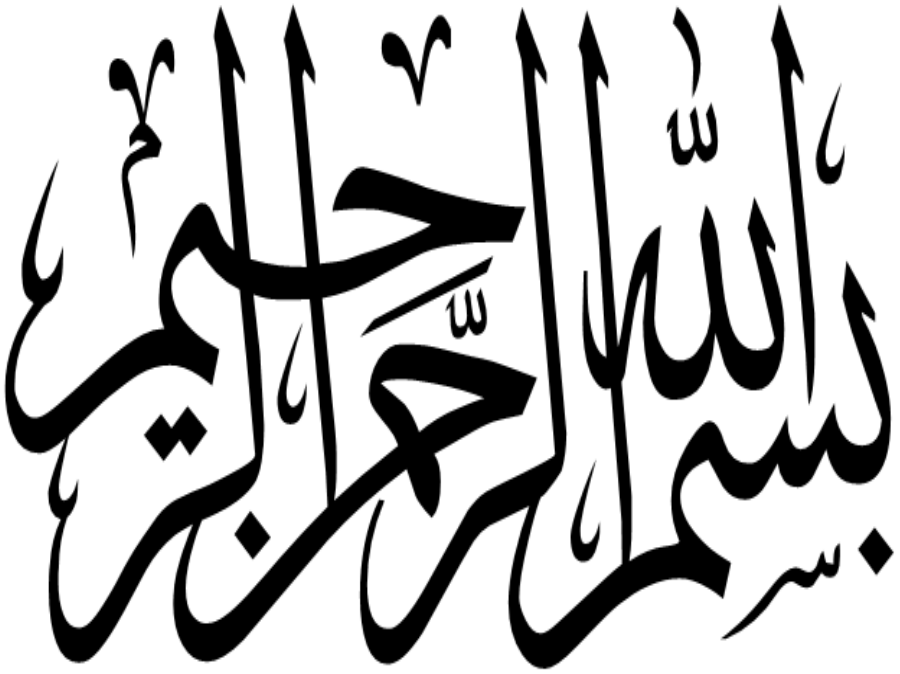
بسم الله الرحمن الرحيم

## إهداء

إلى والدي حفظهما الله....

إلى أساتذتي الكرام...

إلى إخوتي...

إلى الأصدقاء، والأهل جميعاً....

إلى كل العاملين من أجل النهوض بأمتنا من جديد...

إلى ذلك القائد الذي سيُعيد أقصنا المبارك...

إلى أبطال المقاومة الفلسطينية المباركة...

إلى أنصار الحق في مشارق الأرض ومغاربها...

الباحث

أحمد محمد الداهوك

# شـــكـــــر وعـــرفـــان

لابد لي في هذه المناسبة، وبعد أن مَنَّ الله عليَّ أن أشكر كل من كان له فضلٌ عليَّ بعد الله –تعالى–استجابةً لحديث رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم–"لا يشكر الله من لم يشكر الناس"؛ لذلك أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الذي تشرفت به الدكتور الفاضل والأخ الحبيب غسان محمود وشاح –حفظه الله ورعاه–له مني كل حب ووفاء على ما بذله من جهد وإرشاد.

ولا أنسى أن أشكر من أشغلتهم وأتعبتهم غير أنهم ومع ذلك لم يبدوا إلا كل تقدير، وإعجاب، وتشجيع إخواني الكرام عادل أبو حطب، وحسن غانم الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي؛ ذلك حين كسر حاجز المكان، وأحضر لي بعض أهم المصادر التي اعتمد عليها بحثي المتواضع من جمهورية مصر العربية، كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ أحمد المدهون، والأستاذ أبو هادي حمادة، والأخ الحبيب أبو جعفر سلمن، وكل من شجعني ووقف بجانبي. بارك الله في الجميع، وأعانني الله على حفظ ودكم، وما أسديتموه لي من معروف، وجميل، لكم مني إخواني كل حب وتقدير.

الجامعة الإسلامية الغراء سأبقى أحد أبنائك الأوفياء لقد غرستي فيَّ بعد حب الله حبك، وحُبَ من التقيتهم فيكِ فأنِست بهم حياتي أساتذتي الأكارم في قسم التاريخ والآثار أعلام العلم، أخص بالذكر الدكتور القدير زكريا إبراهيم السنوار، والدكتور أحمد محمد الساعاتي، والدكتور سامي حمدان أبو زهري، والدكتور رياض مصطفى شاهين، والدكتور خالد الخالدي، والدكتور إبراهيم أبو شبيكة؛ فجزاكم الله عني وعن المسلمين خيراً.

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى مَنْ تَكَرَمَ عليَّ بقبول مناقشتي الأستاذ الدكتور والمربي الفاضل رياض مصطفى شاهين، والدكتور عبد الحميد الفراني حفظهما الله تعالى.

ومن الواجب عليَّ كذلك أن أسجل كل حب إلى كل أحبابي الذين لم ينسوني من دعائهم أبداً خلال مسيرتي الدراسية، ولا ينبغي أن أنُهي شكري دون أن أشكر القائمين على المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية على سعة صدرهم، وتحملهم جزاكم الله خيراً.

# المحـــــتـــويــات


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ١ |
| الفصل الأول: الاستراتيجية العسكرية للمغول وأهمية سلاح الرعب | ٣ |
| أولًا: حال العالم الإسلامي وقت ظهور المغول | ٤ |
| ثانيًا: أهمية سلاح الرعب، ودوره في صناعة الأحدث التاريخية | ١٧ |
| ثالثًا: ظهور القوة المغولية، وتشكلها | ٢٨ |
| رابعًا: الاستراتيجية العسكرية للمغول | ٣٦ |
| الفصل الثاني: وسائل المغول في إيقاع الرعب في نفوس خصومهم | ٤٥ |
| أولًا: الوسائل المعنوية | ٤٦ |
| ثانيًا: الوسائل العسكرية | ٦٦ |
| الفصل الثالث: آثار سلاح الرعب على العالم الإسلامي قبل وبعد عين جالوت | ٨٣ |
| أولًا: آثار سلاح الرعب على المسلمين قبل عين جالوت | ٨٤ |
| ثانيًا: بروز قوة المماليك في العالم الإسلامي | ٩٥ |
| ثالثًا: معركة عين جالوت، وموقع سلاح الرعب منها | ١٠٢ |
| الخاتمة ونتائج الدراسة | ١٢٢ |
| الملاحق | ١٢٤ |
| المصادر والمراجع | ١٤١ |
| Abstract | ١٦٤ |

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المقدمة:

الحمد الله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما ينبغي لجلال ربنا وعيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير من صلا وصام محمد –صل الله عليه وسلم–أما بعد:

لقد شكل ظهور المغول رعبًا عمَّ العالم بأسره؛ وذلك لأنهم استخدموا سلاحًا فتاكًا، فانتهجوا سياسة الأرض المحروقة، فدمروا المدن، وأحرقوا القرى، وارتكبوا أبشع المذابح في كبريات الحواضر والمدن، مثل بخارى، وسمرقند، وبغداد...

لقد استطاع المغول بناء أكبر الإمبراطوريات على مر التاريخ؛ على أنقاض كبرى الدول، وأعظم المدن والحواضر التي انهارت أمامهم، وانفرط عقدها "المتين" تحت سنابك خيولهم.

من أجل ذلك سيتناول هذا البحث، دراسة تحليلية لسلاح الرعب الذي استخدمه المغول في تحقيق استراتيجيتهم العسكرية، إذ سيتم التركيز خلال هذا البحث على الأسباب، والآليات، وأهم الآثار المترتبة على استخدام المغول لهذا السلاح؛ والتي جعلت من المسلمين في ذلك الزمان أذلاء بعد عزّة، وضعفاء بعد قوة، وفقراء بعد غنى، وعبيدًا بعد حريةٍ وشرف.

وهنا يجب أن أعترف أن هناك عديد الأسباب التي دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع المهم والخطير لعل أبرزها:

١. ندرة الدراسات العلمية الجادة في هذا الموضوع.
٢. تنبيه قادة الأمة إلى أهمية سلاح الرعب، ودوره في حسم المعارك، وبيان سبل مواجهته.
٣. محاولة التعرف على أهم الطرق والوسائل التي استخدمها المغول؛ لبث الرعب في نفوس خصومهم.
٤. أهمية هذا السلاح وأثره على العالم الإسلامي.
٥. بعث الأمل، في نفوس اليائسين من أبناء هذه الأمة؛ وذلك من خلال وصف الدواء والعلاج التاريخي للمرض.

وقد جاء البحث في مقدمة، وثلاث فصول، وخاتمة. أما المقدمة فقد تضمّنت لمحة موجزة عن الموضوع، والأسباب التي دفعت الباحث لدراسته.

وفي الفصل الأول تناول الباحث الاستراتيجية العسكرية للمغول، وأهمية سلاح الرعب.

وقد بحث الفصل الثاني وسائل المغول في بث الرعب في نفوس خصومهم.

أما الفصل الثالث فقد سلط الضوء على أبرز آثار سلاح الرعب على المجتمع الإسلامي قبل وبعد معركة عين جالوت الفاصلة.

وأخيرًا انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

أما عن منهج البحث الذي اعتمده الباحث في هذه الدراسة فقد كان منهج البحث الوصفي التحليلي التاريخي.

وإذا أردنا الحديث عن أبرز المشاكل التي واجهتني خلال الدراسة، فإن افتقار المكتبات الفلسطينية إلى أبرز المصادر التي عُنيت بدراسة تاريخ المغول هي أبرزها، إلا أن الله سخر لي أخوه أفاضل ساعدوني على توفير بعض المصادر الهامة من خارج حدود فلسطين، ما أسهم في إنجاز وإنجاح هذا البحث المتواضع.

# الفصل الأول

## الاستراتيجية العسكرية للمغول، وأهمية سلاح الرعب

**أولًا: حال العالم الإسلامي وقت ظهور المغول**

**ثانيًا: أهمية سلاح الرعب، ودوره في صناعة الأحداث التاريخية**

**ثالثًا: ظهور القوة المغولية، وتشكّلها**

**رابعًا: استراتيجية المغول العسكرية**

## أولًا: حال العالم الإسلامي وقت ظهور المغول

في الوقت الذي ظهرت فيه القوة المغولية مع بداية القرن السابع الهجري "الثالث عشر الميلادي"[١] تحديدًا سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م كان هناك عدة عوامل ساعدت، بل كانت سببًا مباشرًا في ظهورها أولى هذه العوامل وأهمها الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي في ذلك الوقت، يقول سبط ابن الجوزي: " كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة وستمائة"[٢]، وقتذاك كان العالم الإسلامي يعيش في حالة كبيرة من التشتت والضياع والتناحر[٣]، حيث انقسم العالم الإسلامي إلى مجموعة من الدول والممالك، والتي هي كالتالي:

**١. الخلافة العباسية:**

لقد امتازت خلافة بني العباس باعتمادها على العناصر غير العربية، حيث كان لقادتهم من غير العرب مكانة بارزة في تاريخ خلافتهم[٤]، بل إنَّ الدعوة العباسية ذاتها جعلت وجهتها حين نشأتها في بلاد غير العرب (الفرس) في خراسان[٥]، حيث إنَّ إمام العباسيين محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاته حين أرسلهم بالدعوة إلى خلافة بني العباس: " عليكم بخراسان فإن هناك الصدور السليمة والقلوب الفارغة التي لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل"[٦].

لقد خلق هذا الأمر تنافسًا شديدًا بين العرب وغيرهم من الأقوام التي كانت تحت سلطة الخلافة العباسية، مما أدخل على الأخيرة الضعف والوهن، إذ ليس من السهل أن يرى العرب الأمر خارج أيديهم بعد أن كان فيهم وإليهم منذ عصر الخلافة الراشدة.

صارت الخلافة لبني العباس، الذين أدركوا منذ بداية حكمهم التحدي الذي يمثله نفوذ أعوانهم من العناصر غير العربية[٧]، خاصة وأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم السبب الرئيس في وجود بني

---

(١) النسوي: محمد، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٣.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣١.

(٣) انظر العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٤؛ انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٢؛ آل ياسين، محمد: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني، ص١١؛ انظر الملحق رقم (٨).

(٤) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٣، ص٢٨٥.

(٥) خراسان: كلمة مركبة من «خور»، أي: شمس، و«أسان» ، أي: مشرق، كانت مقاطعة كبيرة من الدولة الإسلامية تتقاسمها اليوم إيران الشرقية «نيسابور» ، وأفغانستان الشمالية (هراة وبلخ) ، تركمانستان (مرو)؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠؛ شُرَّاب، محمد: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص١٠٨.

(٦) مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٢٠٦.

(٧) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٧٦.

العباس في الخلافة، فقد جاء على لسان أبي مسلم الخراساني[١] أنه قال: " هذه الدولة – الدولة العباسية –أنا أظهرتها فإن لزمت معي ما يلزمه التابع للمتبوع وإلا أعدتها فاطمية"[٢].

في بادئ الأمر كان باستطاعة خلفاء بني العباس السيطرة على مقاليد الخلافة، وقطع دابر كل طامع فيها[٣]، لكن الداء لا يثبت على حاله إنّما شأنه أن يزيد وينتشر ما لم يوجد علاج مناسب له، وهذا ما كان إذ زاد نفوذ الوزراء والقادة الترك في عهد المعتصم بالله العباسي[٤]، وزاد تغلغلهم حتى سيطروا على جميع مفاصل الدولة، بل أصبح لهم الأمر في تولية الخلفاء[٥]، ويعد هذا منعطفًا خطيرًا في تاريخ الدولة العباسية شعر به المتوكل نفسه فحاول التخلص منهم، حيث قام بقتل الأمير إيتاخ التركي –مقدم الجيوش العباسية وكبير الدولة–[٦]، ثم لما شعر بقوة الترك وسلطانهم خرج إلى دمشق؛ ليجعلها له عاصمة بدلًا من بغداد[٧]، أدرك الأتراك ما يريد المتوكل بهم فقتلوه قبل أن يقتلهم[٨] ويكرر بهم ما فعله هارون الرشيد بالبرامكة[٩]، وبذلك يكون عهد خلفاء بني العباس العظام قد انتهى إذ اجتراء مماليكهم عليهم بالضرب والقتل[١٠]، ثم سيطر بني بويه[١١]على مقاليد الحكم في بغداد والعراق –بلاد الخلافة– وقتذاك الزمان سيطرة تامة، إذ بات

---

(١) هو عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان الخراساني قام بأمر الدعوة العباسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شذوس بن جودرن من ولد بزرجمهر بن البختكان الفارسي، قال له إبراهيم الإمام بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: غير اسمك فما يتم لنا الأمر حتى تغير اسمك، فسمى نفسه عبد الرحمن؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٥.

(٢) ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٦١.

(٣) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٢٤٩؛ أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ج٢، ص١٦.

(٤) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٥٩؛ الجوزي: المنتظم، ج١١، ص١٥٥.

(٥) لما مات الواثق العباسي اجتمع وصيف التركي، وأحمد بن أبي داود، ومحمد بن عبد الملك، وأحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير، وعمر بن فرج فولوا المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم بالله العباسي؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٣٣١؛ انظر ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٣٧.

(٦) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٢، ص٢٧٨؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج١، ص٣٢٧.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣٣.

(٨) لما قدم المتوكل ابنه المعتز على ابنه محمد المنتصر حقد الأخير على والده واتفق مع القواد الأتراك على الخليفة وهذا ما كان؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٢، ص٣٢٤.

(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٦٣٩.

(١٠) انظر ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٤٠.

(١١) بني بويه: ينسبون إلى بهرام جور الملك ابنِ يزدجرد، اتسعت دولتهم فضمت أعمال الري والجبل وأصبهان وفارس والأهواز والعراق، وكان يحمل إليهم ضمان الموصل وديار مضر وربيعة من الجزيرة، وامتد زمان دولتهم=

خلفاء بني العباس لا يملكون من أمرهم شيئًا[١]، ولم تأتِ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م إلا وقد قضى السلاجقة على البويهيين وحلوا محلهم[٢].

هكذا كان حال الخلافة العباسية غاية في الضعف والتفكك والانحدار، لم يكن فيها للخلفاء غير اسمهم، كما قال الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعِهَا ... كالهر يحكي انتفاخًا صَوْلَةَ الأسدِ[٣]

**٢. الدولة الخوارزمية:**

ينسب الخوارزميون إلى أحد مماليك السلاجقة وهو أبو شكين الذي اشتراه الأمير السلجوقي تلكاتك من أهل غرشستان[٤]، وكان فيه- أبو شكين- نجابة فارتقى بنفسه، وكان له ولد اسمه محمد اعتنى به عناية خاصة حتى كبر وولي خوارزم ولُقب بخوارزم شاه، فأحسن تدبير ولايته وأجاد[٥]، تولى بعده أتستز بن محمد، وكان على شاكلة أبيه إلا أن علاقته مع سلطان السلاجقة آنذاك السلطان سنجر السلجقي ساءت حتى وصل الأمر للقتال، ولما وجد أتستز أنه لا قدرة له في حرب السلطان استعان بالخُطا[٦] وأعاد سيطرته على البلاد وذلك سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، وبذلك يكون الخوارزميين قد انفصلوا عن السلاجقة، ورغم أن أيل أرسلان بن اتسز بن محمد أرسل إلى سنجر السلجوقي وبذل له الطاعة، إلا أنّه لمّا مات أيل، وولي بعده ابنه شاه محمود بن ايل أرسلان، لم يرضَ بهذا أخاه الأكبر علاء الدين تكش، الذي استعان بالخطا على أخيه؛ فكانت له ولاية خوارزم[٧]، ثم علا شأنه وملك البلدان الكثيرة؛ حتى أنّه قضى على آخر ملوك السلاجقة

---

= من ٣٢١ هـ-٤٤٧هـ/٩٣٢-١٠٥٥م، وكان فيهم تشيع شديد، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٥، ص١٨٧، ١٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٢٨؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٥٦٣.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٧٣، ١٨٢؛ انظر أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٩٤؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٤، ص٧٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج، ص٦٠٩؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٢٦٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٢٥، ١٢٨.

(٣) بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٥٩.

(٤) غرشستان: بلاد واسعة كثيرة القرى، الغور في شرقيها وهراة في غربيها، ومرو الروذ في شمالها وغزنة في جنوبها، هي أفغانستان الحالية؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٢٥؛ معجم البلدان، ج٤، ص١٩٣؛ الصلابي، علي: دولة المغول والتتار، ص١٠١.

(٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٢٢، ٢٣.

(٦) الخطا: "بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل" تقع الى جوار الصين من مدينة الخنسا إلى مدينة خان بالق قوم يسكن بها قوم من الترك؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٤، ص١٥١؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص١٣١.

(٧) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، ص ١٩٧- ٢٠٢.

طغرل الثالث[١]، وبعد وفاة تكش ملك ابنه علاء الدين محمد، وكان على درجة من القوة والسلطان، إذ يقول ابن الأثير في حقه: "حتى اتسع ملكه، وعظم محله، وأطاعه العالم بأسره، ولم يملك بعد السلجوقِية أحد مثل ملكه، فإنه ملك من حد العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة، وبعض الهند، وملك سجستان، وكرمان، وطبرستان، وجرجان، وبلاد الجبال، وخراسان، وبعض فارس، وفعل بِالخُطا الأفاعيل العظيمة، وملك بلادهم"[٢]، يظهر من خلال هذا الاستعراض لتاريخ الخوارزميين أنهم كانوا على حال جيدة من القوة قبل الغزو المغولي لبلادهم.

**٣. الدولة الأيوبية:**

لقد كانت وفاة صلاح الدين الأيوبي ٥٨٩هـ/١١٩٣م[٣] نقطة فارقة في تاريخ دولة بني أيوب إذ أن تلك المملكة الواسعة التي تشمل مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام والجزيرة الفراتية في عهد صلاح الدين بدأت بالانقسام على ذاتها إلى خمسة عشر قسمًا[٤]، ودبّ الخلاف والشقاق بين أبناء صلاح الدين[٥]، فاستغل الملك العادل –أخو صلاح الدين–الأمر، وبدأ بتنفيذ مخططه وهو الاستيلاء على الملك، حيث قال بعد سيطرته على مصر: "الملك ليس هو بالإرث وإنما هو لمن غلب وأنه كان يجب أن أكون بعد أخي الملك الناصر صلاح الدين"[٦]، لقد استطاع العادل أن يوحّد أجزاء كبيرة من الدولة، رغم ذلك كله لم يسيطر العادل

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٣.

(٣) أبي شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١، ص٣٠

(٤) حيث استقر الملك الأفضل نور الدين علي بدمشق، وملك العزيز عماد الدين عثمان مصر، فيما كانت حلب للظاهر غياث الدين غزي، أما اليمن فكانت من نصيب الملك العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ابن أيوب، أما الكرك والشوبك والبلاد الشرقية فكانت للملك العادل سيف الدين بن أيوب، أما حماة والمعرة ومنبج وقلعة نجم فهي للملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين، وكانت حمص والرحبة وتدمر من نصيب أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه، فيما ملك بعلبك وأعمالها الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فخرشاه ابن شاهنشاه بن أيوب، أما بصرى فهي بيد الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين وهو في خدمة الأفضل، فيما توزع عدد من البلاد الحصون على جماعة من الأمراء وهم:
سابق الدين عثمان بن الداية بيده شيزر وأبو قبيس، أما ناصر الدين منكورس بن خمارتكين فبيده صهيون وحصن برزية، فيما كانت تل باشر مع بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق، وعز الدين أسامة بيده كوكب وعجلون، وعز الدين بن إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده كفر طاب وحصن أفامية، أما بلاد الموصل فكانت في عقب عماد الدين زنكي وكان عليها آنذاك أرسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكي بن أقسنقر؛ ابن واصل: مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب، ج٣، ص٣، ٤؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٨٨.

(٥) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٠٨.

(٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٢٦٤.

على كل ما خلفه صلاح الدين سيطرة تامة[١]، بل كثيرًا ما خضعت له البلاد خضوعًا شكليًا لا أكثر ولا أقل[٢]، بل وصل الحد ببعض المؤرخين أن يصفوا الوحدة الإقليمية التي حققها العادل الأيوبي بالهشة[٣]؛ حتى أن العادل نفسه كان يشعر بضعفه، حيث أنه لما برز الفرنج من عكا رحل العادل من نابلس إلى بيسان لكثرة جيوش الفرنج، فقال له ابنه المعظم عيسى: "إلى أين يا أبه؟ " قال العادل لابنه: "بمن أقاتل أقطعت الشام مماليكك، وتركت من ينفعني من أبناء الناس الذين يرجعون إلى الأصول" [٤] وبعد العادل فسد حال الأيوبيين وعادوا إلى المنازعات والخلافات، بل وصل بهم الحد إلى أن استعانوا بالصليبيين على بعضهم البعض، وفي هذا الموقف يذكر استدعاء الملك الكامل الأيوبي سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م الإمبراطور الألماني فردريك الثاني على أخيه المعظم عيسى، على أن يُعطيه ما بيد المسلمين من بلاد الساحل [٥].

هكذا بدت مملكة بني أيوب بعد صلاح الدين الأيوبي فقدان للهدف الذي رسمه مؤسس الدولة الملك الناصر صلاح الدين، وتشتت وخلاف ينم عن سخافة رأي، وانحطاط فكر.

---

(١) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٩٨، ٩٩، ١٢٩، ١٣١، ١٥٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب، ج٣، ص١١٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٣؛ الصياد، عبد المعطي: المغول في التاريخ، ص٨٨.

(٣) قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٩٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٣.

(٥) انظر اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٢٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٦٤.

### ٤. الطائفة الإسماعلية:

يعد الحسن بن الصباح[١] الزعيم الحقيقي للطائفة الإسماعلية[٢] والتي عرفت بعدة أسماء[٣] منها الباطنية[٤]، والحشاشين[٥]، والملاحدة[٦] وانتشرت في بلاد العراق وفارس، فسيطرت على العديد من القلاع والحصون التي كان أهمها قلعة أَلَموت الحصينة[٧]، والتي كانوا قد استولوا عليها سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[٨]، ومع انشغال خلفاء السلطان السلجوقي ملكشاه بأنفسهم استفحل شأن الإسماعلية وأصبح لهم في قلوب الناس رهبة ومهابة[٩]، يذكر ابن الطقطقي ذلك فيقول: " حدّثني الملك إمام الدين يحيى بن الافتخاريّ قال: أذكر ونحن بقزوين[١٠] إذا جاء الليل جعلنا

---

(١) الحسن بن الصباح: أصله من مرو كان كاتبا للأمير عبد الرزاق بن بهرام، سار إلى مصر وهو صبي، حيث تلقى فيها تعاليم المذهب الشيعي، حيث أنه التقى المستنصر بالله الفاطمي، وطلب منه إقامة الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فأذن له في ذلك، فعاد ودعا إليه سراً، وقال للمستنصر: من إمامي بعد؟ فقال: ابني نزار. والإسماعيلية يعتقدون إمامة نزار؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٦٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٧٧٥.

(٢) الإسماعلية: وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل؛ الأسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص٣٨؛ الشيخ، ناصر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ج٣، ص٩١٣.

(٣) انظر الطوسي: سياست نامه، ص٢٨٣.

(٤) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٣٦٩؛ الباطنية: من غلاة الشيعة، وسموا بذلك لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون؛ الطوسي: فضائح الباطنية، ص٢؛ الأسفراييني: الفرق بين الفرق، ص٢٦٩.

(٥) والحشاشين: لفظ أطلق على طائفة الإسماعيلية الذين نشؤوا في قلعة الموت؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٢٨١.

(٦) الملاحدة: سموا بذلك لأنهم قالوا بترك الإسلام جملة قائلين بالمجوسية المحضة، ثم اعتنقوا مذهب مردك الموبذ الذي كان على عهد أنوشروان بن قيماً ملك الفرس؛ القرطبي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٩١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص١٦.

(٧) ألموت: قلعة حصينة من ناحية روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قلة جبل، وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها؛

(٨) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج٢، ص٢١٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٢، ص٣٢٣؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٣.

(٩) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٣٦٨، ٣٦٩.

(١٠) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرّيّ سبعة وعشرون فرسخا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخاً، وهي في الإقليم الرابع، وراء نهر جيحون، طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٢؛ ابن شمائل: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج٣، ص١٠٨٩؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٢٠.

جميع مالنا من أثاث وقماش ورحل في سراديب لنا في دورنا غامضة خفية، ولا نترك على وجه الأرض شيئًا، خوفًا من كبسات الملاحدة، فإذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا، فإذا جاء الليل فعلنا كذلك"[١]، ومع ازدياد حالة الشقاق التي اجتاحت العالم الإسلامي في تلك المرحلة قام الولاة والحكام المسلمين بتسليط أفراد هذه الطائفة على بعضهم البعض، ففي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م أوعز إليهم السلطان السلجوقي مسعود بقتل الخليفة العباسي المسترشد بالله، وهذا ما فعلوه لعنهم الله؛ إذ أنهم قتلوه، ومثلوا به أبشع تمثيل[٢]، ثم جاء الخليفة الناصر ليستعين بهم على الخوارزميين الذين كانوا يرمون ليكون لهم ما كان للسلاجقة قبل ذلك من السيطرة على بغداد والخلافة العباسية[٣]، فأوعز إليهم بقتل أغلمش الأتابكي –نائب السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه ببغداد–[٤]، لكن أخطر ما اتبعه الإسماعلية من أساليب كان أسلوب الاغتيالات التي كانت تتم بحق عظماء القادة المسلمين فكان ممن ذهب ضحية حقدهم نظام الملك أبي علي الحسن بن إسحق الطوسي أعظم وزراء السلاجقة[٥]، فحزن المسلمون لفقده، وقال الشعراء في نعيه شعرًا، فمن أجود ما قيل قول مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الذي قال:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ثمينة صاغها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرة منه إلى الصدف[٦]

وبذلك يظهر أن طائفة الإسماعلية كانت من أبرز العوامل التي ساعدت في تشرذم الأمة وضياعها وضعفها في تلك الحقبة التاريخية المهمة.

---

(١) الفخري: الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٣٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٣٠٥.

(٣) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٤٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٢.

(٤) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٥٢.

(٥) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٢٠٠.

(٦) أبي شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ص١٠٠.

**٥. دولة الموحدين:**

هي دولة أسسها محمد بن تومرت[١] وامتد سلطانها إلى المغرب والأندلس[٢]، لكن هذه الدولة الفتية التي حققت انتصارًا كبيرًا في معركة الأرك الشهيرة[٣] عام ٥٩١هـ/١١٩٤م[٤] ساءت أحوالها كثيرًا بعد ذلك، وخاصة بعد واقعة العقاب الشهيرة سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م[٥].

**٦. العلاقة بين الدول الإسلامية إبان الغزو المغولي:**

كانت العلاقة بين الدول الإسلامية إبان الغزو المغولي للعالم الإسلامي تتسم بالتوتر والاضطراب، على سبيل المثال معارك السلطان محمد بن خوارزم شاه مع السلطان شهاب الدين الغوري، وكيف استعدى القراخطائين الكفار على الغوريين المسلمين طلبًا للحكم والسلطة[٦]، وكذلك كان الحال بين الخلافة العباسية والسلاجقة؛ إذ بلغ غاية السوء حين حاول السلطان طغرل الثالث بن أرسلان السلجوقي–آخر سلاطين السلاجقة– استرداد سلطة السلاجقة على بغداد، واخضاع الخليفة العباسي الناصر لدين الله لسلطانه[٧]، حيث أرسل الخليفة إلى خوارزم شاه تكش يستنجده على طغرل بك آخر سلاطين السلاجقة، ويعده إن قضى عليه بأن يقطعه البلاد، وهذا يعني أنَّ خوارزم شاه ينال إنْ هو تمكن من هزيمة طغرل بك ما كان يتمنه كل ملك من ملوك المسلمين في ذلك الزمان، وهو أن يصبح هو المتحكم الجديد في سياسة الخلافة العباسية يرسم ويأمر وينهى

---

(١) ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسيني من قبيلة من المصامدة، من أهل جبل السوس، من بلاد المغرب، رحل ابن تومرت إلى بلاد المشرق في طلب العلم، وأتقن علم الأصولين والعربية، والفقه والحديث، وعاد إلى بلاد المغرب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان بن تومرت يزعم أنه مأمور بنوع من الوحي والإلهام ينكر كتب الرأي والتقليد، وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزعة خارجية، وكان ينتحل القضايا الإستقبالية ويشير إلى الكوائن الآتية؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٢؛ انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٢٤٥–٢٤٨؛ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، ص٩٥.

(٢) الزكشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص٥٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٢٤٥–٢٤٨.

(٣) موقعة الأرك: انتصر فيها المنصور الموحدي، وهو أبو يوسف يعقوب بن أبي يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، القيسي الكومي سنة ٥٩١هـ على صاحب قشتالة وجموع النصارى التي معه في الأندلس؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص٣.

(٤) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٠٦؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٧١.

(٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص٢٥١، ٢٣٣؛ بقرب من مدينة جيان بالأندلس، التقى النصارى بالمسلمين بموقع يُعرف بالعقاب، قرب حصن يسمى بحصن سالم، وكانت الهزيمة في تلك المعركة للموحدين؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٣٥.

(٦) الحموي: التاريخ المنصوري، ص٤٦ – ٤٨.

(٧) العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٤.

كما يريد، فحكم بغداد في ذلك الزمان أمنية الأماني، سار خوارزم شاه تكش إلى الحرب؛ والتقى العسكران قرب الري، فحمل طغرل بنفسه وسط عسكر خوارزم شاه، وكان فيه شجاعة، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه، وقتلوه في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول، وحُمِلَ رأسه إلى خوارزم شاه؛ الذي أرسله بدوره إلى بغداد، لينصب بباب النوبي–أحد أبواب بغداد– عدة أيام[١]، هذا الحال من الوفاق بين العباسيين والخوارزميين لم يصمد طويلًا، فكل قوة إسلامية تسعى لإخضاع الأخرى ليس عجبًا فالأمة تعيش حالة من الشقاق والخلاف، ففي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م قصد السلطان علاء الدين خوارزم شاة محمد بن تكش بغداد بأربعمائة ألف، وقيل بستمائة ألف مقاتل، حيث طلب من الخليفة أن ينصاع له ويخضع كغيره من الملوك والحكام، وهذا ما رفضه الخليفة العباسي بالطبع، واستعد لملاقاة خصمه بكل ما أوتي من قوة [٢]، لم يكن الحال كذلك فحسب بل كان المسلم يفعل بأخيه المسلم أكثر مما يفعل الكفار إذ كان يُنزل على إخوانه بطشه وبأسه، بل ويُحالف الكفار ضد إخوانه المسلمين، ويهب لهم أرضهم وديارهم وكأن أرض الإسلام أملاك أبيه وأمه، والمسلمين فيها أقنان له، ففي سنة٦٢٢هـ/١٢٢٤م سيطر جلال الدين بن خوارزم شاه على دقوقا[٣] فأحرقها ونهب أهلها وفعل فيها ما لم يفعله الكفار، كل هذا لأن أهلها لعنوه على أسوار المدينة، قال أبو المظفّر: " قال لي الملك المعظّم عيسى: كتب إليَّ جلال الدين يقول: تحضر أنت ومن عاهدني فنتّفق حتّى نقصد الخليفة، فإنّه كان السبب في هلاك المسلمين، وفي هلاك أبي، وفى مجيء الكفّار إلى البلاد" [٤].

وبهذا يتضح أن البلاد الإسلامية انقسمت مطلع القرن السابع الهجري/السادس عشر الميلادي إلى مجموعة من القوى المتناحرة المتصارعة الضعيفة من جميع المعنوية، والعسكرية، والسياسية، رغم أن هذه البلاد عاشت في أواخر القرن السادس الهجري صحوة إسلامية كان لها صداها في معركة حطين٥٨٣هـ/١١٨٧م الشهيرة [٥].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٢٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٢.

(٣) دوقا: مدينة في جهة اربل بالعراق؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٤٤.

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٢٦٠.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٥٧٩؛ ومعركة حطين: هي من المعارك الشهيرة في التاريخ الإسلامي حيث انتصر فيها المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي–رحمه الله–على الفرنج؛ انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥.

**الفساد الأخلاقي في العالم الإسلامي وقت ظهور المغول:**

انتشر الفساد بلاد المسلمين قبيل الغزو المغولي لها، فكثر ارتكاب الناس لنواهي الله – سبحانه وتعالى–ولكن هذه الدراسة ستتناول بإذنه تعالى جزءً يسيرًا مما كان قد انتشر في ذلك الزمن لا لشيء إلا لندلل على المدى الذي وصل إليه المسلمون في مخالفة دينهم، وهجرهم سنن نبيهم – صلى الله عليه وسلم–؛ فيبان بذلك سبب تسليط الله للمغول على هذه الأمة المسلمة.

ومن صور الفساد:

١. استباحة شرب الخمر: مما يدل على أن هذا الأمر قد شاع في الأمة في ذلك الوقت إعلامها الممثل بالشعر، حيث إنَّ الشعراء تكلموا في هذا الأمر، ومن ذلك قول أحدهم:

أباح العراقي [١] النبيذ وشربه وقال حرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي [٢] الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر [٣]

وبذلك يكون هذا الشاعر قد خرج لنا بمذهب جديد يبيح شرب الخمر على اعتبار أن تحريم الخمر خلاف بين علماء الأمة، انتشر شرب الخمر في بلاد المسلمين[٤]، وذلك إشارة إلى ما وصل إليه المجتمع المسلم من انحطاط وضياع، تعدى العامة ليصل إلى أعيان الناس وكبرائهم، بما في ذلك بعض الخلفاء[٥].

٢. الجواري والغلمان والخصيان: مع أن الإسلام قصر الرق على الحروب لاستحالة منعه في عصر النبوة، إلا أنه جعل التخلص منه كفارةً لكثير من الذنوب، بل جعل العتق قربة وطاعة من أجلّ الطاعات [٦].

---

(١) العراقي: الإمام أبو حنيفة

(٢) الحجازي: الإمام مالك

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص١٨٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٦٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة لفاطميين الخلفاء، ج٢، ص٣٨.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٦، ص٣٩٩. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٩١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٥٥؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ٢٦٧؛ انظر الشابشتي: الديارات، ص١٦٣–١٧١.

(٦) الخالدي، إسماعيل: العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص٧١.

وستتناول الدراسة في هذا الفصل ثلاثة أشكال من الرقيق التي انتشرت في العالم الإسلامي:

**أ- انتشار الخصيان:**

كما هو معلوم أن إخصاء الآدمي محرم إذ جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم -في صحيح البخاري عن قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن إسماعيل، عن قيس، قال: قال عبد الله: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ " فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ، وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ}[1]"[2]. قال ابن حجر تعقيبًا على تحريم النبي للإخصاء: " والحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل؛ ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية" ... ثم عقب ابن حجر على قول الراوي "فنهانا" فقال: هو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم لما تقدم، وفيه أيضًا من المفاسد تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك [3]. مع ما تقدم إلا أن الخصيان كثروا في المجتمع المسلم، حيث كان في قصر المقتدر العباسي وحده أكثر أحد عشر ألف غلام خصي [4].

**ب- الجواري والإماء:**

لقد انتشر الجواري والإماء في العالم الإسلامي [5]، وكثير من الرجال كانوا يفضلونهم على الحرائر كون هؤلاء الجواري معروضات في الأسواق يختارهن الناس حسب أهوائهم وميل نفوسهم فأقبل الناس على شرائهن [6] قدوتهم بذلك الخلفاء الذين كثُرت الجواري والإماء في دورهم وقصورهم، فهذا هارون الرشيد كان في قصره أربعة آلاف جارية [7]، وهذا عبيد الله بن الطاهر يهدي المتوكل حين أفضت إليه الخلافة مائتا وصيفة ووصيف [8]. ليت الأمر وقف عند هذا الحد؛ إذ كانت أسواق الرقيق دور النخاسين أماكن تمارس فيها بعض الأفعال التي تُنبأ عن الحال

---

(١) سورة المائدة: آية ٨٧.

(٢) صحيح البخاري، ج٧، ص٤.

(٣) فتح الباري، ج٩، ص١١٨، ١١٩.

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٣، ص٢٣٤.

(٥) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣-٤٩.

(٦) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، ج٤، ص٨٢.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣.

(٨) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص٤٢.

الأخلاقي الذي وصل له المجتمع آنذاك، فقد كان بعض الزوار لا يذهبون الى السوق إلا للعبث بأجساد الجواري، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

أوانس ما فيهن للضيف حشمة ولا ربهن بالمهيب المبجل
يسر إذا ما الضيف قل حياؤه ويغفل عنه وهو غير مغفل
ولا يدفع الأيدي السفيهة غيرةً إذا نال حظًا من لبوس ومأكل
لك البيتُ ما دامت هداياك جمة ودمت مليًا بالشراب المعسل[١]

**ت- الغلمان:**

ومن المأثم التي انتشرت في تلك الفترة حب الغلمان، بل اتخاذهم بدل الخليلات وهذا من أكبر المعاصي، لقد كان هذا الأمر منتشرًا حتى بين القادة والملوك والسلاطين، فقد ورد عن الملك عز الدولة بختيار[٢] أنه قال: " ذهاب هذا الغلام أشد علي مما جرى من أخذ بغداد بل وأرض العراق [٣].

**ث- الغناء والطرب:**

لقد انتشر المجون في العالم الإسلامي انتشارًا كبيرًا لا أجد دليلًا على سعة انتشاره أكبر من اتهام الخلفاء به[٤]، حيث ورد عن المسعودي أنه قال يصف المعتمد العباسي: " كان المعتمد مشغوفًا بالطرب، والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي"[٥]، بل إن آخر خلفاء بني العباس كان يُضيع أوقاته باللهو والغناء والطرب، في حين كانت الأخطار تعصف بملكه، وفي هذا يقول ابن كثير: " أحاط التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنشاب من كل جانب، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه... فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعًا شديدًا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه، فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم؛ فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرة الستائر على دار الخلافة"[٦].

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيّعوا الحزم فيه أيّ ضياع

---

(١) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ج٤، ص٨٤.

(٢) الملك عز الدولة بختيار: هو عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي، حكم العراق بعد أبيه سنة ٣٥٦هـ، وقد خرج عليه ابن عمه عضد الدولة، وجرت بينهما حروب، وأسر له مملوك بديع الجمال، فتجنن عليه، وترك الأكل وبكى وافتضح، وكتب إلى عضد الدولة، وخضع، وبذل في فدائه عوديتين ثمن إحداهما مائة ألف، وقال: رضيت برده وأدع الملك، فرده؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٨٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٥، ص٦٧.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص١٣١.

(٦) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٦، ٣٥٧.

فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع[1]

وأخيرًا يصف ابن الأثير حال حكام المسلمين سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م فيقول: " فالله–تعالى– ينصر الإسلام والمسلمين نصرًا من عنده، فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين، بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو، وقال الله –تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}[2] "[3].

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٥٢.

(٢) سورة الأنفال: آية ٢٥.

(٣) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٤٧.

## ثانيًا: أهمية سلاح الرعب، ودوره في صناعة الأحداث التاريخية

ينبغي وقبل الحديث عن أهمية سلاح الرعب، ودوره أن نشير إلى معاني الرعب، أو ما يوازيه من ألفاظ لُغويًا، واصطلاحًا، فقد أثبتت الدراسات اللغوية أن اللغة مادة ينعكس عنها الفكر، بل هي أداة عاكسة للفكر، فاللغة إذن وظيفة اجتماعية، وهذا يعني أن هناك صلة كبيرة جدًا بين الإنسان والألفاظ ودلالاتها(١).

**الرعب لغةً:**

الرعب: هو الفزع والخوف، رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْبًا ورُعُبًا؛ فهو مرعوب ورَعِيبٌ: أَفْزَعَه، وارتعب فهو مُرَعَّبٌ ومرتعب أي فزع(٢)، وقد قيل إن الرعب: أشد الخوف، أو الخوف الشديد، إذ أن الرعب هو الخوف الذي يملأُ القلب والصدر(٣)، وقيل كذلك أن الرعب هو الانقطاع عن امتلاء الخوف، أي امتلاء النفس البشرية بالخوف والفزع، ولتصور الامتلاء منه يقال رعبت الحوض إذا ملأته، وباعتبار القطع قيل رعبت السنام إذا قطعته(٤)، وربما يقصد بالانقطاع هو انقطاع الأمل، كما قيل فإن الرعب يشلّ كل القوى(٥)؛ أي يقطعها، فلا يصبح لها قيمة، وبذلك تصبح أعضاء الإنسان وقدراته الإدراكية والحركية معطلة عاجزة عن القيام بأي عمل.

**علاقة الرعب بالإرهاب:**

الإرهاب في اللغة: من رَهِبَ، يرهب، رهبة، ورهبًا بالضم، ورهبًا بالتحريك بمعنى أخاف(٦)، وهذا يعني أن الإرهاب في اللغة هو التخويف، وهو إلقاء الخوف والفزع بالنفس البشرية، ولكن الرهبة تختلف عن الرعب بأنها خوف فيه تحرُّز واضطرا (٧)، إذ لا يتملك الخوف الإنسان فيجعله عاجزًا غير قادر على تدبير أموره كما سبق في معنى الرعب، وبهذا يتضح أن الرعب والإرهاب

---

(١) محمد، هيثم: مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ص٢٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٢٠؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٨٩.

(٣) مرتضى: تاج العروس، ج٢، ص٥٠٤.

(٤) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ص١٧٨؛ السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص٢٠٤؛ الرازي: مختار الصحاح، ص١٢٤؛ المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، ج٢، ص١٣٣.

(٥) دُوزِي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص١٠٦.

(٦) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٩٢.

(٧) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٣، ص١٠٠.

يشتركان في معنى إدخال الخوف، والفزع على النفس البشرية، ولكن الرعب هو درجة أعلى وأكبر من الخوف الذي يدخل على النفس البشرية.

**المعنى الاصطلاحي لسلاح الرعب:**

لم أتمكن من العثور على تعريف اصطلاحي حرفي لسلاح الرعب، ولكن هناك العديد من المصطلحات الموازية كالردع، أو الإرهاب، سأستعرض هذه المصطلحات حتى أستنتج في النهاية بإذنه تعالى أقرب المعاني لمعنى اصطلاحي سلاح الرعب.

**المعنى الاصطلاحي للإرهاب:**

عجز الباحثون والجهات التي حاولت أن تضع معنىً متفق عليه للإرهاب أن تضعه بشكل توافقي، وذلك باختصار لأن المعنى الاصطلاحي للإرهاب أصبح تهمة، تلصقها كل جهة بمن يخالف هواها، ويعارض مصالحها، وفي هذا يقول ألكسندر هيغ –أديب أمريكي مشهور–"كل شيء لا يعجبني فهو إرهاب"(١).

مع هذا يمكن القول وبشكل حيادي إلى حد بعيد أن الإرهاب المقصود هنا: هو استخدام جميع الوسائل والأساليب في بث الذعر والخوف في قلوب الأعداء من أجل تحقيق أهداف وسياسات معينة، لكن الإرهاب من منظور إسلامي كما يقول الدكتور هيثم محمد هو: استخدام جميع الوسائل والأساليب المشروعة من أجل بث الخوف في قلوب أعداء الدين من أجل تحقيق أهداف تتفق وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف(٢).

**المعنى الاصطلاحي لاستراتيجية الردع:**

يقول الفيلد مارشال مونتجمري(٣): "هي القدرة التي تكفي لردع أي خصم يفكر في دعم مركزه عن طريق توجيه ضربة قاضية مفاجئة، وهي القوة التي يمكن أن يكون وجودها سببًا لتجنب كارثة الحرب"(٤).

---

(١) انظر الشوبكي، محمود: مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب، ص٨٦٦، ٨٦٩.

(٢) مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ص٤٢.

(٣) مونتجمري: مشيراً في الجيش البريطاني استطاع قيادة قوات الحلفاء إلى الانتصار في معركة علم حلفا وفي معركة العلمين الثانية عام 1942م؛ موسوعة ويكيبديا، السبت، ٢٠١٥/٠٤/١٨.

(٤) الجديعي، محمد: الاستراتيجية العسكرية في ضوء القرآن الكريم، ص١٩٩.

ما سبق كان مفهوم غير المسلمين لنظرية الردع، أما استراتيجية الردع الإسلامية فهي: إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة عدوانهم على البلاد الإسلامية، بدون قتال أو سفك للدماء، وذلك من خلال إظهار القوة والإعداد الجيد[١].

**المعنى الاصطلاحي للحرب النفسية:**

هي نوع من القتال النفسي الذي يتم بمجموعة من الوسائل، ولا يتجه إلا للعدو، ويسعى إلى تدمير الروح المعنوية لديه، وذلك للقضاء على أي صورة من صور الثقة بالنفس، التي قد تولد في العدو نوعاً من المقاومة؛ لإجبار العدو بعد ذلك على الإذعان والاستسلام[٢].

إذاً وكما أشار التعريف إلى أن هدف الحرب النفسية وهو قتل الروح المعنوية لدى العدو، والتي تعتبر السلاح الرئيسي والأهم في أي معركة[٣]، ولا ريب أن الرعب هو العدو الأول للروح المعنوية؛ لذا يعتبر بث الرعب في قلوب الخصوم غاية الحرب النفسية، ومنتهى أمالها[٤].

من خلال ما سبق من استعراض لبعض المفاهيم ذات العلاقة الوثيقة بموضوع الرعب، يتضح أن المعنى الاصطلاحي للرعب يشمل المعنيين اللذين سبق التعريف بهما فهو يشمل الإرهاب من حيث أنه مجموعة من الوسائل التي تستخدم لبث الذعر والخوف في قلوب الخصوم، ويشمل الردع من حيث أنه شل أي نوع من التفكير الذي يهدف إلى إلحاق الأذى بالقوة الرادعة، بل إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أفصح العرب[٥] أطلق لفظ الرعب على عملية الردع فعن أبي هريرة –رضي الله عنه – أن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: " نصرت بالرعب"[٦].

لذلك نستنتج مما سبق أن المعنى الاصطلاحي لسلاح الرعب: هو مجموعة الأساليب والوسائل التي يتم استخدامها ضد الخصوم لتحقيق أهداف ونتائج معينة بأقل الخسائر الممكنة؛

---

(١) محفوظ، محمد: العسكرية في الإسلام، ص١٨.

(٢) سميسم، حميدة: الحرب النفسية، ص١٠.

(٣) عثمان، حامد: الاستراتيجية العسكرية في ضوء القرآن الكريم، ص١٧٠.

(٤) النجار، فهمي: الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، ص٦٤.

(٥) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص٣٢؛ عنه صلى الله عليه وسلم أن قال: "أنا أفصح العرب"؛ السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص١٦٥.

(٦) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١٥، ص٧٢.

وذلك من خلال إشاعة الفزع والخوف بين المستهدفين بالقدر الذي يجعلهم عاجزين عن تدبير أمرهم.

**أهمية سلاح الرعب:**

ستتناول الدراسة في هذا الجانب من البحث عدداً من المواطن التي من خلالها يتبين أهمية هذا السلاح ودوره في صناعة الأحداث.

**الرعب في القرآن الكريم:**

من الواضح أن أهمية هذا النوع من السلاح تظهر بوضوح إذا علمنا أن الله عز وجل قد أتى على ذكره في كتابه العزيز، فقال سبحانه:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"(١).

أي أعدوا أيها المسلمون لملاقاة عدوكم كل ما يتقوى به في الحرب من عدة وعتاد(٢)، والأمر هنا للوجوب كما ينص على ذلك الأصوليين(٣)، لما كان الأمر بالإعداد كانت الغاية من ذلك الفعل هي إلقاء الرعب في نفوس الكفار؛ إذ لا شيء يمنع الحرب إلا الاستعداد لها، فالكفار إذا علموا استعداد المسلمين وتأهبهم للجهاد واستكمالهم لجميع الأسلحة والآلات؛ خافوهم، وكفوا عن قتالهم، فقد قيل لو كان للحَمَل نابٌ ما عَدَت عليه الذئاب، ولو كان للظبي ظفر وناب ما افترسته أوابد الوحوش، وإلى هذا يشير الشاعر فيقول:

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم ... إن الدّم المغبّر يحرسه الدم(٤)

في هذا الجانب يقول عبد الكريم الخطيب إذا الرعب وقع في نفوس الخصم كان أول ضربة، يصاب بها في مقاتله(٥)، بل ان الله –سبحانه وتعالى–أوصى نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقال:" فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"(٦).

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، ج٣، ص٦٥.

(٣) محمد، هيثم: مفهوم الإرهاب، ص٣٣

(٤) المراغي، أحمد: تفسير المراغي، ج١٠، ص٢٥؛ أبي زهرة: زهرة التفاسير، ج٢، ص٨٦٧.

(٥) التفسير القرآني للقرآن، ج٥، ص٦١٧.

(٦) سورة الأنفال: آية ٥٧.

عن ابن عباس: قوله فشرد بهم من خلفهم؛ أي نكل بهم من وراءهم، أو عظ بهم من سواهم من الناس، وقال غيره: أَخِفْ أعداءك بما تصنع بهؤلاء الكفار الذين لقيتهم[١]، بات واضحاً أن أمر الله –سبحانه وتعالى–لم يكن لشدةِ ذاتها بقدر ما كان لإيقاع الرعب والخوف في قلوب أعداء الدين وبذلك تحقن الدماء، وتتحقق أهداف الأمة.

**استخدام سلاح الرعب في تاريخ الأمم والشعوب:**

لقد كان استخدام الإنسان للحرب النفسية التي تهدف لإيقاع الرعب في نفوس خصومه قديماً قدم الجنس البشري، فقد عرف قادة المجتمعات القديمة سر الأقوال والأفعال التي تحرك الإنسان، فتارة نجدهم يهتمون بالدعاية، وتارة أخرى بالإشاعة، وغير ذلك، لإجبار المُستَهدَف على اتخاذ ردود أفعال تتناسب وتخطيط المُستَهدِف له[٢].

**أمثلة على استخدام سياسة الرعب في التاريخ القديم:**

مارس الإنسان سياسة الرعب فرداً كان أو جماعة؛ لتحقيق أهدافه وسياساته التي كان يراها مناسبة[٣]، ففي سنة ١٢٤٥ ق.م تحارب جيدون –أحد قادة التاريخ القديم– وأهل مدينته، وكان عدد جنود جيدون بالنسبة لأهل المدينة قليل جداً إذ لم يكن معه غير ثلاثمائة جندي؛ الأمر الذي جعله يدرك استحالة تحقيق الظفر إذا قاتل بطريقة اعتيادية؛ لذلك فكر كيف يدخل سلاح الرعب في معركة حاسمة كهذه، وكان من عادة أهل ذلك الزمان أن يحمل الشعلة (الفانوس) في الجيش لكل ثلاثمائة رجل رجلٌ، وكذلك أن يحمل رجل في كل ثلاثمائة بوقاً، عند ذلك أمر جيدون جنوده أن يحمل كل واحد منهم شعلة وبوقاً ويحيطوا بمعسكر أهل المدينة ليلاً؛ فلما رأوهم أهل المدينة امتلكهم الرعب وأصبح يقتل بعضهم بعضاً، وبذلك انتصر جيدون بعد أن أجاد في استخدام هذا السلاح الخطير[٤].

**أمثلة من استخدام سياسة الرعب في تاريخ الرسل والأنبياء:**

لقد ثبت استخدام هذه السياسة زمن الأنبياء –عليهم السلام–هذا فرعون لما عجز عن مناظرة موسى –عليه السلام–قال له مهدداً ومتوعداً: لئن عبدت رباً غيري؛ لأجعلنك من المسجونين"

---

(١) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٤، ص٢٣، ٣٦.

(٢) المخلف، محمد: الحرب النفسية في صدر الإسلام، ص٢٢.

(٣) نوفل، احمد: الحرب النفسية، ج١، ص١١١.

(٤) الختاتنة، سامي: علم النفس العسكري، ص٢٧٦.

يعني في ذلك: لأحبسنك في السجن، قال ابن عباس: "وكان سجنه أشد من القتل"[١]، وهذا بوضوح هو استخدام لسياسة الرعب في اخضاع الخصوم، حيث أن فرعون لما عجز عن التغلب على موسى لجأ للتهديد بالقوة ليُخضع خصمه الذي تغلب عليه بعون الله، ثم بعد ذلك بالعقل والمنطق السديد.

ثم عاد فرعون ليستخدم السياسة نفسها مع السحرة الذين آمنوا مع موسى –عليه السلام– فقال ربنا –سبحانه وتعالى–يحكي عن ذلك على لسان فرعون –لعنه الله–:" لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ"[٢]، ذلك يعني أن تقطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع، "ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ"، يعني على شاطئ نيل مصر، قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: أول من صلب، وأول من قطع الأيدي، والأرجل كان فرعون –لعنه الله–[٣].

لم يقتصر استخدام هذه السياسة على الطواغيت، بل استخدمها كذلك خير الناس رسل الله تعالى وأنبياؤه، فهذا نبي الله سليمان –عليه السلام–أبدع في استعمال هذه السياسة مع ملكة سبأ؛ حيث أنه حين علم بقدوم رسل بلقيس ملكة سبأ عليه، عمل كل ما من شأنه أن يوقع الرعب في قلوبهم، وهو ما كان، فكانت هذه أولى الهزائم النفسية لقوم بلقيس[٤]، ثم إنه لم يكتفِ بذلك بل أعلنها وبشكل واضح، قال الله – سبحانه وتعالى–على لسانه –عليه السلام– : "ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ"[٥]. يقول أهل التفسير كان خطاب سليمان –عليه السلام– لأمير وفد بلقيس المنذر بن عمرو، وقيل كان الكلام للهدهد، على أي حال كان مضمون كلامه –عليه السلام– يحمل من التهديد والوعيد ما كان كفيلاً بتحقيق الهدف الذي هو ادخال الرعب في قلوب هؤلاء القوم، وهو ما سيجعل حالهم مستسلمين ومنقادين لما أراده لهم سليمان –عليه السلام– من الخير[٦].

---

(١) السمرقندي: بحر العلوم، ج٢، ص٥٥٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٢٤.

(٣) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٢، ص٢٣٧.

(٤) الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٧، ص٢٠٩؛ القشيري: لطائف الإشارات، ج٣، ص٣٨.

(٥) سورة النمل: آية ٣٧.

(٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٢٠١؛ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٥٥٦؛ ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، ص٢٥٩.

وكان نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–ممن استعمل هذا النوع من السياسة، فعبر عن ذلك بشكل واضح، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ..."[١].

وقد تعددت صور استخدام النبي –صلى الله عليه وسلم–لهذه السياسة إدراكاً منه لأهميتها، وقدرتها على التأثير في الخصوم، فهذا هو –بأبي وأمي–يأمر أصحابه –رضوان الله عليهم–زمن الحديبية بأن يرملوا[٢] بالبيت؛ ليرى كفار مكة منهم ما يكرهون من قوتهم، وعزمهم[٣].

ومن أساليب الرعب التي استخدمها نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–إشاعة الفرقة والاختلاف بين الأعداء؛ حتى لا يأمن بعضهم بعضاً، ومن ذلك ما كان مع نعيم بن مسعود –رضي الله عنه–حيث أنه لما أسلم يوم الأحزاب قال له النبي صلى الله عليه وسلم–: "إنما أنت فينا رجل واحد، فخَذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة"، فأنجز مسعود هذه المهمة بكل نجاح واقتدار[٤]. أما في جانب الإعلام الذي يتمثل في الشعر آنذاك، فقد أدرك النبي –صلى الله عليه وسلم–أهميته في إلقاء الرعب في نفوس أعداء الدين، فها هو يأمر حسان بن ثابت–رضي الله عنه–يوم بني قريظة سنة ٥هـ/٦٢٦م فيقول له: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"، وفي ذلك يقول حسان:

| | |
|---|---|
| لقد لقيت قريظة ما أساها | وما وجدت لذلّ من نصير |
| أصابهم بلاءٌ كان فيه | سوى ما قد أصاب بني النّضير |
| غداة أتاهم يهوي إليهم | رسول الله كالقمر المنير |
| له خيل مجنبّة تعادى | بفرسان عليها كالصّقور |
| تركناهم وما ظفروا بشيء | دماؤهم عليهم كالعبير |
| فهم صرعى تحوم الطّير فيهم | كذاك يدان ذو العند الفجور |
| فأنذر مثلها نصحا قريشا | من الرّحمن إن قبلت نذيري[٥] |

---

(١) ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٠٣؛ البخاري: صحيح البخاري، ج١، ص٩٥.

(٢) الرمل: هو إسراع المشي مع تقارب الخطا ولا يثب وثوبا (يسعي ببطن المسيل)، أي يسرع شديدًا ببطن الوادي الذي بين الصفا والمروة؛ الجرجاني: كتاب التعريفات، ص١١٢؛ مسلم: صحيح مسلم، ج٢، ص٩٢٠.

(٣) ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، ج٢، ص١٢٨٨.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٢٩–٢٣٣.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص١٧.

ومن استخداماته –صلى الله عليه وسلم–لسلاح الرعب كذلك ما كان منه –عليه الصلاة والسلام–يوم فتح مكة في العام ٨هـ/٦٢٩م، إذ أنه –صلى الله عليه وسلم–أمر عمه العباس بن عبد المطلب أن يقف بأبي سفيان قائد مكة آنذاك على خطم الجبل [١]، أو الوادي؛ ليرى جيوش المسلمين، ففعل العباس ذلك، فعرض على أبو سفيان الجيش، كتيبة كتيبة، إلى أن جاءت كتيبة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وفيها المهاجرين والأنصار –رضوان الله عليهم–تغطيهم الدروع والسلاح، فلما رأى أبو سفيان ذلك قال: من هؤلاء؟ في خوف ورعب، قال العباس–رضي الله عنه– : هذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–في المهاجرين والأنصار، فقال أبو سفيان: والله ما لأحد بهؤلاء من طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما. فقال العباس: إنها النبوة يا أبا سفيان، قال: فهذا إذن، وعاد لمكة ينذر قومها بما لا قبل لهم به [٢].

يبدو وبوضوح أن رسولنا محمد–صلى الله عليه وسلم–أجاد، بل أبدع في استخدام سياسة الرعب، والتي أثمرت أيما إثمار؛ إذ أن قبائل العرب جاءت إلى مكة تعلن إسلامها، وذلك في العام التاسع من الهجرة، حتى أن كاتبي السيرة يسمون هذا العام بعام الوفود، وذلك لكثرة القبائل التي جاءت النبي تعلن بين يديه الشريفتين إسلامها [٣].

**سياسة الرعب عند قادة الإسلام الأوائل:**

أما قادة الإسلام فإنهم لم يهملوا بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–هذا النوع المهم من السلاح، فهذا أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–ينفذ جيش أسامة بن زيد سنة١١هـ/٦٣٢م في وقت ارتدت فيه قبائل العرب، وخشي الناس في مدينة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أن يتخطفهم المرتدين من حولهم [٤]، إلا أن الله كتب الخير في وصية رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إذ يقول ابن الأثير في ذلك:" وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإن العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه" [٥].

مما سبق يظهر بوضوح تأثير حركة جيش أسامة في قلوب أعداء المسلمين المتربصين بهم، وهذا من أرقى صور استخدام القوة الاستعراضية في بث الرعب في قلوب الخصوم، فلنا أن نتخيل حجم الدماء التي عُصِمت، والآهات التي سكنت، عندما استخدم المسلمون سلاحاً لم يغفله نبيهم –صلى الله عليه وسلم.

---

(١) خطم الجبل: مقدمة الجبل؛ انظر الفراهيدي: كتاب العين، ج٤، ص٢٢٦.

(٢) ابن حزم: جوامع السيرة النبوية، ص١٨٣.

(٣) بحرق: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ص٣٦٥.

(٤) الواقدي: كتاب الردة، ص٥١.

(٥) الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٩٦.

بعد أن استقر الأمر للمسلمين، وانتهت حروب الردة التي استمرت عاماً كاملاً، بدأت الفتوحات الإسلامية عام ١٢هـ/٦٣٣م[١]، وكان أول ما كتب خالد إلى أهل فارس أنه كتب كتابًا اتضح من خلاله استخدامًا جميلًا لسلاح ما غاب عن خالد فترة فتوحاته كلها، ومما جاء في الكتاب:" من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فالحمد لله الذي فض خدمتكم، وسلب ملككم، ووهن كيدكم وإنه من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليَّ بالرهن– أي الجزية–، واعتقدوا مني الذمة، وإلا فو الذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة فلما قرؤوا الكتاب، أخذوا يتعجبون"[٢]. يبدو واضحاً أنَّ هذا القائد قد أجاد في استعمال سلاح الرعب في هذه الرسالة، ومن مواقفه في استخدام سياسة الرعب كذلك –رضي الله عنه– موقفه حين فتح قنسرين عام ١٦هـ/٦٣٧م، ومما يروى في ذلك أن أهل قنسرين حاولوا الوقوف بوجه المسلمين، فلما رأوا عجزهم لجأوا إلى حصنهم، فتحصنوا فيه، فقال لهم خالد–رضي الله عنه– :" إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله عليكم أو لأنزلكم إلينا"[٣]، ثم إنهم نظروا في حالهم، وذكروا ما لقي أهل حمص فطلبوا الصلح، على ما صالح أهل حمص[٤]، فأبى إلا على إخراب المدينة فأخربها[٥]، فلما بلغ عمر ذلك قال: "أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني"[٦].[٧]

**استخدام المغول لسلاح الرعب:**

لم يكن قادة المسلمين هم وحدهم من استعمل سلاح الرعب في المعارك الحربية بعد عصر النبوة، بل إنَّ الانسان المعاصر يرى أن الرعب مقرون باسم المغول، إذا ذكروا ذكر الرعب والفزع[٨]، فجنكيز خان قائد المغول ومؤسس دولتهم عرف معنى الرعب، وتأثيره في نفوس الخصوم،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٥١١.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٤٦.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب، ص١٦.

(٤) كان أهل حمص قد صالحوا خالدًا على دينار وطعام على كل جريب، وأن يملك المسلمون الأرض؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٢٤

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٦٥٠؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء،ج٢، ص٢٥٠.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص٦٠١.

(٧) يكفي ما ذكرنا من أمر خالد –رضي الله عنه–إذ أن موضوع هذا البحث يفرض علينا ألا نتوسع في ذكر مآثره في هذا الجانب ربما باحث غيري يتناول موضوع استعمال خالد بن الوليد لسلاح الرعب في كسر خصومه.

(٨) المخلف، محمد: الحرب النفسية في صدر الإسلام، ص٣٠؛ أرنولد، توماس: الدعوة الى الإسلام، ص١٨٨.

فسلك في سبيل إيقاعه في نفوس خصومه أشنع الطرق وأقبح الوسائل[١]، إذ ما يميز المغول في استخدامهم لهذا السلاح، أنهم استخدموه دون كابح للأخلاق يجمحه، ولا عامل دين يقيد، فقد كان جنكيز خان يرى في تعذيب الناس شهوته المفضلة يقول واصفاً ذلك: "أعظم سعادة قد يعرفها الإنسان هي أن يقهر أعداءه ويقودهم أمامه، وأن يمتطي خيالهم، ويستولي على ممتلكاتهم، وأن يشاهد وجه أولئك الذين كانوا عزيزين عليهم تتبتل بالدموع، وأن يحتضن زوجاتهم وبناتهم بين ذراعيه"[٢].

لقد كان الغزو المغولي للعالم الإسلامي غزواً لو لم تذكره لنا كتب التاريخ لقلنا ذلك ضرب من الخيال، عبر عن مدى قسوته ابن الأثير فقال: " لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه (رجلاً) وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، { يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا}[٣]، إلى أن حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين. فلو قال قائل منذ خلق الله –سبحانه وتعالي–آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها. ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس. وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس؟ وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا؟ فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل. ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة"[٤].

مما سبق يظهر أنه هان في نظر ابن الأثير كل خطبٍ عظيم، إذا ما قُرِن بغزو المغول لديار الإسلام، وما تسبب به من الكوارث والمصائب التي نزلت بأمة الإسلام، وغيرها من الأمم، بل والتي لم تنزل بعد، وتحدث عنها نبينا –صلى الله عليه وسلم–وذكرها الله –عز وجل–في كتابه كيأجوج ومأجوج، وغير ذلك.

ستتحدث الدراسة –بإذنه تعالى–فيما سيأتي من فصول عن الأساليب التي انتهجها المغول في بث هذا الرعب والهلع في نفوس الناس.

---

(١) انظر النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٩١.

(٢) إيغلدن، كون، ذئب السهول (السيرة الملحمية للفاتح المغولي جنكيز خان)، ج٣، ص٣٧٢.

(٣) سورة مريم: آية ٢٣.

(٤) الكامل في التاريخ: ج١٠، ص٣٣٣، ٣٣٤.

مع كل ما ذكر عن تاريخ استخدام سلاح الرعب إلا أن الإنسان الغربي الحديث تأخر كثيراً في إدراك أهمية سلاح الرعب في السياسة العسكرية، الذي يعتبره خبراء الاستراتيجية العسكرية بأنه مفتاح الاستراتيجية العسكرية في القرن العشرين، وعن ذلك يعبر الجنرال أندريه بوفر بقوله: "إن رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين الأولى ١٩١٤-١٩١٨م/١٣٣٢-١٣٣٦هـ، والثانية ١٩٣٩-١٩٤٥م/١٣٥٧-١٣٦٣هـ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث، ربما وجد أخيراً الوسيلة لمنع وقوع المآسي، وهي استراتيجية الردع"(١).

(١) محفوظ، محمد: العسكرية في الإسلام، ص١٨-١٩.

## ثالثاً: ظهور القوة المغولية، وتشكلها

كان لظهور القوة المغولية دور كبير في تغيير مجرى تاريخ العالم في العصور الوسطى، ولا يمكن لعاقل أن ينكر تأثيراتها حتى على عالمنا الحديث والمعاصر، عن تَشَكُلِها وظهورها، ونشأتها كانت هذه الدراسة؛ وذلك لإجاد السبب الذي كوّن هذه الشخصية المغولية المرعبة.

**صعوبة البحث في التاريخ المغولي:**

يعترض الباحث الكثير من العقبات حين يحاول البحث في تاريخ المغول؛ وذلك لأن قبائل المغول البدوية تبدو وكأنها بعيدة عن أي تناسق وتنظيم(١)؛ لذلك فمن الصعوبة بمكان التماس خيط واحد يضم هذه القبائل بأسرها.

يضاف لذلك ما أحاط تاريخ المغول المبكر من غموض، واختلاط بالأساطير، وافتقار للسجلات والوثائق التي يصح الركون إليها(٢).

إلا أنه يمكن القول أن هناك عديد المصادر التي كتبت عن تاريخ المغول، ولكنها لا تمدنا بمعلومات كافية عن أصل القبائل المغولية والتركية، ولا أجناس الأمراء والشخصيات الأخرى البارزة، ومعنى هذا الكلام أن التاريخ المبكر للمغول لا زال يكتنفه الغموض والكثير من الجهل، إذ تختلط فيه الحقائق بالخرافات والأساطير(٣)، يقول المؤرخ رشيد الدين الهمذاني: "وحيث أن الأقوام الموسومين باسم الترك مقامهم وسكنهم في البلاد البعيدة التي طولها وعرضها من ابتداء طرف ماء جيحون وسيحون إلى انتهاء حدود بلاد الشرق وانتهاء صحراء قبجاق إلى غاية نواحي جورجية والخطا، وفي تلك المواضع هم يسكنون الجبال والوهاد والآجام، ولم يعتادوا السكنى في القرى والمدن، وحيث أنهم بعيدين عن بلاد ايران، فإنه لم يأت في تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مفصل، نعم ورد في بعض الكتب شيء يسير من ذكرهم، ولكنهم لم يجدوا من أرباب الخبرة أحداً يحقق في أخبارهم، ويتناول آثارهم وحكاياتهم كما ينبغي بالشرح والتفصيل"(٤).

---

(١) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢.

(٢) العريني: السيد الباز: المغول، ص٢١.

(٣) الصياد: المغول في التاريخ، ص١٩.

(٤) جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢١٢.

وبالتالي يظهر وبوضوح صعوبة دراسة تاريخ قبائل المغول قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي؛ أي قبل بناء إمبراطوريتهم العظيمة على يد جنكيز خان؛ وذلك كون أن حياتهم كانت رعوية غير مستقرة، منتشرة في أجزاء واسعة من الأرض[١].

**تعريف قبائل المغول:**

هي قبائل تركية في أصلها، حيث يقول عنهم ابن خلدون: "هذه الأمة من أجناس الترك"[٢]، إذ أن قبائل المغول تشترك والأتراك في أصل اللغة، وكثير من الأوصاف الأخرى [٣]. وفي هذا يقول أحد الشعراء:

"غلب التتار على البلاد فجاءهم  من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام بددهم وفرق شملهم  ولكل شيء آفة من جنسه" [٤]

**الموطن الأصلي للمغول:**

ظهر المغول في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، حيث كان يعيش في شمال منشوريا ومنغوليا وتركستان على حدود الصين مجموعة من القبائل البدوية المتبربرة، التي تعيش على الرعي[٥]، يقول الجويني يصف سعة منشأ المغول: "موضع إقامة التتار ومنشئهم ومولدهم بوادٍ غير ذي زرع تزيد مساحته طولاً وعرضاً عن مسيرة سبعة أو ثمانية أشهر، تحده من الناحية الشرقية بلاد الخطا، ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور[٦]، ومن الشمال بلاد الفيرغيز

---

(١) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٦٥٩.

(٣) الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣، ص١٠٣.

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٦٧.

(٥) انظر الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢١٢؛ انظر النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٣٨-٣٩؛ ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص٥٢٣؛ العريني، السيد الباز: المغول، ص٢٨.

(٦) الأويغور: قوم من الأتراك يدينون بالمسيحية واليهودية والمانوية، وهم بصفة عامة أكثر أقوام الأتراك والمغول تمدنا، كانوا يقطنون شمال شرقي تركستان، وشمال نهر قاريم، وأهم مدنهم تورفان وبيش باليغ وبرقول وقره شهر وآلماليغ، كان لهم خط خاص لهم وهو الخط الأويغوري؛ حاشية العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص١١٢.

وسلنكاي، ومن الجنوب تنكت[١] والتبت[٢]"[٣]، وبذلك يمكن اعتبار هضبة منغوليا، وسلاسل جبال تيان شاي[٤]، وجبال التاي[٥]، وما بينهما من سهول وصحراء جوبي، وما حول بحيرة بايكال وضفاف الأنهار هناك، هي موطن المغول الأول[٦].

لكن ومع ما سبق من تحديد دقيق لموطن المغول الأول، إلا أنك تجد الكثير من المصادر العربية القديمة يُرجع أصل المغول إلى منطقة بجوار الصين تسمى جبال طمغاج[٧]، وطمغاج هذه أوردها بعض من كَتَبَ الجغرافيا والرحلات من القدماء، فذكر القزويني: أن طمغاج مدينة مشهورة كبيرة من بلاد الترك، ذات قرى كثيرة، وقراها بين جبلين في مضيق لا سبيل إليها إلا من ذلك المضيق[٨]، لكن حافظ حمدي يقول: من المحتمل أن تكون طمغاج كلمة محرفة من اللهجة التركية الشرقية تبغاج ومعناها المعظم أو المشهور، وبهذه الحالة يكون المعنى المراد لطمغاج خان هو الخان المعظم وليس خان طمغاج، وأنَّ ما ورد في كتب الأولين ما هو إلا نتيجة فهم خاطئ لمعنى الكلمة[٩]، لكن الباحث يرى غير هذا إذ إن هذا الأمر لم يكن عند واحد من المؤرخين العرب دون الآخَر، بل كان الاسم عند جمع من المؤرخين العرب منهم وابن الأثير[١٠]، الذهبي[١١]، وابن

---

(١) تنكت: مدينة من مدن الشاش من وراء سيحون، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٠.

(٢) من بلدان أسيا غربي الصين؛ حاشية مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج١، ص٩٢.

(٣) فاتح العالم، ج١، ص٦٢؛ ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص٥٢٣.

(٤) جبال تيان شاي: هي سلسلة جبلية ضخمة، يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٥ألفالى ٢٠ ألف قدم، وقد يزيد ارتفاع بعض قممها عن ٢٥ ألف قدم، ويبلغ طولها ١٢٠٠ ميل، إذ تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي؛ العريني، السيد الباز: المغول، ص٥.

(٥) جبال التاي أو جبال الذهب: هي سلاسل جبلية مرتفعة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ما يزيد عن ٧٠٠ ميل على امتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة الى الشمال الغربي من منغوليا، ولا يتجاوز ارتفاع هذه الجبال ١٢ ألف قدم؛ العريني، السيد الباز: المغول، ص٦.

(٦) الخالدي، إسماعيل: المغول والدعوة الإسلامية، ص١٦.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٧٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص١١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٥؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٦٥٩.

(٨) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤١١.

(٩) حاشية النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٣٩.

(١٠) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٥.

(١١) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢٧٥.

كثير[١]، وغيرهم؛ لذلك من الممكن أن يكون اسم بادية الصين عند العرب طمغاج، ولذات المكان غير هذا الاسم عند غيرهم.

**أثر الموطن المغولي في الشخصية المغولية:**

أبرز ما كان يميز موطن المغول الأول هو طقسه القاسي شديد البرودة قليل الزرع لا تنبت فيه غير شجرة واحدة تشبه الصنوبر يسمونها قسوق تنبت في بعض الجبال؛ لذا كان اعتمادهم في طعامهم على لحوم الحيوانات التي يرعونها، أو ما كانوا يجدونه من لحوم حيوانات ميتة أخرى، أما شرابهم فهو من ألبانها، أما لباسهم فكان من جلود الكلاب والفئران التي كانوا يأكلون لحومها كذلك، ثم يصف الجويني حياة المغول فيقول: "الخلاصة أنهم كانوا يعيشون في شظف من العيش، ويمضون حياتهم في إخفاق ووبال"[٢]، وممّا يدلّ كذلك على صعوبة الحياة عند المغول قبل بزوغ شمس دولتهم أنّهم كانوا عبارة عن قبائل بدوية متبربرة[٣]. ومن المعروف بالبداهة أن ظروفاً قاسية كانت وراء هجرة القبائل من مواطنها إلى مكان يؤمّنون فيه على أنفسهم وحياتهم.

ويرى الطرسوسي: إنّ الحياة القاسية تنتج مقاتلين أشداء، وفرساناً أقوياء [٤]؛ لذلك فمن المرجح أنّ هذا النمط القاسي من الحياة أورث الشخصية المغولية قوةً وشدةً، وقدرةً على تحمل الشدائد والصعاب، وهذا ما ترك أثره واضحاً حين تعامل المغول من خصومهم بكل شدة، وقوة، وبشكل عنيف لا يعرف الرحمة ولا الإنسانية [٥].

**المعتقدات الدينية عند المغول وحياتهم الاجتماعية:**

عند الحديث عن دين المغول تجد أن المؤرخين القدماء يبدون خلافاً في تحديد ذلك، فهذا ابن الأثير مثلاً يقول عنهم أنهم وثنيون يسجدون للشمس[٦]، وقال الديار البكري: هذا في الأغلب غير أن بعضهم يعبد الأصنام[٧]، ويقول توماس أرنولد إن الشامانية هي ديانة المغول، وهي ديانة وثنية قديمة كانت تتمثل في أن يعبد المغول كل شيء يسمو على مداركهم، ويدق على أفهامهم،

---

(١) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٧٩.

(٢) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢.

(٣) ابن عربشاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص٥٢٣

(٤) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٨.

(٥) آل ياسين، محمد: دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني، ص١٢.

(٦) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٥.

(٧) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج٢، ص٣٦٨.

إذ كان للمغول ألهة في النهر، والشجر، والجبل، والشمس والقمر، كان يعبدون كل شيء يخيفهم ويرعبهم كالبرق والرعد[١]، ثم يذكر القلقشندي: أن المغول كانت لهم عقائد شتى ولكن من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى، وأنه خلق السموات والأرض، وأنه يحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع، وأنه على كل شيء قدير، وأن منهم من دان باليهودية، ومنهم من دان بالنصرانية، ومنهم عبد الأصنام[٢].

أما صاحب تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار ينفي التزام المغول قديماً بدين من الأديان، كما ينكر أن المغول كانوا عباداً للأوثان والأصنام، ثم يزعم أنهم كانوا يعرفون الله بالفطرة ويتقربون إليه بالظنون والأوهام، ثم يستدل على مقولته بأن عقول الأتراك أسمى أن يعبدوا شيئاً صنعته أيديهم[٣].

يعلق الصياد على هذا القول فيقول: يبدو أن هذا الكلام هو من قبيل التعصب الأعمى، الذي يريد أن يثبت لجنس معين جزافاً كل ما هو حسن، وينفي عنه كل ما فيه نقص حتى ولو كان ذلك على سبيل الحقيقة والتاريخ [٤]، ويؤيد هذا الرأي غسان وشاح [٥]، وما ذهب إليه المؤرخان برأي صحيح؛ لذلك كان المغول يعيشون في إباحية، وفساد، وشر، يقول ابن الأثير عنهم: "لا يحرمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه"[٦]، أما الخان المغولي فله أن يتخذ ما شاء من الزوجات حيث يذكر الهمذاني: أن أوكتاي خان كان له زوجات كثيرات، بالإضافة إلى ستين محظية [٧].

**بعض عاداتهم:**

يقول القلقشندي عن بعض آدابهم: " أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاماً حتى يأكل المطعم منه ولو كان المطعم أميراً والآكل أسيراً، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشبع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطوا أحد موقد نار

---

(١) محنة الإسلام الكبرى، ص٨١.
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص٣١٤.
(٣) م.م الرمزي، ج١، ص٣٥٦.
(٤) الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص٣٣٦.
(٥) موقف الشيعة من الغزو المغولي للعراق، ص٥٧.
(٦) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٥.
(٧) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ص١٧.

ولا طبقا رآه، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن...وكان المغول لا يعتنون بنظافتهم إذ إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس"[١].

**قوانينهم:**

لم يكن للمغول قبل ظهور جنكيز خان حاكم أو رئيس؛ وبالتالي لم تكن هناك قوانين تنظم شؤونهم وحياتهم التي كانت تحكمها شريعة الغاب ليس أكثر سرقة، وقتل، ونهب، واعتداء، وغير ذلك من الآثام [٢] التي كانوا يعتبرونها من قبيل الشجاعة، لكن مع بروز نجم جنكيز خان، وتوحيده لقبائل المغول؛ وضع لهم كما يقول الجويني: لكل أمر قانون، ولكل مصلحة دستور، ولكل ذنب حدّ، وعقابٌ، ثم أمر أن يُعلم الأويغور أطفال المغول الكتابة، ثم تكتب هذه القوانين في سجل يسمى "الياسا الكبير"، وأن تحفظ في خزائن أبناء الملوك [٣]. ومن جملة تعاليم الياسا ما ذكره القلقشندي في كتابه: أن من زنى قتل، ومن لاط قتل، ومن تعمّد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد، أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال في الماء أو على الرماد قتل، ومن أعطي بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل، ومن وجد عبداً هارباً أو أسيراً قد هرب ولم يردّه على من كان في يده قتل، وأن الحيوان تكتّف قوائمه، ويشق بطنه، ويمرس قلبه إلى أن يموت، ثم يؤكل لحمه، وأن من ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذُبح، ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكر أو يفر في حالة القتال وكان وراءه أحد، فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه، فإن لم ينزل ولم يناوله قتل[٤].

يلاحظ مما سبق أن سبب شدة تعاليم الياسا هي محاولة لضبط الحياة المغولية اليومية، وذلك من خلال كثرة حد القتل عند المغول، وكأنه لا يوجد عقاب رادع دونه؛ لأن هذه العقلية البربرية لا تعرف سوى القتل والقتل فقط، قال عنهم السيوطي: "ليس في قتلهم استثناء، ولا إبقاء، يقتلون الرجال والنساء والأطفال، وكأن قصدهم إفناء النوع، وإبادة العالم، لا قصد الملك والمال،...مشهورون بالشر والغدر"[٥].

لقد أثارت هذه العادات والقوانين المغولية الاشمئزاز، والكراهية في نفوس المسلمين؛ ذلك لمنافاة ما سبق ذكره لشريعة الإسلامية، ففي ذات المرات اشترى أحد المسلمين خروفاً من السوق،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص٣١٥.

(٢) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص١١٨.

(٣) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢-٦٥.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص٣٨٤.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٣٣٠.

وأدخله بيته، ثم أوصد الباب يريد ذبحه؛ ذلك خوفاً أن يراه أحد من المغول؛ إذ إنّ من يذبح الحيوان على الطريقة الإسلامية يُذبح[١].

**حال قبائل المغول قبل ظهور جنكيز خان:**

لم يكن حال القبائل المغولية قبل ظهور جنكيز خان أفضل حالاً من حياتها الصعبة ومعيشتها القاسية في موطنها الأصلي، إذ كانوا يعيشون في حروب طاحنة، وقتال مستعر، يقول الجويني عن ذلك: "لم يكن للمغول قبل خروج جنكيز خان رئيس أو حاكم، وكانت كل قبيلة أو اثنتين تعيشان منفصلتين لا تتفقان، النزاع والخصام قائم ومستعر بينهم، وكان بعضهم يعتبر السرقة والفسق والفجور من الشجاعة والبطولة"[٢]، لذلك قال عنهم السيوطي: هم من سكان براري، ومشهورون بالشر والغدر[٣]، يبدو أن كل هذه العوامل صنعت الشخصية المغولية المرعبة التي ملأت العالم رعباً وفزعاً[٤].

**ظهور جنكيز خان:**

يعد جنكيز خان مؤسس مملكة المغول العظمى، إذ أنه استطاع أن يجمع كلمتهم تحت رايته، ويوحد ممالكهم تحت سلطانه[٥]، وفي ذلك يقول الذهبي: جنكيز خان ملك التتار، وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد، وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للمغول ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين، فقدموه عليهم، فهزم جيش الخطا، واستولى على ممالكهم، ثم على تركستان، وإقليم ما وراء النهر، ثم إقليم خراسان وبلاد الجبل، وغير ذلك، وأذعنت بطاعته جميع قبائل المغول، وأطاعوه في كل شيء[٦]؛ فانتقلت بذلك حياة المغول من الشدة إلى السعة، ومن الفقر إلى الغنى، ثم كثرت جيوشه، وعظمة قوته التي سخرها للانتقام من خصومه وأعدائه،

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ (خلفاء جنكيز خان)، ص٧٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص٣٨٤.

(٢) فاتح العالم، ج١، ص٦٢.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص٣٣٠.

(٤) مقدمة المحقق ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣.

(٥) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٣٥؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص١١٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٠.

(٦) سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٢٤٣.

وقد صرح جنكيز خان بذلك فقال: "أولئك هم فرساني بهم أنتقم ممن عصاني"[١]؛ فكان المغول تحت قيادته بلاءً وعذاباً.

كان جنكيز خان قد بدأ يولي اهتماماً كبيراً لجيشه، فأخذ بتنظيمه وترتيبه، ففرض الخدمة العسكرية الإجبارية على القبائل التي تخضع له، فكانت القبيلة ترسل أبناءها التي تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشر والستين عاماً للخدمة العسكرية التابعة للخان المغولي، فكوّن جنكيز خان بذلك جيشاً مدرباً من الرماة والفرسان والرماحة[٢].

وخلاصة ما سبق أن حالة الفوضى والبؤس التي نشأت عليها قبائل المغول، كان لابد ان تتمخض في نهايتها عن شخصية قوية توحد شتات هذه القبائل، وتجبرها على الخضوع، وتكوّن من هذا الشتات امبراطورية واحدة، شأت الأقدر أن تكون هذه الشخصية هي شخصية جنكيز خان.

---

(١) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢-٦٤.

(٢) انظر الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٩؛ رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٤١٧.

## رابعاً: الاستراتيجية العسكرية للمغول

قبل البدء بالحديث عن استراتيجية المغول العسكرية يجب أن نفرق بين الاستراتيجية والسياسة، ثم نستدل من خلال كلام قيادات المغول ورسائلهم على أهداف خانات الدولة المغولية العظمى، فيزول عجبنا حين نقرأ عن وسائلهم التي كانت تستخدم لتحقيق هذه الغايات.

**السياسة في اللغة:**

هي من فعل السائس الذي يسوس الدّوابَّ سياسةً، يقوم عليها ويروضها، والوالي يَسُوس الرعية؛ أي يرعى شؤونها ويدبر وأمرها [١].

**السياسة في الاصطلاح:**

تعددت الأقوال في تعريف السياسة اصطلاحاً، فمنهم من قال هي: رعاية شؤون الناس داخلياً وخارجياً، وهي تعني نظام الحكم وجهاز الدولة، وتعني علاقة الناس وعلاقة الأمة بغيرها من الأمم، وهو ما اصطلح على تسميته بالسياسة الداخلية والخارجية [٢]. ومنهم من قال: " أنها علم الدولة، التي تبحث عن التنظيمات البشرية، وعن تكوين الأحداث السياسية، وعن تنظيم الحكومات، وفاعلية الحكومة التي لها صلة بتشريع القوانين وتنفيذها وعلاقتها بالدول الأخرى، وبيان مدى العلاقة القائمة بين الشعب والدولة، وارتباطات الدول بعضها ببعض، كما تبحث عن تطور السلطة السياسية بالنسبة إلى حرية الفرد"[٣]. أما ابن عقيل فقد عرف السياسة بشكل جميل فقال: "السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول –صلى الله عليه وسلم–ولا نزل به وحي"[٤]. ويتضح هنا أن المراد بالسياسة هنا النظر في الدقِيق من أُمور السوس؛ وسوقها إلى ما يصلح به أدبارها، أي عواقبها، ولهذا قيل للتدبير المستمر سياسة [٥].

---

(١) الفراهيدي: العين، ج٧، ص٣٣٦.

(٢) المقطري، عقيل: مفهوم العمل السياسي ومشروعيته، http://www.islamtoday.net، السبت، ٢٠١٥/٠٤/١٨.

(٣) الحاج حسن، حسين: النظم الإسلامية، ص٤٣.

(٤) ابن القيم: إعلام الموقعين، ج٤، ص٢٨٣.

(٥) العسكري: الفروق اللغوية، ص٢٧.

أما الاستراتيجية فلها معنىً آخر يجعلها والسياسة في تكامل مستمر فلا ينفصل أحدهما عن الأخر إلا نشأ عن ذلك خللاً واضطراباً، فلا يُعقل وجود سياسة لا رؤية استراتيجية لها، ولا يوجد استراتيجية لا وجود لسياسة تعمل من أجل تحقيقها.

**أصل الاستراتيجية ومعناها:**

كلمة الاستراتيجية مشتقة من الكلمة اليونانية ( Strategos)، وتعني فن القيادة أو فن الجنرال، وهي على هذا النحو ترتبط بالمهام العسكرية الصرفة، لكن ومع مرور الوقت تعددت استخدامات الاستراتيجية حتى أنها شملت العديد من العلوم والميادين كعلم السياسة، والاقتصاد، والاعلام، والاجتماع، والإدارة...إلخ، وبهذا يمكن تعريف الاستراتيجية: "بأنها تحديد المنظمة لأهدافها وغاياتها على المدى البعيد، وتخصيص الموارد لتحقيق هذه الأهداف والغايات"(١).

ومما سبق يتضح أن السياسة: ما هي إلا مجموعة الإجراءات والأساليب التي تخدم الاستراتيجيات والغايات الكبرى، فما هي إذن غايات المغول الاستراتيجية، التي دفعتهم لاستخدام هذا القدر من الأساليب والوسائل التي كانت سبباً في بث الرعب في قلوب خصومهم من البشر.

**استراتيجية المغول العسكرية**

في هذا الجانب يقول محمد أسد الله صفا: لا يوجد دليل على أن جنكيز خان قد تدرب على يد أحد الاستراتيجيين فنون الاستراتيجية، حتى يتم الفصل بينها وبين التكتيك "السياسة"؛ إلا أن بداوة المغول البسيطة البعيدة عن تعقيدات التكنولوجيا المعاصرة جعلت أفضل تعريفات الاستراتيجية المغولية، هي ما أجمل به كلوزويتز حملات جنكيزخان بقوله: "الاستراتيجية هي استخدام المعركة لتحقيق الغرض من الحرب، وعليها لذلك أن تغطي هدفاً لكامل العملية العسكرية"(٢).

بناءً على ما سبق يضع الكاتب أحمد حطَيْط هدفاً عاماً لحروب المغول العسكرية فيقول: "لم تقتصر جهود جنكيز خان على توحيد القبائل المغولية، بل كانت خطوة التوحيد نقطة انطلاق

---

(١) الدوري، زكريا: الإدارة الاستراتيجية (مفاهيم وعمليات وحالات دراسية)، ص٢٤-٢٥.

(٢) جنكيزخان، ص١٦٦.

لبناء امبراطورية تشمل معظم أنحاء العالم المعروف آنذاك، فكان عليه لتحقيق مشروعه الطموح، أن يتحرك في جميع الاتجاهات، وأن يواجه خصوماً متعددي الجنسيات والثقافات"[١].

وليصبح هذا الاستنتاج أقرب إلى الواقعية أخذت الدراسة على عاتقها في هذا الجزء أن تكشف عن هذه الاستراتيجية المغولية من خلال رسائل خانات المغول، وكلماتهم، ونظرتهم إلى أنفسهم، وإلى الآخرين:

**١. الاستراتيجية المغولية من خلال ما أُثر عن المغول من أساطير:**

تعتبر نظرة المرء إلى نفسه مهمة جداً في حسم الأمور التي قد تعترض طريقه، فهذا الحجاج ابن يوسف الثقفي [٢] حين سُئل عن جرأة جنانه فقال: " أما جرأة جناني فإني لم ألق فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً"[٣]، وقد تطرق إلى هذا المعنى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–حين قيل له في عدد كبير تمكن من قتلهم، فقال: ما كررت على واحد إلا وظن أني قاتله، فأكون أنا ونفسه عليه [٤]. لكن هذه النظرة اعتقدها المجتمع المغولي كله؛ حين رأى في تيموجين[٥] القائد المغولي الذي سيسطر عما قريب على العالم بأسره، مما أكسبه في نظرهم قدسية خاصة[٦].

لذلك يمكن اعتبار أن مبتدأ أمر جنكيز خان كان أسطورة، أو حتى قل رأي عراف أسهم في زرع حب السيطرة وسفك الدماء في نفس ذلك الفتى المسمى تيموجين، يروى أنه لما ولد سنة٥٤٩هـ/١١٥٤م وجِدت إحدى يديه قابضة على قطعة متجمدة من الدم، فلما تداول الحاضرون

---

(١) حروب المغول، ص٢٠.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة)؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٤، ص١٣٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٦٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٢، ص١٤٨.

(٤) أبو حيان: البصائر والذخائر، ج١، ص١١٧؛ نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ج١، ص٤.

(٥) تيموجين: لفظة صينية معناها الصلب الفائق، ومنها تيمورج بمعنى الحداد، ومن معانيها كذلك الفارس الكامل؛ العريني، الباز: المغول، ص٤٣.

(٦) القونوي، أبو الفضل: المهول من نبأ من خدم المغول، ص١٦.

ذلك، قال أهل "الخبرة" عندهم: إن هذا الولد سيكون سفاكاً للدماء، قاهراً لأعدائه، مظفراً في حروبه، وأنه سيملك أكثر من ربع العالم المسكون آنذاك [١].

يبدو أن ما تردد عن هذا الولد المسمى تيموجين في صغره أسهم في زيادة حبه للسيطرة والقهر والغلبة، وهذا ما يظهر في بعض ما أثر عنه: "أعظم سعادة قد يعرفها الانسان هي أن يقهر أعداءه ويقودهم أمامه، وأن يمتطي خيالهم، ويستولي على ممتلكاتهم، وأن يشاهد وجه أولئك الذين كانوا عزيزين عليهم تتبتل بالدموع، وأن يحتضن زوجاتهم وبناتهم بين ذراعيه"[٢].

ومن الروايات التي تقوي وتدعم ما قد يقال في ذلك أن من كان حول جنكيز خان زرعوا فيه كذلك حب السيطرة والتملك، بل هيؤوا أنفسهم لذلك، ما رواه صاحب حبيب السير فيقول: أن تيموجين رأى في منامه ذات ليلة أن يديه امتدتا، وكان يحمل سيفاً بيديه الاثنتين التي كان طرف إحدهما بالمشرق والأخرى تتصل بالمغرب، فلما أصبح قصّ ما كان في منامه على أمه، فقالت له: "أنت سوف تستولي على العالم شرقيه وغربيه، وسوف يصل أثر سيفك المضرج بالدماء إلى بلاد المشرق والمغرب"[٣].

يرى الباحث: أن مثل تلك الروايات قد تكون مكذوبة إذ لا سند يؤيدها، إلا أن ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً لشك أنَّ أولاد جنكيز خان وأحفاده كانوا يتطلعون إلى حكم العالم، وبناء إمبراطورية عظيمة بعدما ترك لهم مؤسس دولتهم كماً هائلاً من الانتصارات التي أورثتهم ثقة كبيرة في النفس، وبالطبع القدرة على إكمال ما بدأه زعيمهم الراحل جنكيز خان [٤]. ومما يؤكد هذا ما رواه ابن كثير عن الجويني: "أن بعض عُبَّاد المغول كان يصعد الجبال في البرد الشَديد للعبادة، فسمع قائلًا يقولُ له: إنا قد ملَّكْنا جِنكيزخان وذريته وجه الأرض، وهنا يعلق الجويني قائلاً: فمشايخ المغول يصدقون بهذا، ويأخذونه مُسَلَّماً"[٥].

---

(١) م.م الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ج١، ص٣٤٥.

(٢) إيغلدن، كون، ذئب السهول (السيرة الملحمية للفاتح المغولي جنكيز خان)، ج٣، ص٣٧٢.

(٣) الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص٤٥.

(٤) شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٢٩.

(٥) البداية والنهاية، ج١٧، ص١٦٢.

٢. دلالة اسم جنكيز خان على استراتيجية المغول العسكرية

لقد خاض تيموجين مجموعة من الحروب بهدف توحيد القبائل المغولية، وكان لانتصاراته في تلك المعارك بالغ الأثر في علو شأنه وخاصة بعد انتصاره على أونك خان زعيم قبيلة الكرايت سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م[١]، إذا تذكر الرواية أنه وبعد النصر الذي حققه تيموجين لقب نفسه على سبيل العُجب والتمدح والافتخار بجنكيز خان، وقيل أن أحد الحاضرين في مجلسه كان عارفاً يدعي الكهانة وعلم الغيب، هو من لقبه بجنكيز خان الذي معناه شهنشاه، أي ملك الملوك[٢].

أما ما ورد عند الصياد عن أن لقب خان تأخر إلى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م بعد صدور دستور المغول الشهير المعروف بالياسا [٣]، فهذا يناقض فيه الكاتب نفسه عندما أرجع هو ذاته إطلاق لقب جنكيز خان على تيموجين عقب انتصار الأخير على قبيلة النايمان[٤] سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م[٥]، وبالفعل استغل جنكيز خان انتصاراته فدعا إلى اجتماع وطني للمغول (أو قوريلتاي) سنة١٢٠٦م/ ٦٠٣هـ، ثبت به نفسه كسيد للمغول دون منازع، كما ثبت له المجتمعون لقبه الجديد جنكيز خان، وخلع الاجتماع على جنكيز خان سمات إلهية؛ فهو الشخصية المثالية القادرة على تحقيق رغبات الشعب المغولي ببناء إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف تشمل جميع أجزاء العالم القديم آنذاك، وعندما وصلت هذه الأفكار إلى الطبقة الحاكمة في منغوليا أصبح هناك ضغط شديد لتنفيذها يتطلب اعتلاء جنكيز خان سدة الحكم؛ لهذا السبب وغيره ليس غريباً أن يردد

---

(١) قبيلة الكرايت: قوم من المغول موطنهم الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي، وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين، كانوا يدينون بالمسيحية، وقد ظلت قبائل الكرايت منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين أقوى قبائل المغول؛ الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص٢٨.

(٢) م.م الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ج١، ص٣٤٥-٢٤٦.

(٣) الياسا: هو كتاب وضعه جنكيز خان قرّر فيه عدد من القواعد والعقوبات سمّاه ياسه، ومن الناس من يسميه يسق، والأصل في اسمه ياسه، ولما تمم وضعه كتب ذلك نقشا في صفائح الفولاذ، وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٨٤.

(٤) النايمان: يبدو من اسمهم أنهم احدى قبائل المغول ومعنى اسمهم ثمانية، إلا أن ألقابهم كانت تركية لذا يمكن اعتبارهم مغول أتراك، كان النايمان يسكنون غرب منازل الكرايت، حيث امتدت منازلهم وحتى نهر ارتيش، كانت ديانتهم الشامانية إلا المسيحية النسطورية نفذت إليهم؛ الخالدي، إسماعيل: العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص٢٧.

(٥) الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص٤٨-٤٩.

المغول العبارة الشهيرة لسيدهم جنكيز خان: "هنالك شمس واحدة في السماء وسيد واحد على الأرض"[١].

**٣. استراتيجية المغول من خلال بعض رسائلهم**

أ- مفتتح رسالة تولي بن جنكيزخان سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م إلى ملوك الإسلام يدعوهم فيها لطاعته، ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم. يقول في مطلعها: "من نائب رب السماء، ماسح وجه الأرض، ملك الشرق والغرب خاقان"[٢].

يظهر من خلال مقدمة الرسالة أن تولي بن جنكيز خان يعتبر نفسه خليفة الله في الأرض لا يجوز أن ينازعه في أمر خلافتها أحد، فهو ملك الشرق والغرب يجب على جميع الناس طاعته في أمره ونهيه.

ب- رد كيوك على خطاب البابا أنوسنت الرابع سنة ١٢٤٦م/٦٤٤هـ: " عندما يصلك أمرنا، فأنك أيها البابا تحضر مع جميع الأمراء (يقصد ملوك الغرب الأوروبي) بصفة شخصية لخدمتنا، وحينئذ سوف أبلغك جميع أوامر الياسا"...ويمضي الخاقان في رسالته إلى البابا قائلاً: " تتعجب من المذابح الكثيرة للبشر وخاصة المسيحيين البولنديين، والمورافيين، والمجريين منهم...فذلك لأنهم لم يطيعوا كلمة الرب وأمر جنكيز خان ...فالأرض التي تقع بين شروق الشمس وغروبها قد خضعت لسلطاني"[٣].

وهنا يؤكد كيوك ما سبق وأن أشار إليه تولي أن الأرض من شرقها إلى غربها يجب أن تخضع لأمر القان المغولي، استجابة لأمر جنكيز خان الموكل بذلك من رب السماء، لقد كان المغول يعتقدون ذلك، يقول محمد صفا: نظراً لما حققه جنكيز خان من انتصارات رائعة...أخذ

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص١٦٢؛ شبور، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٢٤-٢٦؛ عكاشة، ثروت: إعصار من الشرق (جنكيز خان)، ص٩٤؛ فهمي، عبد السلام: تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص٣٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٥١.

(٣) هلال، عادل: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ص٦٤-٦٥.

الناس –المغول–يعتقدون أن جنكيز خان هو بوكدو–أي مبعوث الآلهة–، والممنوح سلطات واسعة من السماوات العليا [١].

ت– رسالة جوابية من هولاكو [٢] إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله [٣] سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م يقول فيها: " إنّ الله الأزلي رفع جنكيز خان، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب؛ فكل من سار معنا، وأطاعنا، واستقام قلبه ولسانه، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك"[٤].

في هذه الرسالة يؤكد هولاكو ما سبق إليه أسلافه أن الله منح جنكيز خان، وخلفاءه وجه الأرض، وحكم على سوى ملوك الأرض غير المغول بالهلاك، وهذه الرسالة تؤكد أن ذلك كان عقيدة يعتقد بها خلفاء المغول حتى ما بعد عهد جنكيز خان.

ث– رسالة هولاكو إلى الملك الناصر صاحب دمشق عقب سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م يقول فيها: "...أجب ملك البسيطة ولا تقولن: قلاعي المانعات، ورجالي المقاتلات، وقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت إليك هاربة، وإلى جانبك لائذة:

أين المفر ولا مفر لهارب ... ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضًا، وطولها عرضًا، والسلام"[٥].

---

(١) جنكيز خان الوحشي النابغة، ص١٠٣.

(٢) هولاكو: هو هولاكو بن تولى خان ابن چنكز خان المغليّ، ولى الملك بعد موت أبيه تولى قان، واتّسعت ممالكه، وعظم أمره، وكثرت جيوشه من المغول، وهو من احتل بغداد وفعل فيها الأفاعيل؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٤٧–٥١.

(٣) المستعصم بالله العباسي: هو عبد الله المستعصم بالله، أبو أحمد، أمير المؤمنين، الشهيد، ابن المستنصر بالله أَبِي جَعْفَر منصور ابن الظّاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد الهاشمي العباسي، البغدادي، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨١٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٧١.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٧١.

ج- رسالة ثانية من هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق وحلب يقول فيها: "...أجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره، وتنل بره، واسع إليه بأموالك ورجالك، ولا تعوق رسلنا، والسلام"(١).

ح- رسالة ثالثة من هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق وحلب يقول فيها: " أما بعد، فنحن جنود الله، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر، وطغى وتكبر، وبأمر الله ما ائتمر، إن عوتب تنمر، وإن روجع استمر، ونحن قد أهلكنا البلاد، وأبدنا العباد، وقتلنا النسوان والأولاد فيا أيها الباقون، أنتم بمن مضى لاحقون، ويا أيها الغافلون أنتم إليها تساقون، ونحن جيوش الهلكة، لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام، وملكنا لا يرام، ونزيلنا لا يضام، وعدلنا في ملكنا قد اشتهر، ومن سيوفنا أين المفر،

أين المفر ولا مفر لهارب ... ولنا البسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الأسود، وأصبحت ... في قبضتي الأمراء والخلفاء"(٢).

في رسائل هولاكو السابقة إلى الناصر صاحب دمشق وحلب يؤكد ما ذهب إليه في رسائله السابقة إلى خليفة بغداد، وهو أن على جميع ملوك الأرض السمع والطاعة للقان المغولي ملك الأرض المكلف من السماء بإدارة شؤون الأرض حسب العقيدة المغولية آنذاك.

خ- رسالة المغول لقطز في مصر: " من ملك الْمُلُوك شرقاً وغرباً القان الْأَعْظَم ...أنا نحن-أي المغول-جند الله فِي أرضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه... فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن خالفتم هلكتم فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم... فقد أنصفنا إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى.

"ألا قل لمصرها هلاون قد أتى بحد سيوف تنتضى وبواتر

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٥٢؛ ابن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٧١.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٥٣؛ الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٧٢؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥٢٧؛ انظر الملحق رقم (٦).

يصير أعز القوم منا أذلة ويلحق أطفالاً لهم بالأكابر" [1].

د- رسالة هولاكو إلى سلطان مصر عند الهمذاني يقول فيها: "إن الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان وأسرته، ومنحنا ممالك الأرض برمتها، وكل من يتمرد علينا، ويعصي أمرنا، يُقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقربائه والمتصلين به، وبلاده ورعاياه، كما بلغ ذلك أسماع الجميع، أما صيت جيشنا الذي لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار، فإذا كنت مطيعاً كخدم حضرتنا فأرسل إلينا الجزية، وأقدم بنفسك، واطلب الشحنة، وإلا فكن مستعداً للقتال"[2].

وأخيراً إن تكرار استخدام المغول هذه الألفاظ التي تدل على قناعتهم وأحقيتهم بحكم الأرض نتيجة المنحة الإلهية لجدهم جنكيز خان؛ يدلل على أن هذا الأمر بات عقيدة يعتقد بها المغول، وكذلك يظهر من خلال ما تم سرده من رسائل لعدد من زعماء المغول أن هناك هدف رئيس كان يسعى إليه كل خاقان مغولي يوليه المغول هذا المنصب، وهو إخضاع كل دول العالم وممالكه لسلطانه وحده، وفي هذا الجانب يقول عادل هلال: "كانت الاستراتيجية الثابتة لجنكيز خان وخلفائه من الأباطرة العظام هي إخضاع العالم بأسره لحكم المغول"[3]؛ ولتحقيق هذا الهدف الكبير استخدم المغول عدد من السياسات والتكتيكات التي سيتناولها الباحث في الفصل الثاني بإذنه تعالى.

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٨، ص٦٥؛ انظر الملحق رقم (١٢).

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٠.

(٣) العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ص٤٥.

## الفصل الثاني

## وسائل المغول في إيقاع الرعب في نفوس خصومهم

### أولًا: الوسائل المعنوية

### ثانيًا: الوسائل العسكرية

## أولًا: الوسائل المعنوية

كل يوم يمضي يثبت ما للحرب النفسية من نتائج كبيرة غيرت وجه التاريخ، وقبل أن أبدأ بالحديث عن استخدام المغول للحرب النفسية التي تهدف إلى إيقاع الرعب في نفوس الخصوم [١]، فيصبحوا عاجزين مستسلمين لا يثقون بأنفسهم ولا بقدراتهم [٢]، لا بد وفي هذا الإطار أن أشير إلى إلى ما يقول جمال الدين محفوظ: "الواقع أن علم النفس العسكري وخبرة الحروب يُجمِعان أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة، ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات، والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب؛ لأنها تستهدف في المقاتل: عقله وتفكيره وقلبه؛ لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادة القتال فيه، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة، ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية"[٣].

إذاً يظهر مما سبق أن الحرب النفسية تستهدف الروح المعنوية لدى الخصم، ولا يخفى على أحد أهمية الروح المعنوية كعامل نفسي يقود الناس سواء فرادى، أو مجتمعين إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من المواقف الرئيسة التي تحتاج إلى الجرأة والثبات والتضحية، وفي هذا الإطار يقول القائد الفرنسي نابليون: إن المعنويات بالنسبة إلى الجوانب المادية تشكل نسبة ثلاثة إلى واحد [٤]. وهذا ما يعكس القيمة المهمة لهذا الأمر في حياة الجيوش والأمم.

ولما كان المغول يهدفون إلى السيطرة على العالم اتبعوا في سبيل ذلك جميع الوسائل التي كانت كفيلة بتحقيق هذا الغرض، وفي هذا الإطار وصف أسلوبهم كاتب أوروبي بالقول: "كانت تعليمات جنكيز خان تقضي بأن يعم الرعب والهلع جميع الأرجاء عقب الضربة الأولى، وأن يعم الشلل الأرض ومن عليها، بإثارة الإحساس بالعجز التام كالذي تحدثه كارثة طبيعية لا مرد لها ولا وقاية منها، وبحيث يكون الشعور بأن كل مقاومة لن تكون سوى الجنون المطبق بعينه، إن المغول إخوان الشياطين، وقد أرسلهم الله غضباً ولعنة!"[٥].

---

(١) النجار، فهمي، الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، ص٦٤.

(٢) سميسم، حميدة، الحرب النفسية، ص١٠.

(٣) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ج١، ص٢٩.

(٤) الختاتنة، سامي: علم النفس العسكري، ص١٠٧-١٠٩.

(٥) صفا، محمد أسد الله: جنكيز خان، ص١٦٨.

ولتحقيق هذا الهدف –السيطرة على العالم–استخدم المغول نوعين من الحرب النفسية[١]:

١. الحرب النفسية الاستراتيجية: وهي الحرب التي تتميز بالشمول؛ لأنها تُوجَّه إلى جمهور كبير، ومساحة واسعة، غير محددة بزمان أو مكان، تُوجَّه عادة إلى شعب العدوّ، وقواته، والمناطق الموجودة تحت سيطرته؛ وذلك بهدف إضعاف المعنويات.
٢. الحرب النفسية التكتيكية: وتكون في حال الصدام المباشر، وتوجه عادة إلى جيش العدو في ميدان القتال، أو في قواعده العسكرية، أو ضد رعاياه في منطقة القتال؛ وتهدف إلى القضاء على مقاومة جيش العدو، أو مطالبة الشعب المنهزم بالتعاون مع القوات المنتصرة.

ويعلق تشرشل–أحد القادة الإنجليز–على فعالية الحرب النفسية في حسم المعارك الحربية بقوله: "كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ"[٢].

ولما كان المغول مدركين ما للحرب النفسية من فوائد كان ذلك وصية من وصاياهم، حيث يظهر ذلك في وصية منكوخان–ثالث خانات المغول–إلى أخيه هولاكو، وفيها يقول: "إنك الآن على رأس جيش كبير، وقوات لا حصر لها؛ فينبغي أن تسير من توران إلى إيران...حافظ على تقاليد جنكيز خان وقوانينه، في الكليات والجزئيات، وخص كل من يطيع أوامرك ويجتنب نواهيك، في الرقعة الممتدة من جيحون إلى أقصى بلاد مصر –بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك، ومن يعصيك فأغرقه بالذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه، وكل ما يتعلق به...وثق أنك بقوة الله العظيم، سوف تفتح ممالك الأعداء حتى يصير لك فيها مصايفاً ومشاتياً عديدة."[٣].

إن الناظر في رسالة منكو خان السابقة إلى هولاكو يجد أنها تركز على الروح المعنوية، لكن ليس فقط عند الأعداء بل عند جيش المغول ذاته، فمن المسلمات أن القائد المنهزم لا يمكن أن يصنع نصراً، انظر إلى قوله: إنك الآن على رأس جيش كبير، وقوات لا حصر لها. هو يلفت نظر هولاكو إلى القوة التي تحت يديه ليزيد بذلك ثقته بنفسه، وهذا بحد ذاته تعزيز مادي، ثم يقول: وثق أنك بقوة الله العظيم، سوف تفتح ممالك الأعداء حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتياً عديدة. وفي هذا تعزيز معنوي، ولفت هولاكو الى ما يعتقد المغول من أنهم خلفاء الله في الأرض [٤].

---

(١) سميسم، حميدة، الحرب النفسية، ص١٥.
(٢) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ج١، ص٢٩.
(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٦–٢٣٧.
(٤) ابن كثير: البادية والنهاية، ج١٧، ص١٦٢.

أما معنويات الجانب الأخر –الأعداء–فيجب ألا يقوم لها قائمة، فتقاليد جنكيز خان وتقاليده تقتضي أن يعم الرعب والخوف خصوم المغول، فلا يكونوا أمام خانات المغول إلا عبيداً مطيعين، وهذا ما أشارت إليه الرسالة السابقة.

والآن ستتناول الدراسة –بإذنه تعالى– الوسائل والأدوات التي استخدمها المغول في تحطيم معنويات الخصوم، وبث الرعب في نفوسهم؛ مما يؤدي بطبيعة الحال الى شل قدرتهم على التفكير والمقاومة، ومن هذه الوسائل التي اعتمد عليها المغول في تدمير الروح المعنوية لخصومهم: الإعداد والتجهيز، وإنباء الخصوم بإنجازات إمبراطورية المغول العسكرية والسياسية، والوسائل الدبلوماسية عن طريق السفراء الذين كانوا عادةً ما يحملون رسائل سياسية وعسكرية يريد المغول ايصالها للخصم، والاستفراد العسكري بالخصم المستهدف، وإشعار باقي الخصوم بما يمكن أن أُسميه بالأمان الكاذب لمن لم يأتِ دوره بعد.

**١. الإعداد والتجهيز:**

للتدريب والإعداد العسكري أهمية كبيرة في بث الرعب والهيبة في قلوب الخصوم، ولما كان الإعداد أمراً بالغ الأهمية جاء ذكره في كتاب الله آيةً تُتلى. قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}[١]. قال الطبري في تفسيره يبين معنى ما سبق من قوله تعالى: وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله { مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } أي: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل. {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}، أي: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين[٢].

يظهر أثر الإعداد كواحدة من أهم وسائل بث الرعب والخوف في قلوب الأعداء المتربصين، الذين يتربصون بالدولة التي يريدون لها الدمار والخراب، مما يجعلهم أكثر التزاماً بالعهد وحفظاً للحدود التي بينكم وبينهم، وليس ذلك إلا بسبب إعدادكم الذي أخافهم؛ فجعلهم يحسبون لغدرهم بكم ألف حساب.

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠

(٢) جامع البيان، ج١١، ص٢٤٤.

لذلك حينما يأتي الحديث عن وسائل المغول في بث الرعب في قلوب خصومهم، فمن المهم أن يبدأ الحديث عن هذه الوسيلة –الإعداد والتجهيز– عند المغول، وقد جاء ذلك بما ذكره المؤرخ الفارسي عطا الملك الجويني عن رحلات الصيد عند المغول، إذ كانوا يعنون بها عناية كبيرة، حيث أنهم أخذوها مأخذ الجد في تدريباتهم العسكرية وفقاً للقول القائل بأن: "صيد الوحوش يناسب أمير الجيوش"، ولما كانت تلك الرحلات رياضتهم المفضلة المحببة إلى نفوسهم، كانت كذلك وسيلتهم في إعداد أنفسهم، ففي حلبات الصيد يدرب المغول أنفسهم على ما سيفعلونه في وقت الحرب؛ لذلك أصبحت واجباً على أرباب القتال، ففي هذه المناورات يتعلم المقاتل من خلالها كيف يصل إلى الصيد وبأي أسلوب يصطاد، وكيف يصطفون للصيد، وكيف يطوقون الصيد حسب قلة الرجال أو كثرتهم، كل هذا يفيد المقاتل كما القائد المغولي في ميدان القتال وإدارة المعارك، وذلك في قوله كيف يصطاد وبأي اسلوب، وهذا بالضبط ما يحتاج من القائد المغولي أن يدرس ميدان الصيد كما ميدان المعركة، فيوزع على أساس ذلك الرجال وأعدادهم، وأسلحتهم، بل إن المغول كانوا إذا خرجوا للصيد أرسلوا قوات استطلاعية تفيهم بالمعلومات عن الصيد المستهدف، وأماكن وجوده، وأعداد الحيوانات التي يرغبون باصطيادها [1]، وهنا يتدرب العنصر المغولي على مهارة الرصد، والاستطلاع، وتقدير الأعداد، وكلها مهارات عسكرية تلزم المقاتل في ميادين القتال، أضف إلى ما سبق ما تحمله هذه الرحلات من مصاعب ومشاق يعتاد المقاتل المغولي خلالها على ما يكون في المعارك الحقيقية من هذا الأمر.

يروي الجويني قصة تلك المناورات العسكرية فيقول: ما أن يحل الشتاء حتى تصدر أوامر الخان لجند المغول بالاستعداد، فيصطفون كما يصطفون للحرب، ويفوضون الأمر للأمراء الكبار الذين يخرجون مع زوجاتهم، وما يلزمهم من المأكولات والمشروبات، فيضربون حلقة الصيد شهراً أو شهرين أو ثلاثة، فإذا حدث أثناء الصيد خطأ جَدَّ قادة المغول بالبحث عن السبب، إذ لا يتورعون في إنزال العقاب بالذي كان السبب في ذلك، سواء بالضرب بالعصا، أو أنواع أي التأديب الأخرى، ومما ورد عن المغول في هذا الشأن أنهم كانوا يرسلون تقارير الصيد إلى الخان أول بأول، كأن الأمر معركة حقيقية عليه أن يتابع نتائجها دون إهمال[2].

لقد أدرك المؤرخون العرب والمسلمون أهمية الصيد في تدريب الجند واعدادهم للقتال، ومن هذا ما ذكره ابن الطقطقي معلقاً على ما سبق من حديث الجويني: " إن القنص يشتمل على فوائد كثيرة

---

(١) انظر الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٧.

(٢) انظر الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٧-٦٩.

جليلة النّفع. منها–وهو الغرض الأشرف منه–تمرين العساكر على الرّكض، والكرّ والعطف، وتعويدهم الفروسيّة، وإدمانهم للرمي بالنشّاب، والضرب بالسّيف والدبّوس، واعتياد القتل والسّفك، وتقليل المبالاة بإراقة الدّماء وغصب النفوس، ومنها اختبار الخيول، ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض ومنها أن حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهضم وتحفظ صحّة المزاج، ومنها: فضل لحم الصيد على باقي اللحوم، لأنه بقلقه من الجوارح تثور حرارته الغريزيّة، فتزيد في حرارة الإنسان"(١).

يعلق الصاوي محمد الصاوي على هذه المباريات بقوله: إن مباريات الصيد التي كان يقيمها المغول تشبه إلى حد بعيد مناورات الجيوش في العصور الحديثة، بل هي كذلك بالفعل، وهذا يعد من السبق العسكري للمغول من ناحية التدريب العسكري (٢). أخيراً يصف الجويني جنود المغول بقوله:" وبالنظر إلى ترتيب الجيش منذ عهد آدم إلى الآن...لم يطالع في التاريخ ولم يسطر في كتاب أن أحداً من الملوك الذين كانوا مالكين لرقاب الأمم مسيطرين عليها قد تيسر له جند كجيش التتار، فقد كانوا صابرين وقت الشدة والرفاهية، شاكرين في السراء والضراء، منفذين للأوامر، مطيعين لأمر الجيوش لا يتوقعون مكافأة أو إقطاعاً ولا ينتظرون دخلاً أو مجداً وتلك أفضل العادات والسبل في ترتيب الجيش وإعداده...وأي جيش يستطيع أن يكون كجيش المغول؟، فهم وقت العمل وفي أثناء الهجوم والقنص سباع ضارية، وفي أثناء السلام والفراغ كالأغنام تدر اللبن وتنتج الصوف ومنافع كثيرة أخرى"(٣).

ومن وصف الجويني للجيش المغولي يظهر مدى الرعب الذي اختمر في نفوس الناس من هذا الجيش وانضباطه، وقدراته العسكرية.

أما الإعداد والتجهيز عند خلفاء جنكيز خان، فيظهر جليًا حين تولى منكو خان زعامة المغول سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، فبمجرد جلوسه على العرش، وفراغه من ترتيب شؤون المملكة الداخلية بدأ يتطلع إلى إخضاع الأقاليم المجاورة لمملكته بما في ذلك الخلافة العباسية، ومن أجل ذلك أرسل أخيه هولاكو ٦٥١هـ/١٢٥٣م؛ لإخضاع فارس والعراق(٤)، لكن وقبل أن يقوم الجيش بمهمته في فارس والعراق بدأ منكو خان بالإعداد والتجهيز لهذه الحملة المهمة، فأرسل إلى بلاد الخطا ليُحضر

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص٥٩.

(٢) هولاكو الأمير السفاح، ص٧٢.

(٣) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٩.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٦١–٢٦٣؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٦.

منها ألف أسرة من المدربين على استعمال أدوات القتال، وهذا نوع من أنواع الحشد العسكري للطاقات، ثم قام بإرسال المرشدين، والفنيين، والمهندسين الذين قاموا بدراسة الطرق التي سيمر منها الجيش المغولي، وكما يقول الهمذاني لم يكن مهمة هؤلاء دراسة صلاحية الطرق، بل وتجهيزها؛ ليتمكن الجيش المغولي من السير فيها دون مشاكل تعترض طريقه[١]، لدرجة أنهم حرصوا على أن ينظفوا الطرق من الحجارة والأشواك[٢]؛ أي تعبيد الطرق وتجهيزها، يذكر أن الطريق من الصين إلى العراق مع طولها وبعدها فإنها تمتاز بطبيعة جبلية قاسية حيث إن منطقة طاجاكستان وأفغانستان وفارس بها موانع طبيعية كثيرة[٣]، مع ذلك تم اعتبار هذه الطرق من قرارقورم –عاصمة المغول– وحتى نهر جيحون بجميع مزارعها ومراعيها مناطق محرمة؛ وذلك لتأمين الطعام والحشائش لدواب جيش المغول وخيولهم ذات الأعداد الهائلة جداً، ثم أقاموا الجسور على الأنهار، والمجاري السريعة، وذلك ليصل الجيش المغولي إلى مبتغاه في فارس والعراق دون أية معوقات، كما وعمل منكو خان على توفير التموين اللازم للجيش من دقيق وخمر من جميع أنحاء مملكة المغول العظيمة [٤].

**٢. الدعاية:**

تعتبر الدعاية أقدم الوسائل التي استخدمها البشر منذ آلاف السنين، وخاصة أولئك الذين يتطلعون للسيطرة بوصفها سلاحاً من أسلحة الحرب النفسية، إذ يعود أقدم دليل على استخدامها في الاستراتيجية العسكرية إلى القرن الخامس قبل الميلاد [٥].

أما تعريف الدعاية هي: استخدام كافة الوسائل المتاحة لنقل رسالة معينة الى طرف معين بغية التأثير في الروح المعنوية لديه[٦]، دون أن يستخدم صاحب الدعاية أيّ أسلوب من أساليب القوة كالتهديد، أو التخويف، ومع هذا فليست الدعاية والرعب بأمرين متناقضين، بل يمكن أن يكون العنف مكملاً للدعاية، فإظهار القوة والنجاح والنصر جزء من العملية الدعائية [٧]، وهذا بالضبط

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٥.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٨.

(٣) السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص١٠٣.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٥–٢٣٦.

(٥) سميسم، حميدة: الحرب النفسية، ص٥٧.

(٦) الزغلول، عماد: علم النفس العسكري، ص١٧٤.

(٧) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ص٩٣.

ما استخدمه جنكيز خان مع سلطان الدولة الخوارزمية علاء الدين محمد خوارزم شاه، إذ أرسل له رسالة حين عاد إلى بخارى، بعد حملته الفاشلة في غزو بغداد سنة٦١٥هـ/١٢١٨م يقول فيها: "ليس يخفى عليّ عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، ولقد علمت بسطة ملكك، وإنفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات، وأنت عندي مثل أعز أولادي، وغير خاف عليك أيضاً أني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك، وقد أذعنت لي القبائل، وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر، ومعادن الفضة، وأن فيها الغنية عن طلب غيرها"[١]. في هذه الرسالة أنبأ جنكيز خان خصمه ملك الخوارزمية عن جملة إنجازاته في البلاد التي يملكها، والتي تذخر بقوة عسكرية واقتصادية رهيبة، ثم وكأنه كان يريد أن يوحي إلى سلطان خوارزم أنه ومهما بلغت عظمة دولتك وقوتها، ستبقى أنت أقل شأناً مني في أحسن أحوالك كواحد من أبنائي ليس أكثر، هذه الرسالة حققت هدفها بشكل كامل ومذهل، وفي هذا يقول النسوي: لما جاءت رسل جنكيز خان تطلب من سلطان خوارزم تسليم حاكم أترار[٢] ينال خان، أمسك السلطان عن تسير ينال خان على رعب خامر في قلبه، وخوف سلب لبه[٣]، ومن أنواع الدعاية العسكرية التي استخدمها خلفاء جنكيز خان ما كان من أمر الاحتفال العظيم، الذي أقامه منكو خان حين تم الانتهاء من إعداد حملة هولاكو العسكرية الكبيرة إلى بلاد إيران، والعراق سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م [٤].

وهذا قمة الفهم لمعنى الحرب النفسية، وكأن انتهاء التحضير لهذه الحملة كان أمراً عظيماً يستحق الاحتفال، وتقبل لأجله التهاني، وهو كذلك. وهذا بالضبط ما يحدث اليوم في الدول المتقدمة، اذ أنه ما إن يتم انجاز عمل معين بنجاح؛ حتى يحتفل بذلك قادة الدولة وزعماؤها، وهذا جزء من الحرب النفسية التي تهدف إلى إلقاء الرعب في قلوب الخصوم.

---

(١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٣.

(٢) أترار: مدينة من بلاد الترك آخر ولاية خوارزمشاه بما وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب، وهي مدينة حصينة وولاية واسعة؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢١٨؛ ابن شمائل: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١، ص٩٢؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص١٤٥.

(٣) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٧.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٥-٢٣٦.

**٣. العملاء:**

يعتبر أسلوب العملاء من أهم الأساليب التي لجأت لها المجتمعات والأمم على مر العصور؛ لمواجهة خصومها وأعدائها وضرب استقرارهم والروح المعنوية عندهم[١]؛ ليترتب على ذلك تحقيق الأهداف والتطلعات التي يصبو إليها مستخدماً هذا الأسلوب الخطير، لكن وفي هذا الجزء من الدراسة سأتكلم عن تغلل العيون المغولية في الأوساط الإسلامية المستهدفة من قبل الغزاة المغول، ومن أولئك العيون أو الجواسيس الذين عملوا ضد المسلمين في البلاد الإسلامية، وكان لهم دور في تمكين المغول نصير الدين الطوسي[٢]، حيث كان له بالغ الأثر في القضاء على قلاع الإسماعلية وتسليمها وزعيمها خورشاه، الذي غرر به نصير الدين الطوسي؛ فسلمه إلى هولاكو ليستلم الأخير منه جميع الحصون والقلاع التي ملكاها أجداده دهوراً وأزماناً على أيسر الوجوه وأسلم السبل بعد أن كاد المغول أن يفشلوا في الاستيلاء عليها، وبهذا تأكد هولاكو من صدق الخواجة نصير الدين الطوسي الذي خان أولياءه الذين عمل في خدمتهم زماناً طويلاً، فسلمهم للسيف والقتل[٣].

ولما كان ما سبق ذكره هو في أمر طوسي مع أبناء ملته وبني قومه، فإن حاله مع خليفة بني العباس أشد وأنكى[٤]، ولن أنتقل للحديث عن خائنٍ آخر إلا بعد أن أكشف عن دور هذا الشيعي في تدمير بغداد وقتل أهلها، إذ يذكر الهمذاني أن هولاكو لما أراد قصد بغداد أخذ يستشير بذلك الأمراء والمنجمين، فحذره من ذلك المنجم حسام الدين، الذي كان يصاحب الحملة بأمر من منكو خان، وخوفه، لكن نصير الدين الطوسي نقد كلام حسام الدين وشجع هولاكو على قصد دار الخلافة، وكان مما قال نصير الدين الطوسي في هذا الأمر: لم تقع أية واقعة من هذه الأحداث – التي خوف بها حسام الدين هولاكو–...بل إنَّ هولاكو سيحل محل الخليفة، ثم استشهد قائلاً: لقد

---

(١) حماد، فتحي: العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهد الزنكي والأيوبي، ص٥.

(٢) نصير الدين الطوسي: هو محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي؛ كان رأسًا في علم الأوائل، خاصة في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق كبار العلماء، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا منزلة عالية عند هولاكو؛ الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٤٦.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٥٣–٢٥٨؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٨.

(٤) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج٣، ص٥٠٧.

استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور ولم يحدث فساد قط، أما فيما يخص العباسيين فقد قتل عدد من خلفائهم ولم يقع شيء[١].

على أثر هذه المناظرة بين نصير الدين الطوسي والمنجم حسام الدين؛ عقد هولاكو النية على قصد بغداد وتدمير دار الخلافة؛ فصدرت أوامره لجيوش المغول في بلاد الروم أن تتحرك صوب بغداد عن طريق إربل والموصل؛ لتحاصر المدينة العظيمة من الناحية الغربية، وتنتظر حتى تأتي جيوش هولاكو من الناحية الشرقية، وبدأت الجيوش تقترب من عاصمة الخلافة شيئاً فشيئاً [٢]، كل هذا بسبب تشجيع هذا الخائن لجيش المغول وقائده هولاكو على غزو بغداد، واقتلاع الخلافة، بل إن الخواجة نصير الدين أنبأ هولاكو –كما سبق–أنه سيحلّ محلّ الخليفة. أيّ تشيع، ثم أي خيانة جعلت من نصير الدين أداة لرفع معنويات المغول، ووسيلة لإغرائهم في بلاد المسلمين.

أما ما يسوقه الشيعة اليوم من أدلة لتبرير ما صنع الطوسي من خيانة وعار، فإن الناظر الجيد في تسلسل الأحداث المتمعن في مجرياتها يرى عكس ذلك، وفي هذا الإطار يقول غسان وشاح: إن مبررات الشيعة تفتقر إلى الأدلة التاريخية، فالأمة الإسلامية لم تكن لها حاجة إلى الفلاسفة أمثال الطوسي، بالقدر الذي كانت حاجتها إلى من يدرأ عنها شر المغول الذين قتلوا الناس وهدموا الحضارة، ثم إنَّ هولاكو كان يستخدم الطوسي بدرجة أولى في تحقيق مآربه الحربية ضد الأمة الإسلامية [٣].

لا يمكن الحديث عن الخيانة دون ذكر ابن العلقمي[٤] وما فعله ببغداد وأهلها وخليفتها المستعصم بالله العباسي، لقد كان ابن العلقمي يُعرف بحقده على أهل السنة والجماعة ومذهبهم[٥]، وفي هذا يقول العصامي واصفًا إياه: "كان رافضيًا سبابًا مستوليًا على المستعصم عدوًا له ولأهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن، وكان دائرًا على طمس آثار السنة وإعلاء البدعة"[٦].

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٧٨–٢٨٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٨١–٢٨٣.

(٣) موقف الشيعة من الغزو المغولي للعراق، ص١٠١.

(٤) ابن العلقمي: هو الوزير العباسي مؤيد الدين محمد بن علي بن أبي طالب البغدادي الرافض، ولي وزارة الخلافة أربع عشر سنة زمن المستعصم بالله العباسي، وكان حاقدًا على أهل السنة، ويذكر أن ابن العلقمي قبل كان قبل الوزارة أستاذ دار الخلافة؛ بن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٧٣؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٤، ص٢٨٤؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٨٤.

(٥) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٨٤.

(٦) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٨.

لذلك كان يضمر في قلبه لأهل السنة الكيد، ولخليفة بني العباس الشر، فقد تعهد بذلك لأبناء ملته من شيعة زمانه، بل وتشهد الوقائع التاريخية عليه بذلك[١].

**موقف ابن العلقمي من الغزو المغولي للعراق:**

إنَّ موقف الوزير ابن العلقمي من الغزو المغولي للعراق هو موقف في غاية الخزي والعار، إذ وصل بموقفه من الخيانة أعلى درجاتها[٢]، وفي ذلك يقول عنه الصفدي: لقد سعى ابن العلقمي في دمار الإسلام وخراب بغداد[٣]، كما وصف ابن كثير فعله فقال: ثم مالأ ابن العلقمي على الإسلام وأهله المغول أصحاب هولاكو حتى جاؤوا فجاسوا خلال الديار وكان أمراً مفعولًا[٤]، وقال الذهبي يصف خيانته للإسلام بقوله: "وحفر للأمة قليبًا[٥]"[٦].

ولما كان ابن العلقمي على هذه الدرجة من الحقد على خلافة بني العباس خصوصاً وأهل السنة عموماً، إذ كان يضمر منذ بداية أمره في الوزارة الشر لبني العباس ولأهل السنة في العراق؛ لذلك كما يقول سليمان عودة: لم تكن مكاتبته للمغول الأولى في مسلسل خيانته، بل سبقها خطوات مهدت لهذه الخطوة الطريق[٧]، كيف لا والحديث يدور عن أربعة عشرة سنة مكثها ابن العلقمي متحكماً متسلطاً باسم وزارة بني العباس[٨]؛ لقد اتخذ ابن العلقمي من موقعه الذي هو فيه وسيلة لإضعاف سلطة الخلافة وهز كيانها، فعمل على إضعاف جيش الخلافة؛ حيث أنه لما تولى المستعصم الخلافة سنة ٦٤٠هـ/١٢٥٢م كان تعداد جيشها يبلغ مائة آلف فارس[٩]، لكن الله ابتلاه ببطانة سوء حسنت له ترك الجهاد والإعداد له، إذ كان من بين تيك البطانة وزيره مدمر الدين ابن العلقمي الذي أشار عليه بقطع أرزاق الجند، وإسقاط أسهمهم من الديوان، وبالتالي تقليص أعدادهم إلى أن وصل عدد جيش الخلافة العباسية في آخر الأمر إلى عشرة آلاف مقاتل فقط؛ وبذلك يزيد جمعه للمال فيُداري بذلك المال المغول؛ ليبعد شرهم عن الخلافة إذ لا حاجة للخليفة بالجنود كما

---

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٤٨.

(٢) العودة، سليمان: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، ص٥٥.

(٣) الوافي بالوفيات، ج١، ص١٥١.

(٤) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٠.

(٥) قليبًا: بئرًا؛ الأزدي: جمهرة اللغة، ج٣، ص١٣٠١.

(٦) انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٨٧.

(٧) العودة، سليمان: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، ص٥٦.

(٨) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٢٨٤؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ص١١٢.

(٩) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٩٤.

يقول ابن تغري في النجوم الزاهرة[١]، وقد انبرى بعض الشعراء يصفون ما وصل له حال الجند ببغداد.

وفي ذلك يقول مجد الدين النشابي:

| | |
|---|---|
| يا سائلي ولمحض الحق يرتاد | أَصِخْ فعندي نشدان وإنشاد |
| واسمع فعندي روايات تحققها | دراية وأحاديث وإسناد |
| فهم ذكي وقلب حاذق يقظ | وخاطر لنقود النقد نقاد |
| عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا | وحماه جهلًا برأي فيه افساد[٢] |

مع ما سبق لم يقتصر دور ابن العلقمي على إضعاف بغداد من الناحية العسكرية فحسب، بل عمل كذلك على تدمير اقتصادها، وجعل أهلها مجموعة من العالة الذين ليس بهم أمل في نصرة دين ولا صد عدو غاشم، همهم جمع قوت يومهم، وسداد ما فرضه عليهم من الضرائب التي أرهقت ظهورهم، وفي ذلك يقول الذهبي يصف المستعصم حين ولى ابن العلقمي الوزارة: " ثم إنه استوزر المؤيد ابن العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، وحسن له جمع الأموال"[٣]، ومن أعماله التي كان يبغي من ورائها ضرب الخلافة، وإشاعة الفرقة والخلاف؛ إذ كان ينتهز كل فرصة في بذر بذور الخلاف والشقاق بين قادة بغداد وأمرائها؛ وذلك ليزيد من ضعفها الذي أصبح ظاهرًا حتى لعامة الناس وبسطائهم[٤]، وبعد أن قطع الرجل شوطًا كبيرًا في إضعاف البلد وتهيئتها للسقوط، رأى أن يوجه لها ضربة كانت من أشدّ ضرباته، ألا وهي إشاعة الاضطراب، وانعدام الأمن، فلقد حمله البعض مسؤولية الفتنة في بغداد[٥]، حيث يقول ابن تغري بذلك صراحة:" ولا زال–ابن العلقمي– يثير الفتن بين أهل السّنّة والرافضة حتى تجالدوا بالسيوف"[٦]، وها هو شبولر يصف الفترة التي كانت جموع المغول تهدد بغداد الخلافة فيقول: في الوقت الذي كانت فيه جحافل المغول

---

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٤٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩٠؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦٠؛ القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص٨٩.

(٢) مجد الدين النشابي: أسعد بن إبراهيم بن حسن الأجل مجد الدين النشابي الكاتب الإربلي، ولد بإربل سنة اثنتين وثمانين، وكان في صباه نشابياً وتنقل في الجزيرة والشام، ثم ولي كتابة الإنشاء لصاحب إربل، ونفذه رسولاً إلى الخليفة ثم كان في صحبته؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٨٠.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٦٢–٢٦٣.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٧٠.

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٤٧.

تهدد بحرق عاصمة الخلافة كانت بغداد تتعرض لأقسى ظروف الفوضى. أمام هذه المعطيات رجح غسان وشاح: أن تكون مرحلة الفلتان والفوضى التي شهدتها بغداد هي آخر حلقات المؤامرة التي قام بها الشيعة وعلى رأسهم ابن العلقمي –لعنه الله–وذلك لاستنزاف ما تبقى من موارد البلاد؛ لتكون بذلك فريسة سهلة جاهزة لأن يتسلمها الغازي المغولي بأقل الأثمان [١].

كان لنجاح ابن العلقمي فيما سبق من خطوات أدت إلى تجريد الخلافة من قوتها التي كانت تردع بها كل طامع يريد ببغداد وأهلها شرًا، مشجعًا له ومحفزًا ليبدأ ذلك الخائن في إكمال خطواته ضد الخلافة، لكن هذه المرة بكل ثقة، ولما لا وقد فوض له الخليفة كل أمره، بل فوض له أمر الأمة ورقاب الناس الذين عاشوا في كنف بغداد آنذاك[٢]، حيث رأى ابن العلقمي أن يبدأ بمراسلة المغول، وذلك حين رأى ما أثمرته جهوده في إضعاف بغداد وإنهاكها، كاتب المغول ذلك العدو الذي أسدى للأمة الإسلامية ضربات مؤلمة[٣]؛ ليضربوا الخلافة الضربة الأخيرة التي لا يمكن أن تنهض بعدها إلا أن يشاء الله تعالى.

وبعد أن قضى هولاكو على طائفة الإسماعلية، وجاءت سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، لاحت الفرصة الكبيرة التي طال انتظارها عند الوزير ابن العلقمي، فأخذ يُراسل هولاكو [٤] حيث أرسل إلى المغول غلامه وأخاه في غفلة من الخليفة الغافل أصلًا[٥]، طمعًا في أن تكون له الأمور من بعده؛ فينصر الشيعة، وينتقم من أهل السنة، وفي ذلك يقول ابن كثير: "أراد الوزير ابن العلقمي –قبحه الله ولعنه–، أن يُعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد، ويستمر بالمشاهد ومحالّ الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون عِلْمَهُمْ وعَلَمَهُمْ بها وعليها" [٦].

كان ابن العلقمي من خلال رسائله إلى هولاكو يشرح للأخير حال بغداد وأخبارها، بل ويُعرفه بصورة أخذها، أي أنه –لعنه الله–يشرح له نقاط قوتها، ونقاط ضعفها، ومن ذلك حال عسكرها وخليفتها [٧]، لكن ما أثار عجبي هو أن أمر خيانة ابن العلقمي للخلافة، ومراسلته للمغول

---

(١) موقف الشيعة من الغزو المغولي للعراق، ص٩٠.

(٢) العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٦.

(٣) أرنولد، توماس: الدعوة الى الإسلام، ص١٨٨.

(٤) الذهبي: العبر في تاريخ من غبر، ج٣، ص٢٧٧؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٩٠.

(٥) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٢٠، ٤٨؛ الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٨.

(٦) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦٢.

(٧) العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٨.

قد شاع في بغداد، حتى علم بذلك قادة جيش الخلافة، ولكن الخليفة لم يُحدث شيءً إيذاء ذلك حين بلغه الخبر، وفي هذا يذكر الهمذاني: أن الخليفة استدعى مجاهد الدين الدواتدار – أحد أبرز قادة جيش الخلافة– حين بلغه من ابن العلقمي قيادة الدواتدار لمؤامرة ضده؛ فلما سأل الخليفة مجاهد الدين عن ذل رد قائلًا: "...أما هذا الوزير المزور المخادع، فقد حمله الشيطان بعيدًا عن الطريق المستقيم، واختمرت في ذهنه المظلم فكرة الولاء والميل إلى هولاكو خان وجيش المغول، ...إنه عدو الخليفة، فهو يتبادل مع هولاكو خان الجواسيس" (١).

وبالتالي يمكن تفسير هذه الواقعة بالقول أن ثقة الخليفة بوزيره ابن العلقمي وصلت حدًّا لا يتطرق إليه شك، فابن العلقمي عند الخليفة أجل خواصه الذين لا يمكنه الاستغناء عنهم في أي حال من الأحوال، باختصار لا أنسب من أن يقال في هكذا حال إلا ما أبدعته أقلام أعداء الأمة آنذاك حين لخصت هذه الأحداث، وما سبقها بعبارة واحدة كتبوها على سهم من سهامهم وهي: "إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم" (٢).

**٤. الإشاعات:**

تعد الإشاعات من أقدم الوسائل التي استخدمها الإنسان كأحد أهم وسائل الحرب النفسية، فالإشاعة قديمة قدم الإنسان، إذ أنها كانت السبب وراء إعدام الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط الذي أُشيع أنه يحرض الشباب على الثورة على إمبراطور زمانه، كما أن المؤرخين يعلمون فعل المغول مع الإشاعات وكيف استفادوا منها لإنزال الرعب في نفوس أعدائهم، وذلك من خلال تضخيم أعداد قواتهم، وشراسة مقاتليهم (٣).

أما تعريف الإشاعة، فليس من السهل تحديدها بتعريف؛ لأنها تحمل معاني كثيرة لأغراض متعددة، لكنها مع ذلك تنطلق بفكرة معينة، مرتبطة بواقعة معينة، في مجتمع معين من حيث الزمان والمكان، فيغلب إن لم يكن عدم الصحة، على الأقل الصحة الجزئية، حيث أنها تخالط الأسطورة من جانب، والفكاهة والنكتة من جانب آخر، وبهذا يمكن أن يقال عنها وسيلة من وسائل التعبير عن حالات الكبت النفسي الجماعي والفردي (٤).

---

(١) جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٦٣.

(٢) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٧.

(٣) الزغلول، عماد: علم النفس العسكري، ص١٦٤.

(٤) سميسم، حميدة: الحرب النفسية، ص٩٢.

لكن هنا يجب علينا وقبل الحديث عن أهداف الإشاعة، وبعض الأمثلة التي عايشها المسلمون فترة الغزو المغولي أن نذكر تعريفًا يمكن الاعتماد عليه كمعنى للإشاعة؛ لذلك فإن من التعريفات التي وضعت لمعنى هذه الكلمة: "أنها ترويج لخبر مختلق، لا أساس له من الواقع، أو تعمد المبالغة أو التهويل والتشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي المحلي، أو الإقليمي، أو النوعي؛ تحقيقًا لأهداف سياسية، أو اقتصادية، أو عسكرية، على نطاق دولة، أو عدة دول، أو على النطاق العالمي بأجمعه"(١).

ولترويج الإشاعات داخل الصف المسلم؛ استطاع المغول الوصول والسيطرة على عقول بعض الكّتاب من ذات المسلمين؛ ليقوموا عن غير قصد بحملة إعلامية موجهة داخل البلاد الإسلامية، يعظمون فيها إمكانيات التتار وقدراتهم، ويقللون جدًا من إمكانيات المسلمين؛ حتى لا يتخيل مسلم أنه يحارب تترياً، فتجد أن كتب المؤرخين المسلمين امتلأت بكلمات غريبة تخدم هذه الحالة(٢)؛ فملأت قلوب الناس في أرجاء الأرض الإسلامية رعبًا من توقع وصول المغول إليهم بأي وقت وأي لحظة، ومن هذه الإشاعات، أن المغول لا يحتاجون إلى ميرة، ولا إلى المدد، فإنهم معهم الأغنام، والبقر، والخيل، وغير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير، فإذا نزل المغول منزلًا لا يحتاجون إلى شيء من الخارج،... ولا يحرمون شيئًا، إذ أنهم يأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها(٣)، وبعد هذا السرد قد يقول قائل لماذا لا يكون هذا الكلام صحيح؟ حيث إن الذي أورد هذا الكلام هو ابن الأثير والسيوطي وهما من أبرز مؤرخي الإسلام، لكن معظم المؤرخين يدركوا بأن ابن الأثير كما غيره من المسلمين دخل الرعب إلى قلبه، وأيقن هلكة الإسلام وأهله، كيف لا؟ وهو من قال: " قد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدِّم إليها رجلًا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قَبْلَ حدوثها وكنت نسيًا منسيًا"(٤). ثم إن الذي يتكلم فيه الرجل مخالف للطبيعة البشرية التي تقتضي الحاجة إلى اللحم وغيره من المزروعات –فواكه وخضار–ولما كان ذلك طبيعة الإنسان الذي نعرف الى عصرنا هذا، فإن طبيعة الخيل أنه يأكل العشب والشعير، وأن طبيعة قدميه ترفض فكرة أنه كان يحفر الأرض بحثًا عن عروق النبات، ويؤكد ما ذهبت إليه سرده الهمذاني في معرض ذكره عن الإعداد المغولي

---

(١) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ج١، ص٩٩.

(٢) السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية الى عين جالوت، ص١٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٣٤، ص٣٥٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٣٣.

لغزو بغداد، إذ أن منكو خان قام بإرسال المرشدين، والفنيين، والمهندسين لدراسة وتجهيز الطرق التي سيمر منها الجيش المغولي، حيث تم اعتبار هذه الطرق من قرارقورم –عاصمة المغول– وحتى نهر جيحون بجميع مزارعها ومراعيها مناطق محرمة؛ وذلك لتأمين الطعام والحشائش لدواب جيش المغول وخيولهم ذات الأعداد الهائلة جدًا، ثم حرص منكو خان على توفير التموين اللازم للجيش من دقيق وخمر من جميع أنحاء مملكة المغول العظيمة[١].

**٥. الشعر:**

هو من أهم فنون الأدب في اللغة العربية، إذ يمتاز الشعر عن غيره من فنون اللغة أنه يتجه أولًا إلى مخاطبة الوجدان والعواطف لا الإدراك والتفكير، فغرضه الأساسي هو الإيحاء بالحقائق والأحاسيس، إذ يسيطر على أساليبه الخيال، ويكثر في عباراته التشبيه واستخدام الكلمات والعبارات في غير ما وضعت له عن طريق الكناية والمجاز، ويبدو فيه النفور من تحليل الحقائق وكراهة التعمق في الشرح والاستدلال[٢]؛ لذلك يعد الشعر من أهم عوامل التأثير حيث أنه حينما يخاطب الوجدان والعواطف يؤثر على السلوك، ومن شواهد ذلك ما رواه عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه أنه قال: يا رسول الله، ما تقول في الشعر، فقال: " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل"[٣]، وورد عنه كذلك –صلى الله عليه وسلم–أنه قال لحسان بن ثابت: " أهجهم–أَو هاجهم–وروح الْقُدس مَعَك"[٤]، هذا من السيرة النبوية، أما فيما تلى عصر النبوة، فالتاريخ يزخر بمثل هذه المواقف، ومثال ذلك ما حدث مع معاوية بن أبي سفيان[٥] – رضي الله عنه– إذ يقول: هممت أن أترك أرض القتال يوم صفين إلا أني لما وضعت قدمي في آلَة الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الإطنابة[٦]:

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٥–٢٣٦.

(٢) وافي، علي: علم اللغة، ص١٨٧.

(٣) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٤٥، ص١٤٨.

(٤) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٠، ص٦١٧؛ السمعاني: تفسير القرآن، ج٤، ص٧٣.

(٥) معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، واسم أبي سفيان صخر بن حرب ولي الشام، ومات بدمشق يوم الخميس للنصف من رجب سنة ستين وهو بن ثمان وسبعين سنة؛ بن حبان: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ص٨٥.

(٦) عمرو بن الإطنابة: هو شاعر جاهلي من الخزرج له هذه الأبيات المشهورة التي أنشدها أبو تمام في الحماسة؛ ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص١٨٩.

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فكانت هذه الأبيات سببًا في ثباته–رضي الله عن الجميع–حيث أنه نادى بعدها بعمرو بن العاص [١] قائلًا: اليوم صبرٌ وغداً فخرٌ، فقال له عمرو: صدقت [٢]، مما سبق يظهر بجلاء مدى تأثير الشعر على مجرى الأحداث، وكيف أنه كان سببًا في كتابة التاريخ.

أما المغول فقد عرفوا قدرة الشعر على خِطَابِ النفس سلبًا أو إيجابًا، فكانت رسائلهم لا تخلوا من الأبيات الشعرية التي تدعو الخصم الى الاستسلام والخنوع، ومن هذه الأبيات بعض ما جاء في رسائلهم الى غرمائهم، حيث أرسل القائد المغولي هولاكو إلى الملك الناصر صاحب دمشق رسالة يقول فيها:

أين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الأسود، وأصبحت في قبضتي الأمراء والخلفاء[٣]

ثم قال له في غرور ونحن إليكم صائرون، ولكم الهرب وعلينا الطلب:

ستعلم ليلى أي دين تداينت وأي غريم بالتقاضي غريمها[٤]

ومن الأشعار التي استخدمها المغول في إرعاب خصومهم ما كان من أمر رسالتهم إلى قطز صاحب مصر آنذاك:

أَلا قل لمصرها هلاون قد أتى بِحدّ سيوف تُنضى وبواتر

يصير أعز القوم منا أذلة ويلحق أطفالًا لهم بالأكابر[٥]

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب أبو عبد الله، ويقال أبو محمد القرشي السهمي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤٦، ص١٠٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٢٣-٥٢٤؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج١، ص٥٢٩.

(٣) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج١، ص٦١٢.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٣-٣٣٤.

(٥) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

وهذه أمثلة مباشرة على بعض ما استخدمه المغول في هذا المجال من حربهم النفسية على العالم الإسلامي.

**٦. الرسائل المغولية:**

لقد برع المغول في استخدام الرسائل السياسية كجزء من الحرب النفسية، فكانت عباراتها قوية إلى القدر الذي يترك بالغ الأثر في نفوس الخصوم، وكما هو معروف فإن أعلم الناس بنفوس أهل البلد هم من عاشوا معهم، فأكلوا من طعامهم، وشربوا من مائهم، وعاملوهم بالدينار والدرهم، فكانوا في يوم من الأيام منهم، إلا أن هناك صنف من البشر ينسلخ من جلده كما تنسلخ الأفاعي والعياذ بالله، فيبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، فقد كانت رسائل المغول قوية في عباراتها مخيفة بكلماتها، استخدموا فيها كل ما يزيد في قدرتها على التأثير من آيات قرآنية، وأبيات شعرية. في ذلك يقول غسان وشاح: أُرجح أنه من الممكن أن يكون كاتب هذه الرسائل هو نصير الدين الطوسي، إلا أنَّ الباحث هنا يؤكد ذلك بعد الوصول إلى ما قاله ابن عربشاه في هذا الإطار: " ثم إني وجدت في نسخة محا مر الدهور، بتقادمه مدادها، وبيض كر العصور، على وجه الزمان من شيبها سوادها، صورة هذا الكتاب، وهيئة هذا الخطاب، من إنشاء نصير الدين الطوسي، على لسان هولاكو التتري، مرسلًا ذلك إلى سلطان مصر "[١].

وهذا دليل أن المغول قد استخدموا الخونة من الأدباء، والشعراء، والكتَّاب العرب؛ ليلقوا الرعب في قلوب أبناء جنسهم، حيث إنَّ تمكن هؤلاء من اللغة ومعرفة خباياها، وصل إلى درجة لم يصل لها المغول في أي حال من الأحوال، كيف لا؟ وهم الذين نشؤوا بين ربوع أهلها، فدرسوا العلم والآدب منذ نعومة أظفارهم.

وقبل أن تتطرق الدراسة إلى هذه الرسائل وقوة عباراتها أردت أن أُلقي نظرة على حال الرسل الذين استخدمهم المغول في إيصال رسالة الرعب والهلع لقلوب الخصوم من المسلمين، لهذا فإن الناظر في حال رسل جنكيز خان إلى سلطان خوارزم محمد بن خوارزم شاه قبل مقتل "تجار" المغول سنة٦١٦هـ/ ١٢١٩م، يرى أن رسل جنكيز خان كانوا ينحدرون في أصلهم من مدن تابعة لسلطان الدولة الخوارزمية (خوارزم – بخارى – أترار)، وهم محمود الخوارزمي، وخواجه البخاري، ويوسف كنكا الأترارى، ثم يرى ذكاءهم، إذ لما اختلى السلطان الخوارزمي بمحمود الخوارزمي وأدرك الأخير مدى غيظ السلطان غير أسلوبه كما يقول النسوي: "تبدل لطف الكلام بالخصام،

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص١٣٨.

وأعرض عن النصح ومال إلى الاسترحام، استخلاصًا من أنياب الحِمام"[١]، وهذا ابن كثير يصف رسول تولي ابن جنكيز خان الى ملوك المسلمين فيقول: " وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان، لطيف الأخلاق"[٢] لكن لطيف الأخلاق هذا كان له مهمة محددة يعرفها جيدًا هي إلقاء الرعب في نفوس المسلمين إذ وما إن وصل أرض الإسلام وخالط أهلها حتى بدأ يحدثهم بأمور لا يقبلها عقل، ولم ترد في نص، وكان مما قال: "أن في البلاد المتاخمة للسد –يعني سور الصين العظيم– أناسًا أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم، يأكلون السمك"[٣].

من خلال ما سبق ندرك بوضوح مدى الذكاء التي تمتع به القادة المغول حين أرسلوا إلى أعدائهم رُسلًا من بني جلدتهم، حيث جاء في تفسير ابن أبي حاتم في معرض الحديث عن قوله تعالى: "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ"[٤]، وهذا يؤكد هذا المعنى الذي ذهب إليه الباحث وهو أن كل جنس يأتي بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو بعث الله –تعالى– الرسل–عليهم السلام–إلى البشر ملائكة؛ لنفروا من مقاربتهم، ولما أنسوا بهم [٥]؛ لذا كان المغول يختارون رسل أعدائهم من جنسهم ليسهل عليهم مخالطتهم ومعرفة حالهم على حقيقتهم من جهة، وإيصال الرسالة المغولية على وجهها الأتمّ بلاغة، وفصاحة، وبيان من جهة أخرى.

أما الأسلوب الذي كتبت فيه الرسائل المغولية فقد كان وبكل صدق غاية في البراعة، إذ إنَّ كاتبه أجاد في استخدامه كوسيلة لتدمير الروح المعنوية للخصم وزرع الرعب في قلبه، وهذه بعض الأمثلة:

أ- رد الخان المغولي على لويس التاسع ملك فرنسا سنة٦٤٨هـ/ ١٢٥١م: "...لن تعرف معنى السلام إلا إذا عقدته معنا...لذلك ننصحك أن تبعث إلينا عامًا بعد عام بشيء من ذهبك وفضتك... فإن لم تفعل هذا دمرناك أنت وشعبك كما فعلنا مع غيرك من الملوك..."[٦].

---

(١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٣-٨٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٥١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٥٢.

(٤) سورة الأنعام: آية ٩

(٥) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ج١٢، ٣٦٧.

(٦) هلال، عادل: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ص٧٤؛ رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ٤٤٨.

الناظر لهذه الرسالة يجدها تخلو من الدبلوماسية، بل أجدها تحمل كل معاني التهديد والوعيد لمن يخرج عن طاعة خان المغول الأعظم، ولا يقوم "بواجبه" الذي هو وبكل وضوح إرسال ضريبة من المال تكون حائلًا والغضب المغولي.

ب- رسالة هولاكو خان إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م يقول فيها:

" ... كل من سار معنا-أي المغول-، وأطاعنا، واستقام قلبه ولسانه، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه، ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك... ثم عاتب الخليفة بشدة قائلًا: لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور في الدولة الفانية، بحيث لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وإن في أذنيك وقرًا؛ فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك، وإذن فعليك أن تكون مستعدًا للحرب والقتال، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد" (١).

هنا يؤكد هولاكو على أن السبيل الوحيد للعيش هو طاعة المغول الأقوياء عددًا وعدة، ولكن هولاكو نبه الخليفة إلى ضعفه، وبعده عن منهج أسلافه؛ ليهز ثقته بنفسه، ولعل هذه الرسالة تحمل في طياتها أحد أهم أهداف الحرب النفسية، وهي التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للخصم، وهو ما يعني أن النصر في نظر هولاكو بات محسومًا، وما على الخليفة إلا الاستسلام(٢).

وعلى نفس الدرب سار المغول في باقي رسائلهم، هدفهم الأول زرع الرعب في قلوب خصومهم؛ فلا يجيدون بدً من الاستسلام والطاعة "لأسياد الأرض".

٧. بناء المغول للتحالفات السياسية والعسكرية

لقد تأخر المغول كثيرًا في الإقدام على هذه الخطوة، وفهمها، وعلى مر تاريخهم لم يعرفوا معنى الأحلاف، إلا في عهد الزعيم المغولي منكو خان، فبعد أن جلس على عرش الإمبراطورية سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، راودته أحلامه التوسعية في زيادة مساحة إمبراطوريته على حساب الممالك المجاورة، فالمغول لم يكونوا-كما أسلفت-يرون ملوكًا على الأرض غيرهم(٣)؛ لذلك الهدف فقط رأى منكو خان ضرورة إقامة أحلاف عسكرية تأتي الدراسة على ذكر شيء منها:

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٧١؛ انظر الملحق رقم (٢)

(٢) خطاب، محمود: بين العقيدة والقيادة، ص١٠٩.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٦١-٢٦٣؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٣٦؛ السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٩٤.

أ- لما عزم هولاكو على قصد بلاد الإسماعلية أرسل إلى أمراء البلاد المجاورة رسالة يقول فيها: "بناءً على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة...فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم، وستحمد لكم مواقفكم، أما إذا تهاونتم في امتثال الأوامر وأهملتم، فإننا حين نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة؛ فإننا لا نقبل عذركم..." فما أن بانت رايات هولاكو حتى تسابق الأمراء يقدمون له فروض الطاعة والولاء [١].

الناظر في أمر الرسالة يرى فيها أمر سيدٍ لأتباعه، وهكذا كان المغول ينظرون إلى غيرهم، ولما لا ينظرون إليهم هذه النظرة وقد أظهروا للمغول من الذلة ما أغرى بهم هؤلاء المجرمين.

ب-الحلف المغولي/اللاتيني ضد المسلمين [٢]: كان للأحداث التي طرأت على منطقة الشرق الإسلامي مع نهاية النصف الأول من القرن الثالث عشر، والتي كان أبرزها هزيمة لويس التاسع في المنصورة بمصر سنة٦٤٨هـ/١٢٥٠م دور كبير في إبرام هذا التحالف [٣]؛ ففي سنة٦٥٣هـ/١٢٥٦م وصل ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الأول إلى عاصمة الماغول قراقورم؛ لتقديم فروض الولاء والطاعة الى خان المغول منكو خان [٤].

وفي هذا يقول راغب السرجاني معلقًا على ما سبق من هذه التحالفات التي لم تكن على أرض الواقع سوى نوع من أنواع الحرب النفسية التي تهدف لإلقاء الرعب في نفس الخصم: " إن الاتحاد مع مملكة أرمينيا سيكون له عامل نفسي كبير عند المسلمين، فالحرب مع التتار شيء، ومع قوات "التحالف" شيء آخر، ومع أن القوات المتحالفة مع التتار لا تمثل شيئًا بالمرة بالنسبة إلى التتار، إلا أن كلمة التحالف لها وقع خاص جدًا على قلوب الناس"[٥].

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٤٠.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٤٨٠.

(٣) لويس التاسع: ريدا فرنس، ومعناها ملك فرنسا، وهو من أجل ملوك الفرنج، وأعظمهم قدراً، وأوسعهم مملكة، وأكثرهم عساكر وأموالاً وبلاداً؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٩٩-٢٠٠؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٨-٢٥٩؛ فريد، محمد: تاريخ الدولة العلية، ص٨٢.

(٤) هلال، عادل: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ص٩٧.

(٥) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٩٧.

## ثانيًا: الوسائل العسكرية

يصف المؤرخ الغربي توماس أرنولد الهمجية المغولية فيقول: "لا يعرف الإسلام من بين ما نزلت به من الخطوب والويلات خطبًا أشد هولًا من غزوات المغول، فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قنن الجبال، واكتسحت في طريقها المراكز الإسلامية، فأتت على كل ما كان من مدنية وثقافة؛ فتركوا تاركين وراءهم تلك البلاد صحراوات خالية وأطلالًا دارسة، وكانت تقوم فيها قبل ذلك القصور الملكية الفخمة المحاطة بالحدائق الغناء والمروج الخضراء"(١).

من ذلك يظهر أن المغول استخدموا في تنفيذ هجماتهم ضد العالم الإسلامي كل وسائل البطش والقتل والتدمير؛ وذلك لإدخال الرعب في نفوس خصومهم من المسلمين، وفي هذا الفصل من هذه الدراسة سيتطرق الباحث إلى الوسائل الحربية التي كان لها بالغ الأثر في قلوب العالم أجمع ملوك ومملوكيين، حكام ومحكومين.

لقد لعبت الوسائل العسكرية التي استخدمها المغول ضد خصومهم دورًا فاعلًا في نشر الخوف والفزع، فأضحى اسم المغول بذلك لعنة وكابوسًا يطارد الناس لا يأمن أحد شرهم، ولا غدرهم، ومن أبرز تلك الوسائل:

١. القتل أو الإبادة:

يعتبر القتل وسيلة من وسائل الإرهاب؛ إذ أن النفس تمتنع عن ارتكاب أعمال عقوبة فاعلها القتل، ودليل ما ذهبت إليه قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} (٢)، قال مقاتل: "يعني بقاء يحجز بعضكم عن بعض يا أولي الألباب يعني مَنْ كان له لب أو عقل فذكر القصاص فيحجزه الخوف عن القتل، لعلكم؛ يعني لكي تتقون الدماء مخافة القصاص"(٣)، ولما كان القتل وسيلة إرهاب استخدمه المغول بأبشع الصور؛ ذلك ليلقوا المهابة والرعب في قلوب الناس (٤)، يقول السيوطي عنهم: "ليس في قتلهم استثناء، ولا إبقاء، يقتلون الرجال والنساء والأطفال، وكأن قصدهم إفناء النوع، وإبادة العالم، لا قصد الملك والمال،...مشهورون بالشر والغدر"(٥)، وعن

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، ص١٨٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٧٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، ص١٥٩.

(٤) انظر أرنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، ص١٨٨.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٣٣٠.

أمثلة القتل التي انتهجها المغول سأتحدث مسلّطًا الضوء على وسيلة أخرى من وسائل الرعب التي كان لها بالغ الأثر في الانتصارات المغولية الرهيبة، في هذا الإطار يقول عصام شبارو:" إن جنكيز خان حقق مطامعه عن طريق الرعب والعنف، فجعل الرعب من خصائص نظام حكمه وأقام من المذابح الجماعية نظامًا ثابتًا مشروعًا يعتبر جانبًا من سياسته الحربية، وبذلك أنزل المغول عقوبة الموت بالأعداء سواء أظهروا المقاومة، أو الإذعان والاستسلام، فلم يحترموا وعودهم بالأمان"[١].

لكن محمد أسد الله صفا حين تحدث عن مذابح المغول شكك في عدد القتلى، على اعتبار أن ما ذكرته المصادر التاريخية فيه مبالغة كبيرة، وهذا القول لا يستقيم ولا يصح حتى فيما كتبه صفا ذاته، حيث يقرّ هو بالمذابح قائلاً: كانت مذابح المغول أسلوبًا، وهدفًا استراتيجيًا، وتكتيكيًا على السواء، فالنظام اللوجستيكي المغولي[٢] لم يكن يساعدهم على البقاء لفترة طويلة في عملية حصار لمدينة أو قلعة حصينة؛ خوفاً من نقص الغذاء والعتاد، فكانوا ينتهجون نهج الذبح والقتل سبيلًا لإرهاب المدن والحصون، وإجبارها على الاستسلام دون قتال أو مقاومة[٣].

مع ما سبق فإن الباحث يؤكد أن المغول ارتكبوا عديد المذابح والجرائم التي لم يسمع بمثيلها من قبل [٤]، ومن جرائمهم التي سجلتها صفحات التاريخ:

**أ- مذبحة أترار[٥] (٦١٦هـ/١٢١٩م):**

كانت أترار هي أول المدن التي قصدها المغول بجيش كثيف وجمع عظيم، فحاصروا القلعة من جميع جهاتها، لتستمر بعد ذلك مقاومة المدينة الحصينة خمسة أشهر، ولكن الخطب اشتدّ على أهلها فهانت عزائمهم، فحاول بعضهم الهرب إلا أن المغول قبضوا على الهاربين واقتحموا المدينة، وكما يقول الجويني: ثم ساقوا أهلها برهم وفاجرهم سوق الخراف، كما قاموا بنهب المدينة

---

(١) السلاطين المماليك في المشرق العربي، ص٦٦.

(٢) النظام اللوجستيكي للمغول: هو أن الجندي المغولي يحصل على حاجاته وتموينه من البلاد المعادية التي يقاتلها؛ صفا، محمد: جنكيز خان، ص١٣٣.

(٣) صفا، محمد: جنكيز خان، ص١٣٤-١٣٥.

(٤) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٣.

(٥) أترار: مدينة على الحدود الشرقية للدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر تقع على نهر سيحون قرب فاراب كانت تعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢١٨؛ الصلابي، علي: دولة المغول والتتار، ص١٠٨.

بعد قتل أهلها غير أصحاب الحرف، أما حاكم المدينة فقد حرص المغول على أسره [١]؛ ليذيقوه العذاب الذي يشفي غليلهم، إذ لما قبض المغول على ينال خان جاؤوا به إلى جنكيز خان الذي أمر بدوره بسبك الفضة وقلبها في أذنيه وعينيه؛ فقتل من جراء ذلك [٢]، يقول الصياد معلقًا على استيلاء المغول على أترار: ما إن دخل المغول المدينة حتى بادروا أهلها بالقتل مدفوعين بحقد دفين مزروع في نفوسهم انتقامًا لتجارهم الذين قتلهم ينال خان [٣] أمّا سقوط المدينة من ناحية استراتيجية فإنه يعتبر سقوط لجميع بلاد ما وراء النهر [٤].

**ب-مذبحة بخارى[٥] (٦١٦هـ/١٢٢٠م)**

فبعد أن أعطى جنكيز خان الأمان لأهل بخارى، أمرهم أن يخرجوا له الذخيرة والسلاح وما هو للسلطان، ففعل أهل بخارى ذلك، ثم أمرهم أن يساعدوه على قتال من تحصن بقلعة بخارى رافضين التسليم وكانوا أربعة مائة من فرسان المسلمين، وبعد أن فرغ المغول من أهل القلعة، أمر وجهاء الناس ورؤساءهم أن يخرجوا من البلد ليس معهم إلا ثيابهم، ثم أمر الجند أن يدخلوا البلد فينهبوا ويقتلوا كل من وجدوه في طريقهم، فعلا البكاء، وسبيت النساء، وارتكب المغول كل قبيح، حتى قال ابن الأثير: "وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء العظيم، والناس ينظرون ويبكون، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئًا مما نزل بهم"[٦].

وهذا ابن كثير يصف حال أهل بخارى بعد أن سلم أهلها أمرهم إلى جنكيز خان فيقول: " فقتلوا من أهلها خلقًا لا يعلمهم إلا الله -عز وجل-، وأسروا الذرية والنساء، وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر؛ فعذب بأنواع العذاب، وكثر البكاء والضجيج بالبلد"[٧].

---

(١) الجويني: فاتح العالم، ص١١١-١١٤.

(٢) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٩١.

(٣) الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص١١٣.

(٤)حطيط، أحمد: حروب المغول، ص٣٢؛ الصلابي، علي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص١١٤.

(٥) بخارى: مدينة كبيرة حصينة مساحتها اثنى عشر فرسخًا، وهي بلاد عامرة من بلاد ما وراء النهر، ذات مكان رطب، ومياه جارية، كما أن أهلها رماة وغزاة؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٢٦.

(٦) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٠.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٨٠.

وهكذا شرّد الغول أهل بخارى الذين اشتهروا بالعلم والفنون، بعد أن أصبحت المدينة أطلالًا بالية، وقد روى المؤرخون أن أحد سكان بخارى الذي استطاع الهرب الى إقليم خرسان فنقل لأهل الإقليم صورة ما كان من أمر بخارى بعبارة صغيرة موجزة: "أتوا فخربوا، واحرقوا، وقتلوا، ونهبوا، ثم ذهبوا"(١).

**ت-مذبحة سمرقند (٢) (٦١٧هـ/١٢٢٠م)**

بعد بخارى زحف جنكيز خان إلى سمرقند، وكغيرها من المدن السابقة حاولت الصمود، ولكن الرعب في تلك الفترة سيطر على قلوب العباد، وأصبح كل واحد يرجو نجاته ونجاة أهله ليس إلا، ففُتحت الأبواب للمغول، وأُعْمِلَ السيف بأهلها؛ فباتوا بين قتيل وجريح وذليل، وفي هذا يقول ابن العبري: أن جنكيز خان قتل في ليلة واحدة من أهل سمرقند ثلاثين ألفًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله (٣).

**ث-مذبحة خوارزم (٤) (٦١٧هـ/١٢٢٠م)**

يقول ابن الأثير يصف ما حل في خوارزم بعد أن احتلها المغول: لقد بذل أهل خوارزم جهدهم في دفع المغول، إلا أن جيوش المغول كانت بالنسبة إلى أهل البلد كبيرة جدًا؛ لذلك ملك المغول البلد، وأعملوا السيف في أهلها، ثم إنهم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عن البلد، فدخله الماء، فغرق البلد جميعه، وتهدمت الأبنية، ولم يسلم من أهله أحد البتة، فمن اختفى من المغول غَرَقَهُ الماء أو قتله الهدم، فأصبحت خرابًا يبابًا، وكان غيره من البلاد قد كان يَسْلَمُ بعض أهله، منهم من يختفي، ومنهم من يهرب، ومنهم من يخرج ثم يسلم، ومنهم من يلقِ نفسه بين القتلى فينجُ(٥).

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٥؛ حمدي، حافظ: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٤٥.

(٢) سمرقند: مدينة حسنة كبيرة على جنوبي وادي الصغد وقصبة الصغد، وهي مدينة لها شوارع ومجالات متسعة، ومبان وقصور سامية، وفنادق وحمامات وخانات، وعليها سور تراب منيع يطيف بها خندق، وهي كثيرة الخصب والنعم والفواكه، ولها أربعة أبواب، ويدخل المدينة ماء جلب إليها على جهة الجنوب على باب كش، وهو نهر قد بني له قنطرة عالية على الأرض في بعض المواضع إلى أن يدخل المدينة، ويشق أسواقها، ويعم أكثر قصور المدينة؛ الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٤٩٧.

(٣) تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٥.

(٤) خوارزم: مدينة عظيمة على شاطئ جيحون، وأهل خوارزم يسمّونها بلسانهم كركانج، فعرّبت إلى الجرجانية، وكان يقال لمدينة خوارزم في القديم فيل، ثم قيل لها المنصورة؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٢.

(٥) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٦١.

أما وصف الجويني لاحتلال خوارزم فهو كما قال:" ثم استولى المغول على المدينة حيًا حيًا، وبيتًا بيتًا، وهدموا وقتلوا جميع الخلق بها حتى تمكنوا من الاستيلاء عليها بتمامها، وعندئذ ساقوا الأهالي إلى الصحراء...وأخذوا الأطفال والفتيات وأسروهم، وقسموا باقي الرجال على الجيش فقتل كل واحد من الجنود المقاتلين أربعة وعشرين من الرجال [١]. قال الله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [٢].

وهنا يعلق الصياد على سقوط خوارزم فيقول: وهكذا زالت من عالم الوجود مدينة جرجانية (خوارزم) بعد حصار طويل، وهي التي كانت زينة المدن اتساعًا، وعمرانًا، واكتظاظًا بالسكان، لقد كانت عاصمة كبيرة تزخر بالمدارس والمكتبات، وتموج بالعلماء والشعراء والأدباء [٣].

ان المتأمل بكلام الصياد يدرك حجم الأسى الذي يعتصر قلب كل مُطلع على حال المدينة قبل وبعد الغزو المغولي. يقول ابن الأثير في ذلك:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر [٤]

### ج- احتلال نسا [٥] والقضاء على أهلها (٦١٧هـ/١٢٢٠م)

ولما دخل المغول نسا أحدثوا فيها كما المدن التي سبقتها مجزرة رهيبة وصفها النسوي فقال: فلما طلع الفجر نزل المغول على أهل النسا من سور المدينة، وساقوهم إلى فضاء وراء البساتين يسمى غدربان، كأنهم قطعان ماشية تسوقها الرعاة...إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء الواسع ومع الناس صغارهم ونسائهم، والضجيج يشق جلباب السماء، وكذا الصياح يشق منافذ الهواء، ثم أمر المغول الناس أن يكتف بعضهم بعضًا، ففعلوا ذلك خذلانًا، ولو أنهم تفرقوا وطلبوا الخلاص عدوًا من غير قتال لنجا أكثرهم؛ إذ أن الجبل قريب منهم، ثم جاء المغزل بالقوس وأضجعوا الناس على الحجارة؛ ليقتلوهم، ويطعموهم بذلك الفعل الشنيع سباع الأرض، وطيور الهواء، ثم يكمل النسوي

---

(١) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص١٥٠.

(٢) سورة سبأ: آية ١٩.

(٣) المغول في التاريخ، ص١٢٨.

(٤) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٦١.

(٥) نسا: هي مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد يوم، وبين نيسابور ستة أو سبعة؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٢.

المشهد بحزنٍ فيقول: فمن دماء مسفوكة، وستور منهوكة، وصغار على ثدي أمهاتها المقتولة متروكة، لقد قتل المغول من أهلها ذلك اليوم ما يقارب السبعين ألفًا [١].

لقد بالغ المغول في سفك الدماء، فلم ينجو من شرهم صغير يرضع، ولا شيخ يركع، قتلوا المحارب والمسالم، القاعد والمجاهد؛ لعل الله أراد من ذلك أن يرى المسلمون آياته لما غرهم الأمل، وأعرضوا عن العمل. قال تعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ...}[٢]

### ح- مذبحة مدينة مرو [٣] (٦١٨هـ/١٢٢١م)

بعد ذلك أرسل المغول إلى أهل مرو يعرضون عليهم الاستسلام، فوافق أهل البلد على ذلك إذ أدركوا أن لا طاقة لهم بمقاومة المغول، وأرسلوا إلى تولوي بن جنكيز خان فريقًا من وجهاء المدينة، فلما تمكن منهم المغول قبضوا عليهم، وأمروهم أن يكتبوا قائمة بأسماء التجار وأرباب الأموال، كما الحرفيين والصناع، ثم أمر المغول أن يخرج أهل البلد بأهليهم، ففعلوا ذلك، وجلس تولوي على كرسي من ذهب يلقي أوامره، ويقضي على أهل مرو قضاءه، فكان أولى أوامره أن يُحضر أجناد مرو الأسرى؛ فأحضروا، وضربت رقابهم والناس ينظرون إليهم ويبكون [٤].

ثم قام المغول بتقسيم الناس، وفصل الرجال عن النساء، والأبناء عن الأمهات، وأخذوا ما أعجبهم من الفتيان والفتيات أسرى، استمروا بذلك طوال أربعة أيام بلياليها [٥]. يقول ابن الأثير: "فلما كان اليوم الرابِع أمر بقتل أهل البلد كافة، وقال: هؤلاء عصوا علينا، فقتلوهم أجمعين، وأمر بإحصاء القتلى، فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل"[٦].

وفي هذا يقول الجويني: يمكن القول إجمالًا واختصارًا أن كل فرد من جيش المغول قام بقتل ثلاثمائة أو أربعمائة شخص، ثم يعلق الجويني على بشاعة ما كان ببيت من الشعر قال فيه:

---

(١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص١١٤-١١٥.

(٢) سورة التوبة: آية ٨

(٣) مرو: من أجل مدن خرسان، وهي في بلاد فارس قديمًا، افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي، في خلافة عثمان -رضي الله عن الجميع-سنة إحدى وثلاثين، وهي تقع الآن في دولة تركمانستان المسلمة على بعد حوالي ٢٥٠ كيلو متر شرق مدينة بلخ الأفغانية؛ اليعقوبي: البلدان، ص٩٨؛ الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٤، ص١٢١٦؛ السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٩٧.

(٤) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٩.

(٥) انظر الجويني: فاتح العالم، ج١، ص١٨٠.

(٦) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٩.

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا

وبعد أن غادر الجيش المغولي المدينة بقي عز الدين نابه –أحد كبار السادات والزهاد في زمانه–يُحصي أعداد القتلى مع جماعة من الناس لمدة ثلاثة عشر يومًا، حتى بلغ ما أحصوه ممن استطاعوا العثور عليه بخلاف من قتلوا في الصحاري، والأوكار، والقرى مليون وثلاثمائة ألف قتيل على الأقل [١].

ثم يعلق السرجاني على إبادة أهل مرو –رحمهم الله–فيقول: هذا ما لم يُتخيَّلْ، حقًا إنه لم يمرّ على البشرية منذ خلق الله آدم الى اليوم ما يشبه هذه الأفعال لا من قريب، ولا من بعيد، لقد فنيت مدينة مرو، واختفى ذكرها من التاريخ، مُسحت من الخارطة، فلا حول ولا قوة إلا بالله [٢].

ويعود اختلاف الجويني وابن الأثير في أعداد القتلى إلى ضخامة العدد الذي كان حقًا وبدون أدنى شك كبيرًا جدًا، بل إن هذا أحد آثار الصدمة النفسية التي عانى منها المجتمع الإسلامي، ومع هذا فأنا أميل لترجيح ما ذكره الجويني؛ لأنه اعتمد عند ذكره لأعداد القتلى على رجل تولى بنفسه عملية إحصائهم، أما ابن الأثير، فإنّه يمكن أن يكون علمه بأعدادهم هو من طريق أحد الفارين من بطش المغول وظلمهم، فأنبأه بأعدادهم بشكل تقديري يعتمد على التخمين، لا على الإحصاء الدقيق كما قام بذلك عز الدين نابه، ثم إن مرو مدينة عظيمة جليلة كبيرة واسعة حاضنة للعلم والعلماء[٣].

خ– مذبحة نيسابور [٤] (٦١٧هـ/١٢٢٠م)

ثم سار المغول بقيادة تولوي بن جنكيز خان إلى نيسابور فحاصروها خمسة أيام، وبعد ذلك فتحت المدينة أبوابها، ليسوق المغول أهلها إلى الصحراء؛ ليقتلوهم، كما فعلوا بمرو، وأهلها، يقول ابن الأثير: "وكانوا لما قتلوا أهل مرو قيل لهم إن قتلاهم سلم منهم كثير، ونجوا إلى بلاد الإسلام، فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم؛ لئلا يسلم من القتل أحد"[٥].

---

(١) انظر فاتح العالم، ج١، ص١٨٠–١٨٢.

(٢) قصة التتار من البداية الى عين جالوت، ص٤٢.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١١٤.

(٤) نيسابور: مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل حسنة وعمارة، كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات، جامعة لأنواع المسرات، وعتبة الشرق، ثم إنّها كانت مجمع العلماء ومعدن الفضلاء (وهي الآن في الشمال الشرقي لدولة إيران)؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧٣.

(٥) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٦٠.

رحم الله القائل:

"تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبّر قبيح" [١]

فعلًا والله تغيرت البلاد، لما قُتل أهلها، فأصبحت حصيدًا كأن لم تغنَ بالأمس، حتى إنَّ الذي يرى جرائم المغول، وقتلهم للناس يظن أن هؤلاء القوم لم يبعثوا إلا للقتل والتخريب، يقول الجويني: لم يتركوا بها ديارًا أو نفسًا تنبض بالحياة، حتى قتلوا الكلاب والقطط، فجعلوا من لحوم أهلها طعامًا للنسور، والذئاب [٢].

د- مذبحة بغداد الخلافة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)

بدأ الهجوم المغولي على بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٣]، فحاول جيش الخلافة المتهالك أصلًا -كما مر معنا- أن يصد الهجوم المغولي لكن بلا جدوى، وهنا يروي ابن الطقطقي عن صديقه فلك الدين محمد بن أيدمر فيقول: "كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام، في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة، فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل، فكان الفارس منا يخرج إلى المبارزة، وتحته فرس عربي وعليه سلاح تام كأنه وفرسه الجبل العظيم، ثم يخرج إليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار، وفي يده رمح كأنه المغزل، وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه، ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر"[٤]، بعد هذه الكسرة العظيمة فرض هولاكو على بغداد حصارًا شديدًا، وأمَرَ على كل باب من أبواب السور الذي بناه للإحاطة بالمدينة أميرًا من أمراء المغول، يذكر ابن الفوطي ذلك فيقول: لما وصل جيش المغول أسوار بغداد أمرهم هولاكو بحفر خندق حول المدينة، حيث صنعوا من رمال ما حفروا سدًا أحاطوا به بالمدينة، وجعلوا من خلال السد أبوابًا يشرفون من خلالها على مداخل ومخارج بغداد[٥]، ثم أقاموا حصارًا بحريًا وأمر هولاكو جيشه بأن يقيموا جسرًا على النهر في أعلى بغداد، وآخر في أسفلها، ويعدّوا السفن، إذ رابط أكثر من عشرة آلاف جندي مغولي، على طريق المدائن والبصرة؛ ليصدوا كل من يحاول الهرب

(١) البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٦٨.

(٢) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص١٩٣.

(٣) انظر الملحق رقم (٦).

(٤) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٨٥.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٢-٢٣٣.

بالسفن ويمنعوه من ذلك؛ عندها انهارت معنويات المسلمين، وأيقنوا الهلكة، وقال الخليفة: "سأُسلّم وسأُطيع"[١].

لما بلغ الوضع هذا المبلغ من السوء أشار ابن العلقمي على الخليفة بالخروج إلى هولاكو ليبذل له الطاعة والخضوع والانقياد، وكان مما قال له: "إن هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر وحسن له الخروج الى هولاكو"[٢]، فخرج الخليفة في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل هولاكو حُجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر رجلًا، ثم أُنزل البقية عن مراكبهم ودوابهم التي نُهبت، وقُتل أصحابها عن آخرهم [٣]. بعد ذلك أمر هولاكو ابن العلقمي أن يعود إلى بغداد فيخرج منها من تبقى من العلماء والأعيان، ففعل ذلك حيث ادعى كاذبًا بأن هولاكو يريدهم –أعيان بغداد– كي يحضروا عقد ابنته على ابن الخليفة؛ فلما خرجوا أمر هولاكو بضرب أعناقهم جميعًا[٤]. يقول السبكي واصفًا هذا المشهد:" فأُنزِل الخليفة في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد؛ فضَرَبوا أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم، ثم طلب حاشية الخليفة فضَرَبَ أعناق الجميع ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم"[٥]، وبذلك أصبحت البلاد كما يقول ابن العماد: بدون راعي يرعى شؤونها ويقود إلى النجاة أهلها[٦]. ومن المعلوم أن غياب القيادة المسلمة عن القاعدة يتسبب في ضياعها وتشتت أمرها [٧].

ثم قال هولاكو للخليفة: "مُر حتى يضع الناس أسلحتهم، ويخرجوا لكي نحصيهم"، فنادى الخليفة بالناس أن يضعوا أسلحتهم ويخرجوا، فكان الناس يخرجون جماعات كل جماعة تخرج تقتل، وفي يوم الأربعاء ٧ صفر٦٥٦هـ/١٣ شباط ١٢٥٨م بدأ الاقتحام المغولي الرهيب لبغداد، إذ اندفع المغول كما يقول الهمذاني: "يحرقون الأخضر واليابس"[٨]، واستمر القتل وذبح أهل بغداد بضع

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٨٨.

(٢) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص٩١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٨.

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٥٠؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٩؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩١؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٩٤.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٧١؛ النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص٤٩–٥٠.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٦٨.

(٧) السديري، توفيق: الإسلام والدستور، ص١٤٥،

(٨) جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٩١.

وثلاثين يومًا، وعند بعض المؤرخين أربعين يومًا ودماء الموحدين تنزف[١]، يقول ابن كثير –رحمه الله–: كان الناس يجتمعون في الخانات، ويغلقون أبوابها على أنفسهم، فيفتحها جنود المغول إما بالكسر أو بالنار، ثم يدخلون عليهم؛ فيهرب الناس منهم إلى أعالي المكان، فيقتلونهم في الأسطحة، حتى تجري بالمزاريب الدماء[٢]. يقول الذهبي –رحمه الله–يصف المشهد:" وجرت السيول من الدماء"[٣].

قبل أن أنتقل بالحديث عن أعداد القتلى في هذه المذبحة العظيمة يجب الإشارة إلى أن المغول مع أنهم كانوا يهدفون إلى قتل الناس عمومًا، إلا أنهم أرادوا أن يفنوا نسل بني العباس، فأقاموا فيهم السيوف ذبحًا وتقتيلًا كما يقول ابن الفوطي: جاء المغول بعد سقوط بغداد إلى أعمام الخليفة وأنسابه الذين كانوا في دار الصخر ودار الشجرة–من دور الخلافة ببغداد–وكانوا يطلبون واحدًا بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل إلى المقبرة ويقتل هو وأهله جميعًا[٤].

أما عدد من قتلهم المغول في بغداد فقد اختلف المؤرخون في تقديره وفي هذا يقول ابن كثير: ثمانمائة ألف، وقيل: مليون وثمانمائة ألف، وقيل: بلغ القتلى في بغداد يوم دخلها المغول مليوني قتيل[٥]، لقد هال هذا العدد من القتلى بعض المؤرخين الجدد فحكموا على من جاء به بالمبالغة التي ربما تكون نتيجة ما حدث من صدمة مؤلمة أفقدت الناس صوابهم[٦].

وهذا تقدير خاطئ، والله أعلم، والباحث مع من قال أن عدد قتلى بغداد يومذاك بلغ مليوني قتيل، كيف لا؟! وبغداد هي المدينة العامرة الواسعة العظيمة التي كما يقول الحِميرى: "ليس لها نظير في مشارق الأرض ولا في مغاربها سعة وجلالة وكبرًا وعمارة"[٧]، ثم هذه مرو التي سبق

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ٦٧٢؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٩.

(٢) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٨٣.

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٨٣؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٥٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٢.

(٦) العلي، صالح: العراق في التاريخ، ص٥٤٧.

(٧) الحِميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١١١.

ذكرها أحصى عز الدين نابه من أهلها قتلى مليون وثلاثمائة ألف قتيل[١]، وهي المدينة التي لا يمكن مقارنتها ببغداد وتاريخها، وأخيرًا أسوق دليلًا تاريخيًا يؤكد صدق هذه الأعداد إذ يقول الفاسي: وكُثر بعد هذه السنة انقطاع الحجاج العراقيين من الحج، ولا سيما في بقية هذا القرن، فإني لا أعلم من حجهم في ذلك إلا اليسير[٢]، ولا يرى الباحث سبب انقطاع الحجيج إلا بسبب ما فعله المغول في أهل بغداد، يقول اليونيني: لما دخل هولاكو بغداد قتل معظم أهلها [٣]، ثم يُضيف ابن الفوطي يصف ما حل ببغداد وأهلها ومن التجأ إليها من القرى المجاورة فيقول: فلم يبق من أهل البلد، ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل...، لقد عمّ القتل حتى بدا القتلى في الدروب والأسواق كالتلال، وقد تشوَّهت صور أصحابها؛ نتيجة الأمطار وأرجل الخيل التي كانت تطأ الجثث بحوافرها [٤].

لقد كانت مذبحة بغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أشنع المذابح وأمرّها على مرّ التاريخ [٥]، فهذا ابن العماد يقول عنها: وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها [٦]، أمَّا اليونيني فيصف هذه المجزرة قائلًا: وما دهى الإسلام بداهية أعظم من هذه الداهية ولا أفظع [٧]، لم يختلف وصفها عند الإمام الذهبي عن سابقيه إذ يقول: اللهُم آجِرنا فِي مُصيبتنا التي لم يُصب الإسلامُ وأهلُه بمثلها [٨]، وقد رثى الشعراء بغداد وأهلها، وألقوا باللوم على الوزير ابن العلقمي–لعنه الله–ومن ذلك ما قال سبط ابن التعاويذي:

"بادت وأهلوها معا، فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب" [٩]

(١) انظر الجويني: فاتح العالم، ج١، ص١٨٠–١٨٢.
(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، ص٢٨٧.
(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٥.
(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٦.
(٥) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٥٤.
(٦) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٦٩.
(٧) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٥.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٧٠.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٤، ص٤٦٩.

وقال أخر:

"يا عصبة الإسلام نوحي واندبي حزنا على ما تمّ للمستعصم" [١]

وأخيرًا لقد كان لهذه المجزرة الشنيعة بالغ الأثر في نفوس الأمة المسلمة [٢]، بل كانت كما هدف المغول من ورائها وسيلة ناجعة أسهمت في قذف الرعب في قلوب الزعمات الإسلامية التي كانت كما هي تنتظر دورها.

٢. التمثيل في جثث القتلى:

عرف أهل العلم المثلة فقالوا: المُثْلَةُ: هي العقوبة التي تُبقي في المعاقَب شينًا بتغيير بعض خَلْقِه، ومن ذلك قولهم: مثّل فلان بفلان، إذا شان خلقه بقَطْعِ أنفه أو أُذنه، أو سمل عينيه ونحو ذلك[٣]، وقال ابن حيان: سميت المثلة مثلة، لأن المثل يضرب بها لعظم نكالها [٤].

ولما كان الإسلام دين رحمة كما قال الله –تعالى–لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [٥] كان وصيته –صلى الله عليه وسلم–لجيوش الإسلام كما يقول ابن عباس: كان –صلى الله عليه وسلم–إذا بعث جيوشه قال: "اخَرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله، من كفر بالله، لاَ تَغْدِروا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا الوِلْدَان، ولا أصحابَ الصَّوامع"[٦].

لكن جيش المغول لم يكن للحرب عندهم أخلاق، إذ وكما يقولون عن أنفسهم: "ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكا...قتلنا معظم البلاد"[٧]. كأن الرحمة نزعة من قلوبهم، لا يرويهم إلا شرب الدم، ولا شيء أدلّ على ذلك مما أُثر عن جدهم الأكبر جنكيز خان حين يُحدث عن لا إنسانيته التي ورثها عن أحفاده فيقول: "أعظم سعادة قد يعرفها الإنسان هي أن يقهر أعداءه ويقودهم أمامه، وأن يمتطي خيالهم، ويستولي على ممتلكاتهم، وأن يشاهد وجه أولئك الذين كانوا عزيزين عليهم تتبتل بالدموع، وأن يحتضن زوجاتهم وبناتهم بين ذراعيه"[٨].

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٦٩؛ وهناك العديد من الشعراء الذين تحدثوا عن مذبحة بغداد؛ انظر الملحق رقم (٣)، (٤).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٧٧.

(٣) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص٤٨٣.

(٤) ابن حيان: البحر المحيط في التفسير، ج٦، ص٣٤١.

(٥) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٦) ابن حنبل: مسند الإمام أحمد ابن حنبل، ج٣، ص٢١٨.

(٧) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٤.

(٨) إيغلدن، كون، ذئب السهول (السيرة الملحمية للفاتح المغولي جنكيز خان)، ج٣، ص٣٧٢.

والآن بعد ما بينا حكم المثلة عند المسلمين سأذكر بعض الأمثلة التي تدل على زيادة في همجية هؤلاء الصنف من البشر:

أ- لما استولى جنكيز خان على أترار أمر بحاكمها ينال خان بين يديه، ثم أمر بسكب الفضة، وقلبها في أذنيه، وعينيه؛ فقتل من جراء ذلك[١].

ب- لما سقطت ميافارقين[٢]بيد المغول أُسر ملكها الكامل محمد الأيوبي [٣] -رحمه الله-، وجيء به إلى هولاكو، فعاتبه عتابًا شديدًا، ثم أمر به أن يُقطَّع، فكانوا كلما قطعوا منه قطعة لحم وضعوها في فمه إلى أن استشهد -رحمه الله- [٤]، فقُطع رأسه، ثم طيف به في البلاد بالمغاني والطبول، ثم علق بسور باب الفراديس[٥]، فلما انكسر المغول في عين جالوت دفنه المسلمون بمسجد الرأس داخل باب الفراديس[٦].

ت-قتل خليفة بغداد المستعصم بالله وابنه أبا بكر:

اختلف الرواة في طريقة قتلهما، فقال بعضهم وضع الخليفة وابنه في عدلين -أي كيسين- ، ثم أمر هولاكو أن يُرفَسا في الأرجل حتى ماتا قتلًا بهذه الطريقة [٧]، وقيل غير ذلك؛ فمنهم من قال أنهما ماتا خنقًا، ومنهم من قال أنهما ماتا غرقًا في نهر دجله [٨]، وقيل لُفَّ في بساط ورميا في النهر[٩].

---

(١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٩١.

(٢) ميافارقين: مدينة عريقة وبلد معروف من بلاد ديار بكر، تقع الآن في شرق تركيا إلى الغرب من بحيرة "وان"؛ البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٤، ص١٢٨٦؛ الصلابي، علي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص٣٣٤.

(٣) الكامل محمد الأيوبي: هو محمد بن غازي بن محمد بن أيوب بن شادي السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي ابن المظفر بن العادل صاحب ميافارقين، تملك البلد بعد وفاة أبيه سنة خمس وأربعين وست مائة، وكان ملكاً جليلاً، ديناً، خيراً، عالماً، مهيباً، شجاعاً، محسناً إلى الرعية كثير التعبد والخشوع لم يكن في بيته من يضاهيه؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢١٦.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٢٣.

(٥) باب الفراديس: باب من أبواب دمشق. وهو جمع فردوس. وأهل الشام يسمون الكروم والبساتين الفراديس؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٧.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٨٩٨.

(٧) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج٢، ص٣٧٧؛ ابن تغري: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٧، ص١٢٨؛ ابن تغري: مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ج١، ص٢٣٤.

(٨) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩١؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٩٤.

(٩) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٩.

٣. استخدامات المغول للأسرى

استخدم المغول الأسرى كأحد وسائلهم في بث الرعب والهلع في قلوب خصومهم، وذلك من خلال وحشيتهم المعهودة في التعامل مع أسراهم[١]، حيث كان لذلك عدة صور منها:

أ- تكثير أعداد العساكر المغولية

ومن ذلك ما كان حين دخل المغول بخارى بقيادة ملكهم جنكيز خان-لعنه الله-(سنة ٦١٧هـ-١٢٢٠م)، حيث لما فرغ المغول من عمليات القتل والنهب استصحبوا معهم الأسارى سيرًا على أقبح صورة، فكان كل من أعياه التعب قتلوه، فلما اقتربوا من سمرقند قدّموا الخيالة والرّجّالة، وجعلوا الأُسارى خلفهم، وأخذوا يقتربون شيئًا فشيئًا، فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموه، وظنوا أن الجميع عساكر مقاتلة، فدخل الرعب والفزع في قلوب العسكر الخوارزمي، وكان في البلد من العساكر الخوارزمية خمسون ألف مقاتل، لم يخرج منهم للقتال واحد[٢].

ب- استخدام الأسرى كدروع بشرية

مما أُثر عن المغول أنهم كانوا يستخدمون أسراهم دروعًا بشرية تكون في مقدمة الجيش المغولي، ومن ذلك ما أورده ابن الأثير: لما وصل جيش المغول إلى الطالقان[٣]، وهي ولاية تشتمل على عدة بلدان، وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه، لا ترام علوًا وارتفاعًا، وبها رجال يقاتلون شجعان، فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلًا ونهارًا ولا يظفرون منها بشيء، فلما ظهر عجزهم أرسلوا إلى جنكيز خان؛ فجاء ومعه الكثير من أُسارى المسلمين، حيث أمرهم بمباشرة القتال وإلا قتلهم، فقاتلوا معه، فلما عجز عن فتحها أمر بأن يجمع له من الحطب والأخشاب ما أمكن جمعه، ففعلوا ذلك، وصاروا يعملون صفًا من خشب وفوقه صفا من تراب، فلم يزالوا كذلك حتى صار تلًا عاليًا يوازي القلعة، وصعد الرجالة فوقه ونصبوا عليه منجنيقًا فصار يرمي إلى وسط القلعة، وبذلك سقطت المدينة[٤].

---

(١) الزاملي، يوسف: معاملة المغول للأسرى المسلمين، ص٣٢٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٠.

(٣) الطالقان: مدينة من مدن الري قريبة على بلاد الديلم؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٥٢؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٨.

وهنا يؤكد ابن الأثير على أن هذا لم يكن حدثًا عابرًا في تاريخ المغول، بل هو عادة من عاداتهم حيث يقول في هذا الصدد: كان من عادة المغول إذا قاتلوا مدينة قدّموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون، فإن عادوا قتلوهم، فكانوا يقاتلون كرهًا، وهم المساكين، كما قيل: هم كالأشقر إن تقدم ينحر وإن تأخر يعقر، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين، فيكون القتل في المسلمين الأسارى، وهم بنجوة منه(١).

ت- الاستفادة من أرباب الحرف والصنّاع

رغم وحشية المغول إلا أنهم كانوا يبقون على حياة الصناع وأرباب الحرف، للاستفادة منهم ومن خبراتهم، حيث يذكر الجويني أن المغول حين دخلوا مرو أهلكوا جميع سكانها عدا أربعمائة شخص من أرباب الحرف والصناع(٢).

٤. استخدام أسلوب المباغتة والمفاجأة العسكرية

يجمع الباحثون على أهمية عنصر المفاجأة لمّا له من دور رئيسي وكبير، في إحراز النصر وتحقيق النجاحات المهمة على صعيد المستوى العسكري(٣)؛ لذلك استخدم المغول هذا الأسلوب في منازلة خصومهم، يقول السيوطي عنهم: " إذا أرادوا جهة كتموا أمرهم، ونهضوا دفعة واحدة، فلا يعلم بهم أهل بلد حتى يدخلوه، ولا عسكر حتى يخالطوه، فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل، وتضيق طرق الهرب"(٤)، ومن أمثلة ذلك ما كان من أمر الري سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م إذ دخلت جحافلهم المدينة على حين غفلة من أهلها كما يقول بذلك ابن الأثير: فوصل المغول إلى الرّي على حين غفلة من أهلها، فلم يشعروا بهم إلا وقد وصلوا إليهم، وملكوا ديارهم، ونهبوها، وسبوا الحريم، واسترقوا الأطفال، وفعلوا الأفعال التي لم يسمع بمثلها، ولم يقيموا، ومضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه، فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مرّوا بها، ففعلوا أضعاف ما فعلوا في الرّي، حيث أحرقوا، وخربوا، ووضعوا السيف في الرجال والنساء والأطفال، فلم يبقوا على شيء(٥).

---

(١) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٨.

(٢) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص١٨٠.

(٣) عصفور، محمد: معالم تاريخ الشرق الأدني القديم، ص١٨٨؛ طقوش، محمد: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ص١١١؛ الصلابي، علي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٢٩.

(٥) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٥.

٥. المراوغة والمخادعة:

تعتبر الخدعة فن من فنون الحرب، بل هي الحرب كلها، وما ذلك إلا لعظيم خطرها [١]، فقديمًا قالت العرب رُبّ حيلة أنفعُ من قبيلة [٢]، ومما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–في ذلك: "الحرب خدعة"[٣]. ومما أُثر في ذلك ما قاله نصر بن سيار–أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية–: "كان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القَيَاد أن تكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم: شجاعة الديك، وبحث الدجاجة، وقلب الأسد، وحملة الخنزير، وروغان الثعلب، وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي، وغارة الذئب وسمن نغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء"[٤]. ومع أهمية الخداع والمراوغة في العمليات العسكرية، إلا أن القادة المغول استعملوها في همجيتهم، وبطشهم، ونقضهم للعهود، فكان ذلك وبالًا على المخدوعين الذين لا حول لهم ولا قوة، ومن ذلك ما فعله المغول بأهل مرو، حيث أرسلوا لهم يعرضون عليهم الاستسلام، فلما وافقوا وأصبحوا في قبضة المغول أُحضروا، وضربت رقابهم [٥].

٦. التفريق (فرق تسد)

إن بذر بذور الشقاق والخلاف داخل صفوف الخصوم هو إحدى السياسات المتبعة من قبل الغزاة ليسهل بذلك قهرهم والسيطرة عليهم [٦]، وبهذا المبدأ عمل جنكيز خان؛ إذ إنه لما علم ما بين علاء الدين خوارزم شاه ووالدته تركان خاتون من خلاف وشقاق عمل وبكل سرعة على استغلال ذلك، بإرساله الرسل إلى تركان خاتون سواء بشكل مباشر، أو غير مباشر؛ لتعزيز هذا الخلاف والشقاق بين الولد وأمه [٧].

وفي النهاية أدت تلك السياسات المغولية اتجاه خصومهم من المسلمين إلى إرباك الوضع الداخلي للصف المسلم، وذلك عن طريق قذف الرعب والفزع الذي ترك آثارًا كبيرة على الحكام

---

(١) الكتاني، عبد الحي: التراتيب الإدارية، ج١، ٢٩٤.
(٢) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ص١٦٩.
(٣) البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص٦٤.
(٤) الطرطوشي: سراج الملوك، ص١٧٤.
(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٩.
(٦) ديورانت، ويليام: قصة الحضارة، ج٣٦، ص١٥٧.
(٧) انظر النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٩٢–٩٣.

والرعية في شتى مجالات الحياة في البلاد الإسلامية، عن هذه الآثار وكيف تم التخلصّ منها أتحدث عنها–بحول الله تعالى–في الفصل الثالث.

## الفصل الثالث

## آثار سلاح الرعب على العالم الإسلامي قبل وبعد عين جالوت

**أولًا: آثار سلاح الرعب على المسلمين قبل عين جالوت**

**ثانيًا: بروز قوة المماليك في العالم الإسلامي**

**ثالثًا: معركة عين جالوت، وموقع سلاح الرعب منها**

## أولًا: آثار سلاح الرعب على المسلمين قبل عين جالوت

لا يمكن أن تدور حرب في أحد الأماكن دون أن تترك في قلوب أهل ذاك المكان من أثر، ولقد ترك استخدام سلاح الرعب من قبل المغول على العالم الإسلامي آثارًا جمّة على كافة المستويات والصعد، فلقد طالت تأثيراته مختلف مجالات الحياة العسكرية، والأدبية، والسياسية والتعليمية، والاجتماعية بما يحتّم على أهل الاختصاص دراسة هذه التأثيرات بشكل مفصل وموثق بالأدلة، ربما برزت تأثيرات الغزو المغولي على بلاد الإسلام وأهلها في ذاك الزمان، حين تكلم ابن الأثير –رحمه الله– عن الغزو المغول الرهيب للعالم الإسلامي، فكان مما قال يصف هول ذلك وأثره على القلوب: بقيت سنوات عديدة معرضًا عن الحديث في هذه المصيبة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدم رجلًا لذكر ذلك، وأُؤخر أخرى... هذه المصيبة هي الحادثة العظمى، والبلية الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين[١]، وهنا تأتي الدراسة على ذكر أهم آثار استخدام سلاح الرعب على العالم الإسلامي:

١. الآثار النفسية (انهيار الروح المعنوية، وغياب الرغبة بالقتال):

يقول جمال الدين محفوظ –لواء مصري–: إنَّ تحطيم الروح المعنوية للمقاتل يقضي على إرادته في القتال، وبالتالي يذهب بنفسه نحو الهزيمة [٢]، ولا شيء يفعلُ ذلك مثلما يفعل سلاح الرعب الذي يشلّ قوى الإنسان الإدراكية والحركية، فيصبح عاجزًا عن المقاومة والقتال [٣]، ومن شواهد الهزيمة النفسية التي حلّت بالمسلمين آنذاك:

أ- تأثير الرعب على حكام المسلمين في ذلك الزمان

يقول النسوي: تملك الرعب قلب السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، فبات عاجزًا غير قادر على التدبير يفكر فقط في نفسه؛ فكان أول شيء فكر فيه عقب قتله لرسل المغول هو أن يبني حول سمرقند على طولها وسعتها سورًا كبيرًا، لكن المغول كانوا أسرع منه حين جاؤوا يقصدون بلاده قبل أن يبني ما خطط له، فلما علم بقربهم منه فرّق عسكره في البلاد، ولو أنه جمعهم وقاتل

---

(١) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٣.

(٢) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ج١، ص٢٩.

(٣) دُوزِي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج٨، ص١٠٦.

بهم جميعًا لتغّير الحال ويضيف النسوي معلقًا: "لاختطف المغول خطفًا، ولنسفهم عن وجه الأرض نسفًا" [١].

وكأنه بفعله هذا قد شتت قواته؛ فأصبح القضاء عليها أسهل، إذ أصبح بمقدور جنكيز خان الاستفراد بهذه العساكر واحدة تلو الأخرى، وبهذا أضاف علاء الدين محمد خوارزم شاه إلى ضعفه ضعفًا، ولكن وبعد الهزائم التي بدأت أخبارها تصل إلى السلطان محمد بن خوارزم شاه قطع الرجل أيّ أمل في النصر، وحتى في المقاومة، فأخذ يفر أمام فرقة مغولية صغيرة بلغت عشرين ألف مقاتل فقط من مدينة إلى أخرى لا يلوي على شيء [٢].

يقول راغب السرجاني: إن إرسال جنكيز خان لهذه الفرقة المغولية الصغيرة، لتتبع وتقتل محمد بن خوارزم شاه فيه استهزاء بملك البلاد الخوارزمية، والأمة المسلمة التي تبلغ الملايين [٣]. لكني أُشير إلى أن ما سبق فيه إشارة إلى حالة الانهيار التي وصل إليها رأس الدولة الخوارزمية حين فقد الأمل بالنصر.

أما الخليفة العباسي فلم يكن بأفضل حالٍ من سلطان خوارزم علاء الدين محمد بن خوارزم شاه، إذ كان حين ينبه فيما يجب عليه فعله لتجنّب ويلات الغزو المغولي لبلاده يجيب بكل غباء وسفه، فيقول: "أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضًا يهجمون عليَّ، وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي"[٤].

يبدوا واضحًا كيف ملك الرعب والفزع قلب الخليفة؛ فأصبح لا يرى الأمور، ولا يقدّرها بقدرها الذي ينبغي أن تقدّر به، حتى سمّاه المغول "بالأَبْلَه"[٥]. لقد غَيَّبَ الخوف عن الخليفة الحكمة المعروفة، والمثل المشهور: إنما أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض [٦]؛ فظن، أو أوهم نفسه بأن المغول سيقنعهم ما ملكوا من البلاد والعباد، وهم الذين جاء على ألسنتهم، فقالوا يصفون طمعهم:" نحن في طلب الازدياد، على ممر الآباد"[٧].

---

(١) سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٨٧-٩١.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٩١-٩٢.
(٣) السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٢٩.
(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٤-٢٥٥.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٨٥.
(٦) انظر الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج٣، ص١١٨.
(٧) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٧٢.

ثم كان لهذا الرعب الذي سكن قلب الخليفة تأثير خطير فكان أحد أهم أسباب هلكته؛ إذ أنه وبسبب ذلك قطع أرزاق الجند، وأسقط أسهمهم من الديون، وقلّص أعدادهم إلى أن وصل عدد جيش الخلافة العباسية في أخر عهده إلى عشرة آلاف مقاتل فقط؛ ذلك كله ليجمع المال فيُداري به المغول [١].

لم ينتهِ أثر الرعب من المغول في قلب خليفة المسلمين عند هذا الحدّ، بل دفعه الرعب كذلك إلى أن يوهم نفسه بصدق وزيره ابن العلقمي؛ فخرج إلى هولاكو يطلب ويستجدي الأمان والرحمة منه، فكان في ذلك قتله [٢].

أما الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق [٣]، فما إن عَلِمَ بما آل إليه الوضع في بغداد بعد استيلاء المغول عليها حتى بادر بإرسال ابنه الملك العزيز محملًا بالهدايا النفيسة إلى هولاكو يعلن بذلك عن الولاء والتبعية، بل ويستعين به على إخوانه في الدين هناك في بلاد مصر [٤].

لكن هولاكو رأى ذلك تمردًا وتعديًا لا يليق به؛ فبعث إلى الناصر يوسف مع ابنه العزيز رسالة كلها تهديد ووعيد يأمره بها أن يخرج إليه بنفسه هذه الرسالة أوردها المقريزي فكان مما جاء فيها: " إذا وقفت على كتابي هذا فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه تأمن شره وتنل خيره"[٥].

رفض الناصر يوسف أمر هولاكو، ودعا الناس إلى الجهاد، ولكن ما إن اقترب جيش المغول من دمشق حيث معسكر الناصر يوسف إلا وظهر على الأخير القلق والاضطراب، الذي بدأ يزداد كلما زاد اقتراب المغول منه، حتى غزا الرعب الأمراء والعسكر؛ فوقف الأمير زين الدين الحافظي –أحد أمراء الناصر يوسف–يُعظم من شأن هولاكو ويشير بألا يقاتل وأن يداري بالدخول

---

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٤٨؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩٠؛ العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦٠؛ القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص٨٩.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٣.

(٣) هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٩٦.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٠.

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٦.

في طاعته، وما إن بلغ الناصر عزم هولاكو على أخذ حلب؛ حتى اشتد جزعه، وسير زوجته وولده وأمواله إلى مصر وأخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس، وما إن سقطت حلب حتى أخذ الناصر طريقه في الهروب من رعب المغول وبطشهم تاركًا دمشق وأهلها فريسة سهلة لهم[١].

يلاحظ أن جيش المغول في معركتهم مع الناصر يوسف لم يضربوا ضربة سيف واحدة، ولكن النصر تحقق لهم حين سبقهم إلى أسماع الملك الناصر سمعتهم وصيتهم؛ فامتلأ قلبه رعبًا من جحافلهم قبل أن يراها، بهذا حقق المغول أحد أهم أسباب انتصاراتهم في حروبهم ضد العالم الإسلامي وهو الوصول إلى الروح المعنوية لقادة المسلمين، وتحطيمها، وذلك قبل الوصول إلى أجساد جنودهم وشعوبهم [٢].

أما رئيس همذان سنة ٦١٨هـ فله قصة أخرى مع الرعب رواها الذهبي –رحمه الله–: جعل المغول لهم في همذان شحنة، وأمروه أن يأتيهم بالأموال، فاجتمع عامة الناس عند الرئيس، ومعهم رجل فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على قتال المغول، فقال لهم الرئيس: كيف الحيلة ونحن نعجز عنهم، إلا مصانعتهم بالأموال، فقالوا لرئيسهم: أنت أشد علينا من الكفار، وأغلظوا له، فقال: أنا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم، فوثبوا على شحنة المغول فقتلوه، وتحصنوا، فلما قدم المغول، خرج لحربهم العامة والرئيس والفقيه في أوائلهم، فاقتتلوا وجُرح الفقيهُ عدة جراحات، وافترقوا، ثم خرجوا من الغد، فاقتتلوا أشد قتال، ولما أرادوا الخروج في اليوم الثالث عجز الفقيه عن الركوب من الجراحات، وطلب الناسُ الرئيس، فإذا به قد هرب هو وأهله إلى قلعة خارج البلد، وبقي الناس حيارى، وكان المغول قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم، فلما لم يروا أحدًا خرج لقتالهم طمِعوا فيهم، واستدلوا على ضعف أهل البلد، فقصدوهم وقاتلوهم، ودخلوا البلد بالسيف، وقاتلهم الناس في الدّروب، وقتل من أهل همذان الكثير، وأحرقت المدينة[٣]؛ كل ذلك بسبب هذا الرئيس الخائن الذي ملأ الرعب قلبه، ولكن وكما ذكر ابن كثير: "ومن ملوك المسلمين من لا تتعدى همته بطنه وفرجه"[٤].

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٨–٥١٣.

(٢) هارت، ليدل: الاستراتيجية وتاريخها في العالم، ص١٢.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢٨٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٩٤.

ب- تأثير الرعب على جنود المسلمين

كانت بخارى أولى الوقائع التي دلت على فقدان الجنود الأمل بالنصر، حيث تذكر كتب التاريخ أن المغول حين جاؤوا بخارى اشتبكوا مع حاميتها ثلاث أيام فقط، والسبب في ذلك أن حاميتها فرت إلى خرسان يقول الذهبي: وفي ليل اليوم الثالث فر مَنْ في بخارى من العساكر؛ فأصبح بذلك هذا البلد خاليًا من العسكر [١].

لقد ترك العسكر الخوارزمي بخارى، وتارك خلفه البلاد والعباد، ليواجهوا مصيرًا مجهولًا لم يكن أقل مما قال فيه ابن الأثير: "لما دخل الكفار البلد نهبوه وقتلوا من وجدوا فيه من المسلمين"[٢].

ويرى الباحث: أن هذه إحدى صور الخيانة الناتجة عن استيلاء الرعب على القلب والعقل، وأي خيانة أعظم من أن يؤثر الجندي المسلم نفسه على أهله ووطنه.

لم تكن بخارى هي المدينة الوحيدة التي عانت من انهيار معنويات الجند فيها، لقد عانت سمرقند ذات المرض، فخذل جنودها أهلها [٣]، يذكر ابن الأثير أن سمرقند حين جاءها المغول كان بها خمسون ألف مقاتل من الجنود الخوارزمية غير سكان البلد، وما أن اقترب جيش المغول من أسوارها حتى خرج إليهم شجعان البلد وعلماؤها، وكانوا سبعين ألفًا من قليلي الخبرة العسكرية، حيث لم يخرج من الجنود الخوارزمية أحد لِمَا في قلوبهم من الخوف والرعب، فقتلهم المغول عن آخرهم؛ فلما رأى من بقي في البلد ما حل بإخوانهم امتلأت قلوبهم فزعًا على ما كان بها، فقال الجنود الخوارزمية، وكانوا أتراكًا: نحن من جنس هؤلاء لا يقتلوننا؛ فطلبوا الأمان، فأجابوهم المغول إلى ذلك خدعةً؛ وفتح الجنود أبواب البلد، ولم يقدر العامة على منعهم؛ فكان بذلك هلاك الجميع، إذ لم يترك المغول بعد تمكنهم أحد لا من جنسهم، ولا من غير جنسهم[٤]. هي كما قال الله تعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} [٥]،

(١) تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢٩٢.

(٢) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٠.

(٣) انظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٣٤.

(٤) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٠-٣٤١.

(٥) سورة التوبة: آية ٨.

يقول الواحدي في معنى الآية: كيف يكون للمشركين عهدٌ، وحالهم إن قدروا عليكم، وظفِروا بكم، لم يراعوا فيكم قرابة، ولا عهدًا، يقولون كلاما حلوا، لكن تأبى قلوبهم الوفاء بما يقولون، فهم الكاذبون ناقضو العهود [١].

لكن ومن أبلغ ما وجدتُ دلالة على ما قد اختمر في نفوس الجند الخوارزمية من رعبٍ وهلعٍ، هو ما ذكر ابن الأثير من أن علاء الدين محمد بن خوارزم شاه كان وأثناء حصار سمرقند يبعث إليها بالمدد فوجًا في إثر فوج، فيعودوا كالمنهزمين الفارين من غير قتال [٢].

يتبيّن مما سبق أن النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش، وفي هذا الصدد يقول محمود شيت خطَّاب: "كانت المعنويات العالية ولا تزال، من أهم مزايا الجيوش ذات القيمة العسكرية الرفيعة، كما أنها من أهم مبادئ الحرب"[٣].

لم يتوقف تأثير الرعب على نفوس الجنود الخوارزمية إلى هذا الحدّ، بل رضي بعضهم أن يعمل في صفوف المغول كمرتزقة تنفذ سياساتهم البشعة –والعياذ بالله–، فهذا السلطان جوق الذي هو من نسل الخوارزميين أحد قادة طلائع جيش المغول المهاجم لبغداد يُرسل رسالة إلى قائد طلائع جند الخلافة قبجاق المعروف بقراسنقر يقول فيها: "إنني وأنت من جنس واحد، وبعد البحث والتدقيق، التحقت بخدمة هولاكو، بسبب الفقر والاضطرار، ودخلت في طاعته، وهو الآن يعاملني معاملة طيبة، فأنقذ أنت أيضًا حياتك وترفق بها، وأشفق على أولادك، وقدم الطاعة؛ حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء القوم"[٤].

ت– تأثير الرعب على شعوب المسلمين

لقد تركت هذه الأحداث المؤلمة أثرها على الناس –إلا من رحم الله تعالى–، حيث خلفت حالة كبيرة من الرعب؛ فأصيب الناس بالضعف والمسكنة والمذلة والهوان، ويكفي دليلًا وشاهدًا على ذلك ما سطره المؤرخون المعاصرون لتلك الأحداث العصيبة؛ فقد روى ابن الأثير العديد من الشواهد التي تدل على الحالة المعنوية التي وصل إليها المغول وخصومهم من المسلمين، فقد سرى

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٢، ص٤٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤١.

(٣) الرسول القائد، ص٤٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٨٣.

بين الناس المثل القائل: أن المغول لا يعرفون الهزيمة، حتى قال البعض: إذا قيل لك أن المغول هُزموا فلا تصدقه، وإذا قيل لك أنهم انتصروا فصدقه [١].

لكن الشواهد لا تنتهي إلى الأقوال فحسب، بل تعدَّ الأمر اللسان إلى الجوارح والأركان؛ فسلم الناس أنفسهم للمغول؛ فباتوا لا يملكون من أمرها شيئًا، فبيّن هارب فار مرتحل خوفًا من القتل والأسر [٢]، أو مستسلم عاجز حتى عن الفرار، روى ابن كثير –رحمه الله–: أن رجلًا من المغول دخل درب من دروب المسلمين فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحدًا واحدًا حتى قتلهم عن آخرهم، لم يرفع أحدٌ يده إليه، وروى كذلك أن امرأة مغولية دخلت أحد بيوت المسلمين في زي رجل فقتلت كل من في الدار، غير أن واحدًا من أهل البيت استشعر أُنوثتها فقتلها [٣].

يقول ابن الأثير: وبلغني أن أحد المغول أخذ أسيرًا، ولم يكن مع المغولي ما يقتله به، فقال له: ضع رأسك على الأرض، فوضع الرجل رأسه حيث أشار المغولي، ومضى المغولي إلى أن أحضر سيفًا وقتله به [٤]، وفي مشهد أخر من مشاهد الذلّ والهوان يروي ابن الأثير عن رجل من ذلك الزمان قال: كنت ومعي سبعة عشر رجلًا، فجاءنا فارس من المغول، فأمرنا أن يكتّف بعضنا بعضًا، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم به، فقلت لهم: هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب، قالوا: نخاف، فقلت: هذا والله يريد قتلكم الآن، فلنقتله نحن، لعل الله ينجينا، فو الله ما استطاع ذلك أحد، فأخذت سكينًا وقتلته وهربنا فنجونا، ثم يعلق ابن الأثير على القصة فيقول: وأمثال هذا كثير [٥].

لكن ربما يقول قائل أن هذا الأمر محال، أقول ربما يكون كذلك، لكن الدافع إلى نسج تلك القصص إذا ذهبنا إلى عدم صحتها فرضًا هو خوف الناس وفزعهم، والدليل على ذلك أنها وردت في كتب أبرز مؤرخي ذلك الزمان، باختصار كان الناس يصدقونها، ويستغربون خِلافها من قصص البطولة والفداء، كما نستغرب نحن ما احتوته كتبهم لأننا لا نعيش ذلك الرعب الذي عاشوه، فمن المرجح أن الرعب والهلع قد سيطر على ثقافة المجتمع الإسلامي؛ حتى وصل إلى الكُتَّاب والمثقفين، فتجدهم يوردوا لنا في كتبهم مثل هذه الروايات، أسأل الله العفو والعافية.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤٨.

(٣) البداية والنهاية، ج١٧، ص٩٤.

(٤) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٤٩.

(٥) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٥٠.

ولما تمكّن الرعب من قلوب الناس بدؤوا يقنعون أنفسهم أن ما حلّ بهم هو شرط من شروط الساعة وعلامة من علامات يوم القيامة، لدرجة أن الناس وضعوا في ذلك الأحاديث المكذوبة عن النبي –صلى الله عليه وسلم–حيث جاء عند الجوزجاني في حديث مكذوب لا سند له أن جماعة من صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–سألته فقالت: "متى الساعة يا رسول الله، قال: بعد ستمائة عام ونيف"(١). وهذا من شدة الهزيمة النفسية التي حلت بالمسلمين حتى أن ابن الأثير– رحمه الله–رأى في الغزو المغولي نهاية الإسلام فقال: "فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك"(٢).

يقول راغب السرجاني معلقًا على مثل هذه الأحداث: لقد دّبت الهزيمة النفسية بالمسلمين وتعلّقوا في دنياهم تعلقًا لا يفهم (٣).

٢. الآثار الدينية:

لقد خلفت الهزيمة النفسية التي حلت بالأمة الإسلامية احتلالًا مغوليًا انتهك حرماتها ومقدساتها من أول أيامه، فمن أقدس مقدسات الإسلام هي النفس الإنسانية، إذ أن الله كرم الإنسان حيًا وميتًا(٤)، لكن المغول كما يقول ابن كثير: لم يكن لإنسانية الإنسان عند المغول قدر، فقد كانوا – لعنهم الله–يقتلون، ويحرقون، ويرتكبون الفواحش، بل وصلت وحشيتهم أن شقوا بطون الحوامل عن أجنتها(٥).

أما عن تعاملهم مع غير ذلك من مقدسات الإسلام، فيقول الذهبي حين الحديث عن ردم المغول لخندق قلعة بخارى سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠م: إن المغول كانوا يأخذون المنابر وربعات الكتاب العزيز فيُلْقُونها في الخندق، فلمّا فرغوا من أمر الخندق أحرقوا المدارس والمساجد (٦). لكن الجويني وصف ما جرى في بخارى من انتهاك للحرمات الإسلامية بشكل أكثر تفصيلًا فقال: لما دخل المغول المسجد الجامع في بخارى أحضروا صناديق المصاحف إلى وسط المسجد، وصاروا يتقاذفونها بالأيدي والأرجل، ثم جعلوا من صناديق المصاحف اصطبلًا للخيول، وجلبوا مغنيات المدينة وراقصاتها، وبدؤوا يشربون الخمر ويرقصون على أنغام الموسيقى، بينما هم يفعلون هذا في

---

(١) طبقات ناصري، ج٢، ص١١٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٣.

(٣) التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٣٥.

(٤) أبي زهرة: خاتم النبيين –صلى الله عليه وآله وسلم–، ج٢، ص٥٦٦.

(٥) البداية والنهاية، ج١٧، ص٨٩.

(٦) تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢٨٦.

صحن مسجد بخارى كان علماء والمدينة وساداتها يقومون بحراسة الجياد على بوابة المسجد، لقد أصبحت أوراق المصاحف مكانًا للنعال وسط القاذورات –والعياذ بالله– [١].

مما سبق يظهر بأن المغول لم يحترموا الدين الإسلامي، ولا مقدساته، ولا شيوخه وأئمته، بل حتى المصاحف والمساجد لم تسلم من أذاهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد حارب المغول الإسلام في العديد من شعائره التي تعتبر النظافة واحدة منها [٢]، إذ إن قوانين المغول وتقاليدهم تقضي ألا يغتسل الإنسان نهارًا في الربيع ولا في الصيف، يروي الهمذاني أن جغتاي –أحد خلفاء جنكيز خان–كان يريد أن ينفذ حكم الإعدام في رجل مسلم رآه يغتسل في النهر، بزعم أن الأخير خالف بفعله هذا قوانين الياسا [٣].

ومما يدل على انتهاك المغول لشرائع الأديان الأخرى، ما رواه الهمذاني كذلك من أن المغول أصدروا قانونًا بألا تذبح الخراف ولا غيرها مما يؤكل لحمه، بل وحَسْبَ ما اقتضى عُرفهم، تُشَقُّ صدورها وأكتافها، فكان المسلم لا يستطيع ذبح أي من الحيوانات إلا بالسر والخفاء، وإلا كان جزاؤه القتل [٤].

يظهر مما سبق حجم التضيق الذي فرضه المغول على المسلمين في أبسط شرائع دينهم الحنيف، لكن هذا التضيق اشتد أخذ بالاتساع خاصةً في مرحلة ما بعد سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [٥]، إذ لما سقطت دمشق في يد المغول سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م انتهكت الحرمات، وظهرت الفواحش والخمور، واستعلى النصارى؛ فباعوا الخمور، بل ذهب بعضهم إلى هولاكو فأمر بأن يرفع دينهم، فخرجت النصارى، رافعي أصواتهم ومعهم الصليب، يرشون الخمر على الناس، وفي أبواب المساجد، حيث ألزموا الناس بالقيام للصليب، ومن لم يفعل ذلك ضربوه وآذوه وأكرهوه على ذلك، وقد قيل أنهم –أي النصارى– كانوا ينادون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح [٦]، فلما

---

(١) فاتح العالم، ج١، ص١٢٩.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج١، ص٤٧٣.

(٣) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن الى تيمور قاآن)، ص٧٣.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن الى تيمور قاآن)، ص٧٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٩٨.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٧٩.

اشتكى علماء المسلمين لنائب هولاكو كتبغا أهانهم، وضرب بعضهم، وعظّم قدر قساوسة النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم[١]، فأصاب المسلمين جراء ذلك همًّا عظيمًا[٢].

ظهر بمجيء المغول ما كان يخفي النصارى على المسلمين من حقد، ليصدق فيهم قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [٣].

٣. الآثار الاقتصادية:

ترتبط الحالة الاقتصادية في أي مكان في العالم ارتباطًا وثيق بالاستقرار السياسي، فأي اهتزاز في الوضع السياسي، يعني انعكاسًا سلبيًا على الناحية الاقتصادية [٤]، وكما هو معروف فإن العالم الإسلامي تعرض زمن الغزو المغولي لهزات سياسية عنيفة كان أشدّها على المسلمين سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [٥]. أضف إلى هذا الاضطراب السياسي الذي أصاب العالم الإسلامي ما رافقه من عمليات عسكرية للمغول؛ فقد كان من سنن المغول إذا دخلوا مدينة قتلوا أهلها، وخربوا ديارها، ونهبوا أموالها [٦]. هنا أكتفِ بذكر ما حدث لبخارى سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠م حين سقطت في يد المغول على سبيل المثال، حيث لما تمكّن المغول من المدينة أمر جنكيز خان أهلها بأن يعزلوا الأغنياء عن الفقراء، ثم قال لهم: إنَّ الأموال التي فوق الأرض لا حاجة بنا إلى سؤالكم عنها، وإنما نريد أن تخرجوا لنا الدفائن التي تحت الأرض، فلما فعلوا ما أمرهم به، أمر جنكيز خان بالمدينة فأحرقت [٧].

ليس يخفى على أحد أن مثل هذه السياسة الخرقاء المتبعة من قبل المغول لا يمكن إلا أن تتمخض عن مصائب وكوارث اقتصادية، فأي شيء أشد ضررًا حين يسلب الإنسان ماله باختصار، لأن الغازي المنتصر يرى فيه، وفي ماله غنيمة من حقه أن يتصرف بها كيف شاء، ويروي أبو شامة معبرًا عما وصل إليه حال الناس من بؤس وشقاء: وصل ثمن شربة الماء وقت استيلاء المغول على بلاد الشام نحو مائة دينار [٨].

---

(١) انظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٢.

(٢) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٨١.

(٣) سورة البقرة: آية ١٢٠.

(٤) الخلف، سالم: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص٣٩٢.

(٥) الهمذاني: جامع التوراريخ، ج٢، ق١، ص٢٩٤.

(٦) انظر الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٤.

(٧) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ٢٣٤.

(٨) المذيل على الروضتين، ج٢، ص١٤٥.

٤. الآثار الاجتماعية:

لقد كان للغزو المغولي دور كبير في انهيار النظام الاجتماعي في البلاد المحتلة، إذ كان من منهج المغول آنذاك –لعنهم الله–القتل، أو الأسر والسبي، لم يسلم من سياستهم هذه حتى النساء والأطفال [١]؛ لقد تسبب هذا المنهج بكوارث كبيرة على الصعيد الاجتماعي فانفصل الولد عن والده والأم عن ابنتها؛ فقُطعت بذلك أرحام وصلات، لكن ليس باختيار أصحابها إنما رغمًا عنهم، وفي هذا أشير إلى ما كان من أمر قطز–أمير مصر بعد ذلك–رحمه الله– ابن الملوك كما زعم، تبدل حاله فبات في رق ابن الزعيم بدمشق [٢]، وقصة قطز ووصوله إلى الملك ستتطرق إليها الدراسة عند الحديث عن المماليك.

(١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٨٥.

(٢) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ٨٨٧.

## ثانيًا: بروز قوة المماليك في العالم الإسلامي

كان لظهور هذه الدولة أثر كبير في التاريخ الإسلامي بشكل عام؛ لأهمية الدور الذي قامت به هذه الدولة على مدار فترة حكمها، يقول ابن الشاطئ: لا زالت آثار حكم هذه الدولة باقية في مصر؛ لِمَا في هذه الحقبة من أحداث كبيرة [١].

**أصل المماليك:**

المماليك في اللغة جمع مملوك [٢]، وهم الرقيق الذين يخضعون لسيد لهم يطيعون أمره [٣]، ومن صفاتهم التي عُرفوا بها أنهم كانوا يباعون ويشترون كالسلع والمتاع [٤]. لكن هذه التسمية لم تلبث إلا أن اتخذت طابعًا خاصًا في التاريخ الإسلامي، إذ اقتصرت على فئة من الرقيق الأبيض [٥]، وكان الخلفاء يشترونهم بهدف تدعيم نفوذهم، بل إن المعتصم العباسي اعتمد على المماليك الأتراك بشكل أساسي حتى قبل توليه الخلافة سنة٢١٨هـ/٨٣٢م، فاجتمع له أيام المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) زهاء ثلاثة آلاف غلام منهم [٦]، ولكن هذا العدد استمر بالارتفاع حتى وصل حين ولي المعتصم الخلافة إلى سبعين ألفًا؛ وفيه يقول الشاعر:

"إمامي من له سبعون ألفًا  من الأتراك مشرعة السهام"[٧]

واستخدمهم المعتصم في حرسه وجنوده؛ وذلك كما يقول الطرسوسي: اتّقاءً لخطر العرب الساخطين، والفرس الناقمين [٨]؛ ومع مرور الوقت علا شأن هؤلاء المماليك، فباتوا الأداة العسكرية الوحيدة في بعض الدول الإسلامية التي يمكن الاعتماد عليها [٩]، إذ أن سوق الرقيق أخذ بالنشاط والاتساع لدى جميع الدويلات المنشقة عن سلطة الخلافة العباسية، فاتخذهم الطولونيون،

---

(١) ابن الشاطئ: دولة المماليك، ص٧.

(٢) الزمخشري: أساس البلاغة، ج٢، ص٢٢٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٢٤.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٨٨.

(٥) الشيزري: الاعتبار، ص٢٥؛ الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧؛ العبادي، أحمد: قيام دولة المماليك الأولى، ص١١.

(٦) اليعقوبي: البلدان، ص٥٥.

(٧) الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٦٥.

(٨) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

(٩) طقوش، محمد: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص١٦.

والإخشيديون، والأيوبيون، وغيرهم في مشارق الوطن الإسلامي ومغاربه؛ ولم يقتصر امتلاك المماليك على الملوك والسلاطين، بل شغف به قادة الجيش والأمراء والأغنياء والفقهاء، حتى صار الرق سمة رُقي ورفعة ونبل[١]، ولما تولى نجم الدين أيوب[٢] حكم مصر استكثر من المماليك الأتراك[٣]، وكون منهم معظم جيشه؛ فلما مات، خلفته حظيته المملوكة شجر الدر[٤] على سلطنة مصر سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م[٥]، تزوجت وزيرها المملوك عز الدين بن أيبك[٦]؛ وتنازلت له عن الحكم، إلا أنها دبرت له مكيدة أودت بحياته بعد ذلك، وذلك سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٦م[٧]، ثم قُتلت بعده[٨]، ثم تتابع المماليك على سلطنة مصر إلى سنة ٩٢٣ هـ/١٥١٦م[٩].

**نظام تربية وتدريب المماليك، وأثره عليهم:**

أَولَى السلاطين الأيوبيين، ومن بعدهم سلاطين المماليك، تربية مماليكهم أهمية خاصة، فعملوا على تثقيفهم وتعليمهم فنون الحرب والقتال، حيث خصصوا لذلك ثكنات عسكرية خاصة بهم عرفت بالطباق، لم يكن يُسمح لهم بالخروج منها، يقول المقريزي عن ذلك: كان السلطان

---

(١) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٣١٩.

(٢) هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي الأيوبي سلطان الديار المصرية؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٣١٩.

(٣) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٤٣٠.

(٤) شجر الدر: هي شجر الدر بنت عبد الله، أم خليل التركية، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أَيوب، ووالدة ابنه خليل؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٢.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤١٢.

(٦) عز الدين بن أيبك: هو السلطان الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانيّ الصالحيّ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٤١٣. الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

(٧) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣١٣-٣١٤؛ كرد علي، محمد: خطط الشام، ج٢، ص١٠٣.

(٨) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٩٢؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٨٨؛ انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٤٨.

(٩) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

المنصور قلاوون [١] يهتم بطعامهم ومعيشتهم بنفسه، ويقول معتزًا بهم: "كل الملوك عملوا شيئًا يذكرون به ما بين مال ورجال وعقار، وأنا عمّرت أسوارًا وعملت حصونًا لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك"[٢].

ويمكن تقسيم مراحل التدريب التي يمر بها المملوك حتى يكون قادرًا على تحمل المهام التي ستُلقَى على عاتقه في المستقبل إلى ثلاث مراحل هي:

١. المرحلة الأولى: تبدأ من الصغر إلى سن البلوغ، وقد كان المماليك يُجلَبون صغارًا[٣]، لأنهم أسرع في التعلم، فقد قيل: " أفضل المماليك الصغار لأنهم أسرع طاعة وأسرع قبولًا"[٤]، حيث يوزعون على طباق القلعة حسب أجناسهم، بعد ذلك يتسلمه الطواشي [٥]؛ فيعلمهم القراءة والكتابة، وما يحتاجون إليه من القرآن الكريم، يقول المقريزي: كان كل طائفة لها فقيه يحضر إليها في كل يوم يعلمها كتاب الله تعالى، ومعرفة الكتابة، والتمّرن على الالتزام بآداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار [٦]. إضافة إلى ما سبق ذكره كان يُوصّى القائمون على شؤونهم أن يأخذوهم بالحسنى، وأن يعطفوا عليهم، جاء في وصية مقدم المماليك: " وليحسن إليهم، وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم، وليأخذ بقلوبهم إقامة المهابة التي يخيل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم، وليلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم: من ترتيب الطباق، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينسَ السواق؛ وليكن لأحوالهم متعهدًا، ولأمورهم متفقدًا، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيرة، ..."[٧]. لكن لا يعني هذا التساهل معهم في

---

(١) المنصور قلاوون الصالحي: أحد سلاطين المماليك، لقب بالملك المنصور تولى السلطنة من سنة ٦٧٨-٦٨٩هـ، بعد خلع الملك العادل سلامش بن الظاهر وعزله؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٣؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٢٣.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٢.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٢.

(٤) ابن الفقيه: البلدان، ص٤٩٣.

(٥) الطواشية: هم الخصيان من الخدم، إلا أنهم في دولة المماليك بات لهم شأن أخر فهم خدم الطباق الموكلون بتربية المماليك وتعليمهم؛ ابن بردي: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٩، ص٧٣؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٥، ص٢٥٧.

(٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٢.

(٧) ابن فضل الله: التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٣٦.

أخطائهم وزلاتهم ومخالفاتهم، يقول المقريزي: لهم أزمّة من الخدّام، وأكابر من رؤوس النواب يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة، ويناقشونه على حركاته وسكناته، فإن عثر على أن واحدًا منهم، اقترف ذنبًا، أو أخلّ برسم، أو ترك أدبًا من آداب الدين أو الدنيا، عاقبوه على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه(١).

يقول علي الصلابي معلقًا على هذا النوع من التربية: إنَّ هذه التربية المتميزة كان لها أثرها على أطفال وشباب المماليك؛ فنشؤوا على تعظيم أمر الإسلام، فتكون لديهم خلفية فقهية إسلامية، وأصبح للعلماء عندهم مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، وذلك طيلة حياتهم؛ فكان هذا من أسباب نهضتهم الحضارية الثقافية العلمية الراقية (٢).

يرى الباحث أن المماليك في تلك الفترة من بداية عهدهم ركّزوا على إعداد أنفسهم إعدادًا دينيًا؛ حيث يذكر الطنطاوي: أن الدين له دور رئيسي، وكبير في صناعة القيادة الإسلامية القادرة على صناعة التاريخ، والوقوف في وجه الأخطار ومحاربتها(٣).

٢. المرحلة الثانية: وهي التي تبدأ بسن البلوغ، يقول المقريزي: فإذا وصل المملوك إلى سن البلوغ بدأ تعليمه أساليب القتال من رمى السهام، ولعب الرمح، وركوب الخيل، ونحو ذلك، حيث يُكلَّف بمهمة تعليمهم معلم خبير يصل بهم إلى الغاية في القوة، والشدة، والخبرة العسكرية(٤)، يرى الباحث أن المماليك هنا عقلوا أمر ربهم لهم بالإعداد، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (٥)، حيث فهموا أن الإسلام دين الإعداد والعمل، لا دين التواكل والكسل (٦)، يقول محمود شيت خطاب: إنَّ أهم صفات الجندي الحقيقي أن يكون مدرّبًا، إذ لا قيمة عسكرية للجندي المُتخّلف بالتدريب العسكري(٧).

٣. المرحلة الثالثة: وفيها ينتقل المملوك إلى الخدمة، حيث يبدأ بالارتقاء رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء، فلا يبلغ هذه المرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه، وامتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه، واشتد ساعده في رماية السهام، وحسن لعبه بالرمح، ومرن

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٣.

(٢) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص٣١.

(٣) الطنطاوي، عبد الله: اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص١٥٠.

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٢.

(٥) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٦) الحملاوي، عمر: التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، ص٢٥.

(٧) بين العقيدة والقيادة، ص١٠٠.

على ركوب الخيل، بعد ذلك يأتي دور التخصصية؛ فيكون من أولئك النشء من هو في رتبة فقيه عارف، أو أديب شاعر، أو حاسب ماهر وهكذا [١].

ويرى الباحث: أن المماليك –من خلال هذه المراحل–استطاعوا أن يصنعوا أنفسهم؛ وذلك حين فهموا أن النبي –صلى الله عليه وسلم–كان يبني الرجال ولا يحطّمهم، يقوّم المعوجّ ولا يكسره، ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويوظف إمكانات كلّ منهم [٢]، ويعلق المقريزي على ذلك فيقول: "لذلك كانوا سادة يدبرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل، ويردعون من جار أو تعدى"[٣]، أمّا قاسم عبده قاسم فيرى أن هذه المراحل من التربية، وهذا النظام الصارم أفضا إلى نتيجتين في غاية الأهمية[٤]:

١. أن الجمع بين التربية الدينية، والإعداد العسكري جعل المماليك في بداية عهدهم يمتازون بالحماس، والغيرة على الإسلام ومقدساته.
٢. أن الرابطة الخشداشية (أي الزمالة) التي كانت تربط بين المماليك كنت أقوى الروابط، إذ كانت تقوم على الولاء الشخصي، والسبب في ذلك أنه –وكما سبق–لما جلب المماليك أطفالًا صغارًا عزلوا عن المجتمع في معسكرات خاصة وسط قوانين صارمة، فعاشوا باكر حياتهم حتى سن الشباب سويًا، فلم يجدا الأمان والطمأنينة إلا مع بعضهم البعض.

مع كل ما سبق في نهاية الأمر يجب الاعتراف أن المماليك كوّنوا في مصر عصبية الرقّ التي لا عهد للأمة الإسلامية بها، ساعدهم في ذلك عدة عوامل، أهمها: الحياة القاسية التي عاشها المماليك في صغرهم؛ فقد اختطفوا وانتزعوا من أحضان أمهاتهم صبية صغارًا؛ فذاقوا مرارة الغربة والشتات والرعب، وتجرعوا قسوة النخاسة، والمهانة لدى الملوك والأمراء، وعاشوا تناقض الدين الذي لُقِنوه مع واقع أسيادهم الذين انتحلوه، فجفت الرحمة واللين والوفاء والشفقة من قلوبهم، وملأت حقدًا على غيرهم، فلما استولوا على السلطة شكلوا من أنفسهم جيشًا ضاربًا قويًا، وتمسكوا بالحكم،

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٣.
(٢) الطنطاوي، عبد الله: اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص١٥٠.
(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٣.
(٤) في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٥٨.

ودافعوا عنه بشدة، وكان منهجهم في ذلك القتل بالشبهة، والاستئثار بالأموال، والإقطاع وسائر الخيرات[١].

**بعض وجوه المقارنة بين المغول والمماليك:**

**١. العقيدة:**

تعتبر عقائد الجند أهم عوامل النصر في أي معركة، إذ أن الجندي الذي يقاتل بغير إيمان راسخ وعقيدة، لا يمكن أن يثبت في ميدان القتال أبدًا[٢]؛ لهذا لم تخرج جحافل المغول للعالم إلا وهي تحمل العقيدة المغولية التي تقوم على أن الأرض قد مَلَكَها الله إلى جنكيز خان وأولاده، وفي هذا يروي أبو الفداء: أن أحد أمراء المغول كان يسيح بالصحاري عريانًا وسط الشتاء، ثم يعود ليقول للمغول: " كلّمني الله وقال لي إنّ الأرض بأسرها قد أعطيتها لتموجين، وولده وسمّيته جنكيز خان" [٣]، يقول الجويني: مشايخ المغول يصدقون بهذا، ويأخذونه مُسَلَّمًا[٤]، إذًا هذا الأمر وكما سبق يعتبر مُسَلَّمًا من المسلمات، وعقيدة من العقائد التي يؤمن بها المغول، ولا يُخفى ما للعقائد من أثر قوي على حياة الأمم. لكن هذه العقيدة اصطدمت بعقيدة المماليك الذين نشؤوا على القرآن والسنة [٥]، حيث نشأ المماليك على قوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١٤] [٦]، لذلك كانوا يعتقدون بنصر الله لهم، وأن هذه الأرض ملك لله وحده يورثها من يشاء قال تعالى: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [٧]، ولكن أثر العقيدة عند المسلمين يبرز وبشكل جلي واضح حين تكشف ساق الحرب وتشتعل نارها يقول المقريزي يصف أحد مشاهد معركة عين جالوت: "كان

---

(١) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

(٢) خطاب، محمود: بين العقيدة والقيادة، ص٩٠.

(٣) تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٦.

(٤) ابن كثير: البادية والنهاية، ج١٧، ص١٦٢.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣، ص٣٧٢.

(٦) سورة التوبة: آية١٤.

(٧) سورة الأعراف: آية ١٢٨.

قد تزلزل المسلمون زلزالًا شديدًا فصرخ السلطان صرخة عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول: وَا إسلاماه ثلاث مرات يا الله انصر عبدك قطز على التتار"[١].

**٢. قسوة الحياة:**

إن من البديهة أن نقرّ ما للحياة القاسية من تأثير في إنتاج المقاتلين الأشداء، والفرسان الأقوياء[٢]، تلك الحياة القاسية لم تكن حكرًا على المغول فقط، فكما كان المغول يعيشون في ضيق وشظف من العيش[٣]، عاش المماليك في طفولتهم حياة قاسية تركت على مستقبلهم آثارًا واضحة[٤].

**٣. الشخصية:**

كانت المعوقات والملمّات التي عانى منها المغول وزعيمهم جنكيز خان[٥] هي أحد الأسباب التي أثرت في بناء الشخصية المغولية الصعبة، وكذلك كان للحالة الصعبة التي عانى منها المماليك في بداية حياتهم بالغ الأثر في بناء شخصيتهم وطريقة عيشهم[٦].

يرى الباحث: أن ما سبق من مقارنات خاصة بالعنصرين المغولي والمملوكي كان شيئًا ضروريًا؛ حتى نفهم ما سيأتي من صدام حملته الأيام بين فئتين من البشر كل منهما يسعى لتحطيم أهداف الآخر، لقد كانت عناصر المقارنة السابقة عوامل ساعدت في صقل نفوس جيشين من البشر اختلفت مبادئهم وأهدافهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٧.

(٢) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٨.

(٣) الجويني: فاتح العالم، ج١، ص٦٢.

(٤) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٠.

(٦) الطرسوسي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٧.

## ثالثًا معركة عين جالوت، وموقع سلاح الرعب منها:

لقد بلغ الخوف والرعب في أمة الإسلام مبلغًا عظيمًا قبل عين جالوت٦٥٨هـ/١٢٦٠م، يقول أبي زهرة يصف ما حركة المغول وما عناه المسلمين من هذا الرعب الذي حل بهم، فيقول: لقد انحدر المغول كالصخرة من أعلى الصين، ما زالت تسير لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم، حتى وصلت جحافلهم فيينا-عاصمة النمسا-، ملؤوا العالم رعبًا، لكنهم خَصُّوا المسلمين، فكانت الحبالى تجهض عند سماع أخبارهم(١)، فلما كانت عين جالوت انقلب السحر على الساحر، وغزا الرعب والفزع قلوب المغول، وتحلّلت منه رقاب المسلمين، فأخذوا بالمغول قتلًا، وركبوا أكتافهم فتبدّل الحال(٢)؛ ليلوح في مثل هذا الموطِن السؤال كيف؟، عن عين جالوت وأحداثها، وآثارها ستتحدث الدراسة بإذن الله تبارك وتعالى.

### حال الوضع بمصر قبل معركة عين جالوت:

لقد كان لسقوط الشام في أيدي المغول أثر واضح على الناس في مصر، وكيف لا؟ والناس في مصر الكنانة بدؤوا يستقبلون جموع الفارين من هول المغول، ولابد كذلك أن هؤلاء الهاربين إلى مصر نقلوا إلى أهلها روع ما شهدته أعينهم، وسمعته آذانهم عن المغول وبطشهم(٣)؛ فبلغ الرعب من أهلها مبلغًا عظيمًا حتى أن بعض قادة المماليك كانوا يرفضون فكرة الحرب والقتال(٤).

---

(١) أبي زهرة: زهرة التفاسير، ج٩، ص٤٩١٧.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٦١؛ أبي شامة: المذيل على الروضتين، ص١٤٩.

(٣) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص١٠٨.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

لم يكن هذا الحال من الرعب والقلق، إلا لأنّ الجميع بات مدركًا أن هدف المغول القادم بعد الشام هو احتلال مصر، وهذا ما كان قد صرّح به هولاكو نفسه في رسالته إلى بدر الدين لؤلؤ[١]: "إن سنك قد جاوزت التسعين؛ ولذلك أعفيناك من السير معنا، ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك صالح مع الرايات الغازية لفتح ديار الشام ومصر"[٢].

ويرى الباحث أن هناك عدة عوامل مهمة تجعل المغول يضعون مصر ضمن أهم أهدافهم بعد بلاد الشام:

١. سياسة المغول التوسعية؛ إذ هم لا ينتهون من بلد إلا ويبدؤون بالذي يليه، وهذا ما جاء في رسالة هولاكو إلى الناصر يوسف٦٥٨هـ/١٢٦٠م: " ونحن–أي المغول–في طلب الازدياد على ممر الآباد"[٣]، أُشيرُ مجددًا إلى أن هذه السياسية تنبع من العقيدة المغولية التي تنص على أن الله منح جنكيز، خان وذريته وجه الأرض[٤].
٢. لا يوجد أحد ينكر أن أرض الكنانة هي واحدة من أهم البلدان الإسلامية التي لا زالت تمتلك رصيد من القوة يمكنها أن تهدد سلطة المغول على العالم الإسلامي، وليس أدل على صحة ما ذهبت إليه مما كان من هزيمة الملك لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م [٥].
٣. أن مصر تتمتع بموارد اقتصادية وفيرة، مقارنة مع غيرها من البلاد [٦].
٤. الموقع الاستراتيجي لمصر؛ فلقد كانت أهمية موقع مصر سببًا في تنافس الدول الاستعمارية للسيطرة عليها منذ أقدم عصور التاريخ، إذ إنه وبسبب موقعها قاست

---

(١) بدر الدين لؤلؤ: هو صاحب الموصل زمن أخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله، إذ لما سقطت بغداد، ذهب إلى هولاكو هو في روع شديد مقدماً له فروض الطاعة والولاء؛ انظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٧٦؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ص٥٩؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص ٢٢٦٩؛ بن المستوفي: تاريخ اربل، ج١، ص٧٤٣؛ بن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤١٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠٥.

(٣) ابن عبد الملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٣، ص٥٢٧.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٧٨.

(٦) طقوش، محمد: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٤٥٢.

كثيرًا؛ وذلك لتتابع حملات الغزاة الطامعين، حيث كان موقعها الاستراتيجي المهمّ السبب وراء جذبهم[١].

٥. يعتبر احتلال مصر بمثابة الدخول للشمال الإفريقي[٢]؛ وذلك بسبب ما صار إليه حال دولة الموحدين من سوء، خاصة بعد واقعة العقاب الشهيرة سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م[٣].

٦. ما تمثله مصر من ثقل بشريّ، وطاقات كامنة، حيث كان لاستيعابها فلول المسلمين الهاربين من المغول مصدر قلق بالنسبة للمغول[٤].

٧. الحالة المعنوية المرتفعة عند قادة [٥] وجيش المغول[٦]، وما يقابلها من حالةٍ معنويةٍ متدنيةٍ عند المسلمين[٧].

**موقف قادة مصر من التهديد المغوليّ:**

في تلك المرحلة الدقيقة من التاريخ الإسلامي عمومًا، وتاريخ مصر خصوصًا كان يجلس على رأس حكم سلطنة المماليك الفتيّة شاب صغير اسمه المنصور علي بن المعز أيبك [٨]، عمره خمس عشرة سنة لا يعرف تدبير الملك، مستهترًا، كثير المفاسد، لاهيًا في اللعب، تحكمت فيه أمّه، فاضطربت أُمور الحكم [٩].

---

(١) محمدين، محمد، والفراء، طه: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ص٤١١.

(٢) الصلابي، علي: السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص١٠٧.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص٢٥١، ٢٣٣.

(٤) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص١٠٨؛ الصلابي، علي: السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص١٠٧.

(٥) انظر الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٢٧٦.

(٦) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٥٨.

(٧) انظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

(٨) المنصور علي: السلطان الملك المنصور نور الدين علي ابن السلطان الملك المعز أيبك التركي، التركماني، الصالحي، ولاه المماليك سلطنة مصر سنة ٦٥٥هـ، وعزله قطز أواخر سنة ٦٥٧هـ، فكانت دولته سنتين ونصف السنة؛ انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٠٠؛ ابن تغري: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، ص٢٨؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٢٧٥.

(٩) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٧.

في هذه الظروف الخطيرة والعصيبة وبعد أن امتلأت الآذان بأخبار الهجمات المغولية الرهيبة على بلاد الشام، قرر قطز [١] –رحمه الله–أن يجمع القضاة، والفقهاء، والأعيان، وكان من بين الحضور في تلك الجلسة الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام [٢]، والقاضي بدر الدين السنجاري قاضى الديار المصرية؛ لمشاورتهم فيما يتهدد ديار الإسلام عمومًا، ومصر خصوصًا من أمر مغول، كان ذلك بحضرة السلطان الملك المنصور نور الدين علي الذي لم ينطق بكلمة واحدة طوال الاجتماع؛ ليبان للجميع عجزه عن حمل أمر الأمة في ظرف كهذا؛ فبدأ الناس ينادون بخلع المنصور [٣]؛ لم يمرّ على هذا الاجتماع أيام طويلة حتى قبض قطز –رحمه الله– على الملك المنصور وعزله، ووُلّي السلطنة مكانه، وقال عنه مبررًا ما قام به: "هذا صبيّ، والوقت صعب، ولابد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد" [٤].

إنَّ ما سبق لم يكن أبدًا محل إجماع بين المؤرخين، إذ يحاول البعض إظهار قطز بالشخص الذي يسعى إلى الملك عن طريق انتهاز الفرص ليس إلا، يقول ابن كثير –رحمه الله– : إن قطز انتهز غيبة أكثر أمراء مماليك المعزية وغيرهم في الصيد، فأمسكه وسيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري[٥]، وتسلطن هو، وسَمَّى نفسه بالملك المظفر، ولقد جاء تبرير قطز لفعلته هذه بأنّه لابدّ للناس من سلطان قوي قادر على جهاد الكفار، ودفع الأخطار، خاصة مع

---

(١) المظفر قطز: هو سيف الدين قطز بن عبد الله مملوك الملك المعز عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي التركماني، يقال أن اسمه الحقيقي محمود بن ممدود، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وأبوه ابن عمّه، أسر عند غلبة التتار على بلاد خوارزم، وبيع بدمشق، ثم تولى سلطنة مصر أواخر سنة٦٥٧هـ، فكان ثالث سلاطين المماليك فيها، وذلك بعد أن عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المعز أيبك؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٧٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٠٠؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٣٤١؛ السبكي: فتاوي السبكي، ج١، ص٢٨٣؛ ابن تغري: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، ص٣٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٠٠؛ السمهودي: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢ن ص١٨٥.

(٢) عز الدين بن عبد السلام: يقول عنه صلاح الدين ابن شاكر: "عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي؛ ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ستين وستمائة"؛ فوات الوفيات، ج٢، ص٣٥٠.

(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٧٢–٣٧٣؛ ابن العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، ص٢١.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٣.

(٥) بلاد الأشكري: هي بلاد القسطنطينية، ويطلق عليها بلاد الأشكري نسبة إلى الملك الذي كان يحكمها في تلك الفترة؛ ابن تغري: تاريخ مختصر الدول، ج٤، ص٦؛ ابن تغري: المنهل الصافي، ج٦، ص١٤.

ظروف صعبة كهذه، ثم يعلق ابن كثير على ولاية قطز بقوله: "كان هذا من رحمة الله تعالى بالمسلمين" [١].

على أي حال تولَّى قطز الحكم في مصر بطريقة علنية، فأصبح سلطان المسلمين في مصر، لكن ليس دفاعًا عنه وإنْ كان ذلك شرف، إلا أن جلوس هذا الفارس على الحكم ما كان إلا لإدراكه خطورة الموقف؛ ذلك لأن التاريخ يشهد أن الطامعين بالحكم يزول طمعهم فيه عند الخطوب والملمّات، دليل ما ذهبتُ إليه هو حال أمراء الأندلس وقت ولاية عبد الرحمن الناصر [٢] –رحمه الله–، حيث زهد الجميع في حكم البلاد، وكانوا يتنافسون قبل ذلك في الولاية والحكم [٣]. يقول راغب السرجاني يثني على قطز في هذا القرار: ما من شك أن ولاية طفل عرش السلطنة في مصر يضعف هيبة الحكم فيها، ويزعزع ثقة الناس بملكهم؛ وذلك يقوي عزم الأعداء[٤]، أخيرًا في هذا الإطار أعتقد أن هذا القرار كان أولى القرارات الصائبة في مواجهة الرعب المغولي الزاحف إلى الديار المصرية.

**أهم إجراءات سيف الدين قطز بعد ولايته للحكم في مصر:**

لقد كان سيف الدين قطز يدرك إدراكًا تامًا أن بقاء دولته يتوقف على نجاحه في التصدي للخطر المغولي الذي كان قد استشرى في العالم الإسلامي[٥]، فقام بعدة خطوات مهمة في هذا الجانب:

١. أقام العدل والإحسان في الرعية؛ فأحبه الناس[٦]، فالعدل أساس أي نجاح وفلاح؛ وبذلك قيل: أن العدل أساس الجميع[٧]، وجاء في هذا الإطار مما أُثر عن سليمان

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٨.

(٢) عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الأموي ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن الداخل عبد الرحمن، سلطان الأندلس، ولي أمارتها سنة ٣٠٠هـ، وهو ابن اثنين وعشرين سنة، وحكمها إلى أن مات مدة عشرين سنة ونيف؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٥؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ٦٢١–٦٢٢.

(٣) انظر الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص١٧.

(٤) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٢٢٤.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٣.

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٠.

(٧) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ص٢٢٩.

بن داود –عليهما السلام–: العدل والرحمة، يحرزان الملك والعدل أساس لسائر الأساسات [١].

٢. بدأ سيف الدين قطز بتدوير إداري يتناسب وطبيعة المرحلة، فولَّى الوزير زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن يزِيد بن الزبير[٢]، وأقال تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز[٣]؛ ولكن ليس كما قال الصلابي: بسبب ولائه لشجرة الدر[٤]، إنما لأن ابن الزبير كان يَعرفُ اللسان التركي؛ فيحفظ بذلك مجالس الأمراء في السلطنة، ويطالع قطز عما يقال في غيابه، وأقرّ قطز الأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحي المعروف بالمستغرب على منصبه أتابكًا[٥] للعسكر، وفوّض إليه وإلى الصاحب زين الدين تدبير أمر العساكر والأجناد وسائر أمور الدولة، والاستعداد كذلك للجهاد[٦]، واحتاط على بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنّا وزير شجرة الدرّ [٧].

٣. كانت من أهم خطوات قطز بعد اعتلائه عرش السلطنة هي العفو التام عن المماليك البحرية [٨]، وزعيمهم بيبرس البندقداري، حيث استقبلهم بحفاوة وكرم [٩].

---

(١) ابن الموصلي: حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، ص٧٠.

(٢) زين الدين يعقوب: هو الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيري، كان فاضلًا رئيسًا، ويزر للملك المظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس في أول دولته؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٨٨.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٧؛ ابن بنت الأعز: هو قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين محمود بن بدر، المعروف بابن بنت الأعز العلائي الشافعي؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص١٥.

(٤) الصلابي، علي: السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص١٠٩.

(٥) أتابك: لقب تركي أطلقه السلاجقة على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة؛ حاشية ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٧٤.

(٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٤٩٤، ٥٠٨.

(٧) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٩.

(٨) في سنة ٦٥٢هـ حدث هناك فتنة كبيرة بين المماليك إثر مقتل كبير المماليك البحرية فارس الدين أقطاي الجمدار، على يد المماليك المعزية؛ أدت هذه الفتنة الى هروب المماليك البحرية الى الشام بعد أن ذاقوا صنوف العذاب من قتل وسجن، وتشريد؛ انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٥٧؛ انظر اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٥٧.

(٩) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩٧؛ بيبرس البندقداري: هو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية، تولى سلطنة مصر ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بعد مقتل المفر قطز مباشرة؛ الجبرتي، عبد الرحمن: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج١، ص٣٠.

٤. حرص قطز على العمل لتوحيد طاقات الأمة المسلمة ضد عدوّها الرئيس في تلك الفترة المغول، فرغم ما كان بين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام من شقاق وخلاف، وقتال [١]، وصل إلى درجة أن يستعين الملك الناصر صاحب دمشق بهولاكو العدو الرئيس للمسلمين على المسلمين المماليك بمصر [٢]. كان رد فعل قطز –رحمه الله– أنْ أرسل إلى الملك الناصر صاحب دمشق رسالة يقسم فيها الأيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاتله، بل ويعتبر نفسه نائبًا عنه بالديار المصرية، متى حل بها جلس على عرشها، وجاء في الرسالة كذلك أنْ عرض قطز خدماته على الملك الناصر فقال:" وإن اخترتني خدمتك وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره"[٣]. يقول علي الصلابي فيما يخص الخطوتين الثالثة والرابعة: وتظهر هنا جميل الصفات القيادية عند المظفر قطز –رحمه الله– وهي العفو عند المقدرة، وإنزال الناس منازلهم، والفقه السياسي الحكيم، والحرصّ على الوحدة؛ ذلك للاستفادة من جميع الطاقات في رد الخطر القادم[٤]، وهي كذلك عبقرية سياسية تتمثل في تحييد الأطراف غير الخاضعة لسلطانه؛ كي يأمن شرهم.

٥. فتح أبواب مصر أمام فلول الجيوش الإسلامية التي تعرّضت بلادها للغزو المغولي، فدخل مصر بعض جموع الخوارزمية الفارّة من وجه المغول، ودخلها كذلك بعض جيوش الشاميين الفارين؛ فطيّب قطز –رحمه الله–خاطرهم، وعَطَف عليهم، وبذل لهم الأموال الكثيرة؛ فتفق بذلك رأيهم عليه [٥].

٦. قرن سيف الدين قطز العدة والعتاد والعدد، وبين العقيدة والإيمان ذلك حين استعان بالعلماء العاملين، يذكر اليونيني: أن المجلس الذي عقده قطز للتشاور في أمر المغول كان يعتمد بشكل أساسي على الشيخ عز الدين بن عبد السلام [٦].

---

(١) انظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٦٠؛ الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣، ص١٣٠.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٠.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥٠٨.

(٤) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص١١٠.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١١.

(٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٧٢–٣٧٣؛ بن عبد الملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، ص٢١.

يرى الباحث أن هذه الخطوات التي قام بها قطز ساهمت وبشكل كبير في رصّ صفوف الأمة الممزّقة، في الوقت الذي فقَدَتْ فيه الأمة المسلمة أهم عناصر وحدتها ألا وهي الخلافة.

**الموقف المغولي قبيل المعركة:**

لقد دخلت جحافل المغول بلاد الشام؛ فملأتها رعبًا وفزعًا، وبدأت جحافلهم ورياتهم تقترب من آخر معاقل الإسلام مصر [١]، لدرجة أن يقول أحد أساقفة الغرب واصفًا حال المسلمين آنذاك: لقد أشرفت قوة الإسلام على الزوال [٢]. إلا أنه وبعد احتلال المغول لبغداد والشام سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م أقبل رسل المغول من المشرق وفي مقدمتهم "سنكتور نويان"، الذي تقدّم إلى هولاكو بنعي منكو خان سلطان المغول، وفي السنة نفسها قضى جماعة من أشجع أمراء المغول؛ فبات هولاكو في نغص شديد، وخاصة بعد المتاعب التي أثارها أحد أمراء المغول وهو أريق بوكا أخو هولاكو؛ فرحل هولاكو يريد الرجوع إلى عاصمة المغول في الشرق [٣]. إذًا لا شك أن هذا الأمر تسبب في إرباك كبير في الساحة المغولية، لكنّي لا أعتقد أنّه وصل إلى حدّ التأثير على الغرور المغوليّ، كَوْن المغول لا زال فيهم أشرس قادتهم كتبغا نوين نائب هولاكو على بلاد الشام، يقول عنه ابن كثير: كان هذا الخبيث قد أدرك جنكيز خان، وفتح لسيده هولاكو من أقصى بلاد العجم إلى الشام، فكان يعتمد عليه في حربه على المسلمين [٤].

**مقدمات معركة عين جالوت:**

لقد بدأت معركة الإعداد عند قطز بعد توليه الحكم مباشرة، بل إنّ وصوله إلى حكم مصر –كما سبق– كان إحدى خطوات الإعداد والتجهيز، لكن ومع أن كل الشواهد التي سبق ذكرها والتي تؤكد أن المغول كانوا يهدفون إلى الاستيلاء على مصر كخطوة قادمة، وأن المظفر قطز كان يسعى لأن يحافظ على مصر في حوزة الإسلام، هذه الشواهد تؤكد أن حالة من الصدام والقتال قادمة لا محالَ، هكذا بدأت الأمور تأخذ منحى تصاعدي؛ إذ بدأ المغول بالتهديد المباشر لمصر، ولأول مرة يقوم هولاكو بإرسال رسل المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م إلى المظفر قطز برسالة امتلأت

---

(١) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٢، ص١٠٨.

(٢) خطاب، محمود: بين العقيدة والقيادة، ص٣٣٢.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠٨–٣١٠؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٤.

(٤) البداية والنهاية، ج١٧، ص٤١٤؛ انظر الملحق رقم (١١).

صفحاتها بالحرب النفسية التي أحد أهم أهدافها زرع الرعب في نفوس الخصم[١]. وهذه بعض مقتطفات الرسالة المغولية الى قطز:

"من ملك الملوك شرقًا وغربًا القان الأعظم باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتنعمون بإنعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك"[٢].

وهو في هذا يريد أن يحقّر من شأن قطز –رحمه الله–، فكأنّه يقول ما أنت يا قطز إلّا واحدًا ممن فرّ أجدادهُ منّا ومن سيوفنا؛ يريد من ذلك أن يزعزع من ثقته في نفسه، وهذا يؤكد أن المغول كانوا قد فطنوا إلى أهمية ثقة المقاتل بنفسه، ودور ذلك في النصر في المعارك، يقول محمد طقوش: الثقة بالنفس هامة وضرورية خاصة في مواجهة قوى كبرى تتمتع بقدرات مادية، وكثرة عددية [٣]، وفي ذات الإطار تقول نادية العمري: إنّ التوكّل على الله، والثقة بالنفس هما أهم عوامل النصر والنجاح في أيّ معركة، وأيّ نزال [٤]؛ لذلك أرى أن هولاكو أراد ومن خلال هذه السطور القليلة السابقة أن يغرس في نفس قطز أولى بذور الخور والهزيمة.

ثم يكمل هولاكو ما بدأه من حرب نفسية تهدف لزرع الخوف والرعب في نفوس الأمراء بقوله: "لكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا، ويعود عليكم الخطأ، فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرقّ لمن شكا، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهّرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم البلاد فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع"[٥]

هنا يريدُ هولاكو أن يذكّر قطز، وأمراء المماليك بانتصاراته السابقة، التي كانت كلّها وبالًا على المسلمين، فالآثار النفسية التي أحدثتها الهزائم المتكررة على المسلمين وخيمة، ولهذه الآثار

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٠.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٤.

(٣) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ص٩٠.

(٤) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص٣٠٩.

(٥)الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٤٧.

أشار محمد الغزالي حين قال: إن من أصعب الأمور قيادة الأمم عقب الهزائم الكبيرة، وقيادة الدعوات بعد الانكسارات الخطيرة [١].

يكمل هولاكو حربه النفسية ضد المسلمين، لكن هذه المرة من خلال استغلال عقيدتهم الإسلامية ذاتها التي ترى أن المعاصي والآثام هي سبب الهزائم والنكبات [٢]، فيقول مخاطبًا قادة المسلمين في مصر: "إنكم أكلتم الحرام ولا تعفون عند الكلام، وخنتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان، فأبشروا بالمذّلة والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[٣].

إزاء هذا التطور الخطير دعا قطز الأمراء والقادة، وشاورهم في أمر المغول وما استجد من وصول رسلهم إليه [٤]. فما إن أنبأهم النبأ، وقرأ عليهم رسالة الرسل؛ حتى اختلفت آراؤهم، وتفرقت كلمتهم، لم تكن هذه الكلمات التي تكلم بها هولاكو في هذه الرسالة سهلة على قلوب امتلأت من جحافل المغول رعبًا، وخوفًا وفزعًا، فهذا ناصر الدين قيمري – أحد أمراء المماليك في جيش قطز–يقول بعد سماعه هذا التهديد: " إنّ هولاكو فضلًا عن أنه حفيد جنكيز خان، وابن تولوي، وأخو منكو خان، فإن شرته وهيبته في غنى عن الشح والبيان، وإنَّ البلاد الممتدة من تخوم الصين إلى باب مصر كلها في قبضته الآن، وقد اختص بالتأييد السماوي، فلو ذهبنا إليه لطلب الأمان فليس في ذلك عيب وعار"[٥].

هذه الكلمات التي خرجت من فم ناصر الدين تدل بما لا يدع مجالًا للشك أن المغول نجحوا نجاحًا باهرًا في نشر الرعب في أرجاء العالم الإسلامي؛ فحطّموا إرادة القتال في نفوس الجميع، وذلك حين استطاعوا في البداية القضاء على الروح المعنوية لدى القادة والجنود [٦]، ولكن الأخطر من هذا كله أن يُزرَع الرعب في قلوب الأمراء المسلمين كذبة التأييد السماوي للمغول الكفّار [٧]، وهو ما حاول المغول نشره في عديد رسائلهم كما سبق.

---

(١) فقه السيرة، ص٢٧٧.

(٢) انظر الهندي، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٧٥٤.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٤.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٢.

(٦) نوفل، أحمد: الحرب النفسية، ص٦٠.

(٧) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٦.

ثم علق قطز على ما قاله ناصر الدين القيمري: إنَّ جميع ما احتلّه المغول مليءٌ بالمناحات والفجائع، وأضحت بسببهم جميع البلاد من بغداد حتى الروم خرابًا يبابًا، لم يسلم من شرهم حرث ولا نسل؛ لذا ينبغي أن نختار واحدًا من ثلاثة: إما الجلاء، أو الصلح، أو القتال، ثم قال: الجلاء متعذر، فلا يمكن أن نغادر إلى المغرب لبعده عنا، وأما الصلح، فأجاب ناصر الدين القيمري: بأنه ليس هناك مصلحة في مصالحتهم، إذ لا يوثق بعهودهم، وقال بقية الأمراء: لا طاقة ولا قدرة لنا بمنازعتهم وقتالهم [١].

من خلال هذا العرض لما جرى من حوار بين قطز وباقي أمراء جيش المماليك، يُخلص إلى النتائج الآتية:

١. إنَّ هناك إجماع على صعوبة المهمة التي تقبل عليها مصر.
٢. حالة التردد التي انتابت أمراء المماليك، فهذا ناصر الدين القيمري الذي أشار في بداية حديثه على قطز وباقي الأمراء بأن لا مفرّ من التسليم للمغول، هو ذاته الذي يقول بأنه لا يمكن التصديق بوعود المغول، وعهودهم؛ وهذا يدل على حالة الشك التي عمّت العالم الإسلامي نتيجة الرعب، الذي زرعه المغول في قلوب المسلمين، فتعطّلت بذلك عقولهم.
٣. كان موقف الأمراء في النهاية دليل على حالة اليأس الذي وصل لها المسلمين.

في نهاية الأمر كان لابد من قرار يحسم هذا الخلاف، فبعد أن رُدَّ الأمر لقطز، ليُفصح عن رأيه النهائي في اتخاذ القرار الصعب، لكنه الأسلم إذ لا يمكن للمماليك الانسحاب للمغرب العربي فرارًا من المغول؛ لبعده عنهم، ولا يمكن كذلك التسليم لغموض النتائج، واستحالت توقعها، عندها قال قطز: "إن الرأي عندي هو أن نتوجه جميعًا إلى القتال، فإذا فزنا فهو المراد، وإلّا فلن نكون ملومين أمام الخلق"[٢].

لم يكتفِ قطز بهذا، فبعد أن تم اتخاذ قرار القتال والجهاد، استحلف الأمراء على أن يكونوا خير معين له في هذه المهمة الصعبة [٣].

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٢.
(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٣.
(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

ثم اختلى بركن الدين بيبرس البندقداري وشاوره في الأمر، فأشار عليه: أنه يرى بأن تُقتل رسل المغول، وتسير جحافل المسلمين إلى لقاء المغول خارج الديار المصرية، فإذا انتصرنا أو هزمنا نكون في تلك الحالتين معذورين [١].

وفي يوم الإثنين ١٥ شعبان٦٥٨هـ/١٢٦٠م أعلن قطز حالة الاستنفار في جيوش مصر، واستدعى رسل المغول، وكانوا أربعة، فأمر بتوسيطهم [٢] وتعليقهم، فوسط واحدًا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث في ظاهر باب النصر، ووسط الرابِع بالريدانية، وعلقت رُؤوسهم على بَاب زويلة، وهذه أماكن مشهورة بالقاهرة، لكن تجدر الإشارة إلى أن رؤوس المغول هذه كانت أول ما عُلق من الرؤوس بالقاهرة على باب زويلة من المغول، وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل، وجعله من جملة مماليكه [٣].

يرى الباحث أنه ربما يكون الهدف من تعليق رؤوس المغول على أبواب القاهرة الرئيسة هو رفع الحالة المعنوية للناس، فالناس عندما علمت بالتهديد المغولي لمصر كان حالهم في منتهى السوء كما يروي ابن تغري: كانت القلوب قد أيست من النصرة على المغول، لأنهم ما قصدوا بلدًا إلا وفتحوه، ولا عسكرًا إلا هزموه، إذ لم يبق خارج عن مُلْكِهم في بلاد المشرق إلا الديار المصرية والحجاز واليمن، في ذلك الوقت كان في مصر جماعة من المغاربة هربوا إلى الغرب، وهرب جماعة من الناس إلى اليمن والحجاز، والباقون بقوا في خوف شديد يتوقّعون دخول المغول وأخذ البلاد في أي وقت[٤].

يقول علي الصلابي مفسرًا قتل رسل المغول: كان قتل رسل المغول إعلانًا للحرب عليهم، وإعلامهم بأنهم قادمون على قوم يختلفون كثيرًا عن سابقيهم، وهذا يؤثر سلبًا على معنويات المغول فيلقي في قلوبهم ولو شيئًا من الرعب، أو التردد [٥]، ولكن هذا مُستبعد، فالمغول لم يكن يزيدهم هذا الأمر إلا حقدًا وإجرامًا [٦]، والصواب ما ذهب إليه محمود شيت خطاب من أنَّ قتل رسل

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٣.

(٢) التوسيط: هو شقّ الرجل من وسطه نصفين؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٣، ص٢٦٦.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٨.

(٥) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص١١٧.

(٦) انظر النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص٨٨.

المغول كان لقطع التفكير في أيّ حل سلمي، وإغلاق كافة الأبواب عدا باب الجهاد والقتال [١]، فبعد قتل رسل المغول لن يقبل التتار باستسلام مصر حتى لو قبل بذلك المسلمون.

مع كل ما سبق فعندما جد الجدّ ونُودِي في سائر أقاليم الديار المصرية بالخروج للجهاد في سبيل الله نصرة لله والدين ولرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، كان بعض الجنود يختفون خوفًا من الخروج؛ فيعاقبوا لذلك، ولما تكامل العسكر طلب قطز الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فرفضوا ذلك كلهم، وامتنعوا من الرحيل، فقال لهم قطز: "يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين، فتكلم الأمراء الذين تخيّرهم وحلفهم في موافقته على المسير فلم يسع البقية إلا الموافقة وانفض الجمع"[٢].

لقد فعلت هذه الكلمات القليلة في نفوس الأمراء مفعول السحر، فكانت لها كامل الدور في تقوية روحهم المعنوية المنهارة [٣]، وأعتقد أنه ما كان ليكون ذلك لولا الإيمان الذي تربى عليه المماليك في أيام سنينهم الأولى.

فلما عزم السلطان الملك المظفر قطز–رحمه الله–على المسير، وجمع العساكر ضاقت يده عن نفقاتهم، فاستشار الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال له: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام اتخاذه، وضربته سكة ونُقِدا، وفرّقته في الجيش ولم يقم بكفايتهم، في ذلك الوقت اطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا؛ فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بحضرة الشيخ، وقد كانت له عندهم منزلة عظيمة، وله في أنفسهم مهابة كبيرة بحيث لا يستطيعون مخالفته، فامتثلوا ما قاله لهم؛ فلما رأى الشيخ ذلك منهم قال لهم: "أخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر"[٤].

بهذا يكون المظفر قطز–رحمه الله–قد أكمل الإعداد الروحي، أو ما يسمى بالتوجيه المعنوي في أيامنا هذه، وهذا من أهم عوامل تحقيق النصر، إذ تتجه بسببه القلوب إلى الله بصدق؛ فيلقى الأعداء بروح عالية لا تهاب الموت [٥]. تقول نادية العمري معلقة على أهمية هذا النوع من الإعداد: للإعداد الروحي عدة مظاهر أهمها غرس الفضائل النفسية كالشجاعة، والإقدام، والتقوى، وطاعة

---

(١) بين العقيدة والقيادة، ص٣٣٦.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥.

(٣) الصياد، فؤاد: المغول في التاريخ، ص٣٠٦.

(٤) الداوودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٣٢٢.

(٥) الصلابي، علي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، ص٢٠٨.

القائد، وبسببه يكون الجندي المسلم مهيأ لخوض معارك الجهاد الكبيرة في كل حين مهما كانت الظروف عصيبة وشديدة[١].

وما إن بدأت الجيوش الإسلامية في التحرك؛ حتى أرسل الأمير بيدر–قائد طلائع المغول بغزة–إلى كتبغا نوين نائب هولاكو على بلاد الشام، يخبره بتحرك الجيوش المصرية، فلم يكن رد كتبغا أكثر من أن قال: "قف مكانك وانتظر"[٢].

يبدو أن كتبغا لم يكن يتوقع أن يتجرأ المسلمون، فيخرجوا من حصونهم لملاقاة جيش المغول الرهيب صاحب السمعة الكبيرة، يعلّق محمود شيت خطاب على قرار نقل المعركة خارج الديار المصرية بالقول: إن في قرار نقل المعركة خارج الديار المصرية هو قرارٌ عسكريٌ فذّ له خمسة نتائج هامة[٣]:

١. تجنيب مصر وعوام الناس فيها ويلات الحرب والقتال.
٢. رفع معنويات جيش المماليك، والأهالي بمصر.
٣. يوحي للمغول أنه لا يخافهم؛ فيؤثر ذلك على معنوياتهم.
٤. غالبًا ما تتقلص فرص الانتصار أمام المدافعين.
٥. يعتبر الهجوم أنجع وسائل الدفاع.

**خطة سير الجيوش الاسلامية:**

تم تقسيم الجحافل الإسلامية إلى قسمين: قسم رئيسي يقوده المظفر قطز نفسه، وقسم أخر هو طليعة الجيش يقوده الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد كان هذا القسم خاصّ من شجعان المماليك وأبطالهم، أوكل لهم قطز مهمة استكشاف طريق الجيش المسلم، ومعرفة ما خبّئ من أخبار جيوش المغول، ومما سبق يمكن أن يكون من مهام هذه الطليعة تحديد أرض المعركة كذلك[٤].

يرى هاني الجزار: أن هذه المهمة التي كُلف فيها ركن الدين بيبرس هي أهم ركائز المعركة، التي ستترتب عليها كافة النتائج بعد ذلك[٥]، ويقول الصياد معلقًا على هذه المهمة: هي شيء جديد

---

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص٣٠٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٣.

(٣) بين العقيدة والقيادة، ص٣٣٩.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٩؛ الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٤٩.

(٥) النظام العسكري للمماليك، ص١٥٧.

لم يشاهد من قبل في حروب المسلمين ضد المغول، إذ كان أمراء المدن الإسلامية يكتفون بالتحصّن خلف الأسوار، فيوقعهم خوفهم ورعبهم في فخ لا نجاة منه. أما قطز فقد كشفت خطّته هذه عن فهم عميق لفنون الحرب والقتال(١).

بدأ بيبرس بتنفيذ المهمة الاستطلاعية التي كلّفه بها المظفر قطز –رحمه الله–، فباغت الأمير المغولي بيدر في غزة وطرده، فولّى هاربًا هو وجنوده من سيوف المسلمين ورماحهم؛ فلما بلغ ذلك كتبغا غضب غضبًا شديدًا وكأنه كتلة من لهب(٢).

يرى بعض المؤرخين العسكريين: أن ما قام به قطز من الاستطلاع بواسطة مقدمة الجيش، وليس كما العادة بواسطة الجواسيس، أو الطلائع محدودة العدد، هو التكتيك العسكري السليم؛ إذ أن ذلك يعني دراسة العدو للوصول إلى أفضل أسلوب لتدميره وبأقل الخسائر الممكنة، ولقد استطاع بيبرس تحقيق المرحلة القتالية الأولى من الخطة الاستراتيجية بنجاح حين قام بتدمير الحرس الأمامي للمغول في غزة بقيادة بيدر(٣).

كانت لهذه المعركة ولهذا الانتصار الإسلامي في غزة أثرًا كبيرًا جدًا على نفوس المسلمين عموماً، ومعنويات الجيش الإسلامي خصوصًا، يروي ابن تغري يصف هدف جيش المسلمين قبل معركة غزة التي كانت في شعبان سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م: أجمع أمراء المماليك على حفظ مصر لا غير؛ وذلك لكثرة أعداد المغول، واستيلائهم على معظم بلاد المسلمين(٤). لكنَّ الأمر بات مختلفًا بعد معركة غزة، وهذا ما يقوله المقريزي: لما استنقذ المسلمون غزة مكث بها المظفر قطز يومًا واحدًا، حيث جمع الأمراء المسلمين وحثّهم على استنقاذ الشام من المغول ونصرة الإسلام والمسلمين، وحذّرهم من عقوبة الله؛ فضجّوا بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال المغول، ودفعهم عن بلاد الإسلام(٥) .

بعد معركة غزة صارت الجحافل الإسلامية على الطريق الساحلي لفلسطين حتى بلغت عكا التي كانت تخضع وقت ذاك للاحتلال الصليبي، فراسل قطز الصليبيين في عكا، فأجبوه، وخرجوا يريدون مساعدة الجيش الإسلامي؛ فشكرهم قطز وأخلع عليهم، واستحلفهم أن يكونوا لا له

---

(١) المغول في التاريخ، ص٣٠٦.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٣.

(٣) قاسم، قاسم: عصر سلاطين المماليك، ص٦٧.

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٨.

(٥) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٦.

ولا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذية عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أَن يلقى المغول[١]، أيًا كان السبب الذي دفع الصليبيون إلى فعلهم هذا مع جيش المماليك، إلا أني أرى أن قطز –رحمه الله–استطاع أن يحدد الهدف الرئيس من المعركة، وبشكل واضح هو لا يريد أن يدخل في معارك جانبية أخرى تحرفه عن هدفه الرئيس، وتعتبر القدرة على تحديد الأهداف من أهم عوامل النصر والنجاح التي يجب أن تدركها القيادة الإسلامية[٢].

**موقف قيادة المغول من تقدم الجيوش الإسلامية:**

عقد كتبغا نوين مجلس حربه للتشاور فيما لا عهد له به من خروج جحافل الإسلام، فكان ممن استشارهم في لقاء المظفر قطز الأشرف صاحب حمص[٣]، فأشار بعض من في المجلس بأنه لا قبل له بقطز حتى يستمد هولاكو، وأشار البعض الأخر بالقتال، فافترقت الآراء، وأبى كتبغا إلا القتال[٤].

يقول محمود شيت خطاب: كان هذا أول الوهن؛ فقد اختلفت آراء قادة المغول، إذ ظهر رأي يحبذ الانسحاب انتظارًا للنجدات، ورأي يريد عدم الانسحاب وقتال قطز والجيش الإسلامي الذي معه[٥].

استمرت جيوش المسلمين بالتقدم نحو سهل عين جالوت في الوقت الذي كان يقوم فيه ركن الدين بيبرس بمناوشة القوات المغولية، حتى وصلت جحافل المسلمين إلى عين جالوت المكان الذي أرادوا منه أن يكون أرض هذه المعركة الفاصلة[٦]، أما عين جالوت فهي بلدة فلسطينية

---

(١) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٦.

(٢) الدوري، زكريا: الإدارة الاستراتيجية، ص٦٤؛ الميداني ، عبد الرحمن: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص٧١٢.

(٣) الأشرف صاحب حمص: هو موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي، عمل في خدمة هولاكو لما احتل الشام، ثم عمل بعد ذلك في خدمة الظاهر بيبرس؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢١٨.

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٦٠.

(٥) خطاب، محمود: بين العقيدة والقيادة، ص٣٤٠.

(٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٦؛ انظر الملحق رقم (١٢)، (١٣).

صغيرة تقع بين بيسان ونابلس[١]، وهي كذلك أرض ذات طبيعة سهلية واسعة تحيط بها الجبال التي يمكن من خلالها المناورة والاختباء[٢].

وقبيل بدء المعركة كانت قلوب المسلمين تخفق من شدة الخوف والفزع، وبينما هُمْ في فزعهم، إذ وصلهم رسول صارم الدين أيبك –مملوك الأشرف صاحب حمص–، كان صارم قد أمره أن يجتمع بقطز، ويُهوّن عليه أمر المغول، ويُعرفه بأن يُقوي الميمنة الإسلامية، ثم يخبره أن صارم الدين أيبك، والملك الأشرف في ميسرة جيش المغول، وأنه سينهزم فور ما يحمل المسلمون عليه وعلى صاحبه، ثم أشار على قطز أن يكون اللقاء عند طلوع الشمس[٣].

مما سبق يظهر أن معنويات من خضع للمغول بدأت ترتفع، يبدو أن الناس حين شاهدت جيوش التوحيد تخرج لرد الظلم والضيم بدأت تفيق من هول الصدمة التي زرعت الرعب في قلوبهم وعقولهم زمنًا طويلًا؛ فبدؤوا يحلمون بالحرية بعد أن كانت أمرًا لا يجوز لأحد أن يتمناه، يقول المقريزي: فما إن أشرقت شمس الخامس والعشرين من رمضان لعام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م حتى امتلأ وادي عين جالوت بالناس، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين[٤].

**أحداث المعركة:**

يقول صارم الدين أيبك: طلعت شمس الخامس والعشرين من رمضان عام ٥٦٨هـ/١٢٠٦٠م، وظهرت عساكر الإسلام، وكان أول سنجق[٥] أحمر وأبيض، كانوا يلبسون العُدد المليحة؛ فطلبني كتبغا وقد هاله ما رأى من كثرتهم وحسن ما عليهم، وهم ينحدرون من الجبل، وقال لي يا صارم رنك – كلمة فارسية تعني لون–من هذا؟، قلت رنك سنقر الرومي –أحد أمراء المماليك، ثم ظهرت سناجق صُفر، فقال كتبغا: وهذا رنك من؟، قلت رنك بلبان الرشيدي– أحد أمراء المماليك–، ثم تتابعت بعد ذلك الكتائب، وكتبغا ما زال يسألني في ذهول، حتى صار أيُّ شيء طلع على لساني قلته[٦].

---

(١) الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣، ١٣٥.

(٢) الجزار، هاني: النظام العسكري للمماليك، ص١٥٦.

(٣) الدواداري: كنز الغرر وجامع الغرر، ج٨، ص٥٧.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٦.

(٥) سنجق: يعني كتيبة؛ السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٢٩٣.

(٦) انظر العبادي، أحمد: قيام دولة المماليك الأولى، ص١٦٥–١٦٦.

لقد بدأ الرعب يدخل قلب قائد المغول كتبغا، فهو لم يعتد إلا أن يشاهد جيوش المسلمين خائفين وراء الحصون والقلاع، ينتظرون أن يأتي المغول لقطف رؤوسهم[١].

لكن المؤرخين المعاصرين للغزو المغولي يختلفون في سرد تفاصيل القتال إلى قسمين، أما رواية القسم الأول من المؤرخين فهي –كما يقول الذهبي والدواداري، وغيرهم–: أن طليعة جيش المسلمين اصطدمت بشكل مفاجئ بجيش المغول؛ فاختار ركن الدين بيبرس البندقداري قتالهم قبل وصول باقي الجيش الإسلامي، وبدأ بمناوشتهم؛ ليصغر أمرهم في أعين بقية الجيش، حيث استدرجهم الى عين جالوت، وهناك وافته بقية الكتائب الإسلامية الواحدة تلو الأخرى[٢]. يكمل المقريزي ما بدأه الذهبي والدواداري فيقول: ومع طلوع شمس يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان التقى الجمعان، وفي قلوب المسلمين خوف عظيم من المغول، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء ايذانًا ببدء الهجوم عندها اصطدمت العساكر، اضطربت ميسرة المسلمين فانتفض طرف منها، عند ذلك ألقى قطز خوذته من على رأسه، وصرخ بأعلى صوته: وا إسلاماه وحمل على المغول بنفسه، فأيده الله بنصره وقُتل كتبغا، وقُتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز [٣] وكان مع جيش المغول؛ فانهزم بقية المغول، ومنح الله النصر للمسلمين يقتلون ويأسرون[٤].

أما الرواية الثانية فيرويها الهمذاني، وهي الأكثر شهرة، يقول فيها: قبل تَضَاربِ السيوف والرماح كان سيف الدين قطز –رحمه الله–قد عبّأ الجيش في كمين، وأعدّه خير إعداد، ثم خرج في نفرٍ من خاصته لاستدراج جيش المغول، وبدأ القتال، وتظاهر المسلمين بالهزيمة مكرًا وخديعة؛ فتشجع المغول وحملهم الحماس على تتبع الجيش "المنهزم"؛ لكنّهم وما إن بلغوا موضع الكمين حتى انشق عليهم من ثلاث جهات، وحاصر المسلمون الجيش المغولي بأسره، وبدأ الجميع يقاتل قتالًا مستميتًا، حيث استمر القتال من الفجر حتى منتصف النهار، فلما تيّقن قادة المغول من الهزيمة أشاروا على كتبغا بالهرب، إلا أنه أبى إلا أن يموت في ساحة المعركة مع العز والشرف[٥].

---

(١) السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، ص٢٩٣–٢٩٥.

(٢) انظر الدواداري: كنز الغرر وجامع الغرر، ج٨، ص٤٩؛ انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٦٨٧.

(٣) الملك السعيد: الملك السعيد بن العزيز بن العادل بن أيوب صاحب الصبيبة وبانياس، كان محبوسًا بالشام بعد موت الصالح، وولده توران شاه المعظم، فلما احتل المغول الشام أخرجوه؛ فأصبح معهم يدلهم على عورات المسلمين؛ انظر الدواداري: كنز الغرر وجامع الغرر، ج٨، ص٥١؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢٠٥.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٦؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٦١.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٤–٣١٦.

انتهت معركة عين جالوت بنصر حاسم للإسلام، وهزيمة منكرة للمغول، وانتصر المسلمون، وجاء كتاب المظفر قطز إلى دمشق بالنصر، فطار الناس فرحًا، وقيلت في ذلك الأشعار، والتي كان منها[١]:

هلك الكفر في الشام جميعًا واستجد الإسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الأر وعِ سيف الإسلام عند نهوضه

**أهم الأثار التي ترتبت على انتصار المسلمين:**

١. قضت هذه المعركة، وبشكل نهائي على المعارضة الأيوبية للمماليك، وأعادت الوحدة لمصر والشام، فقد ثبت للقاصي والداني أن المماليك هم حماة الإسلام الجدد[٢].
٢. استعاد الإسلام بسبب هذه الموقعة وضعه الطبيعي كقوة كبيرة ومؤثرة، وفي ذلك يقول الأسقف الغربي "دي ميسنيل":"وهكذا نرى الإسلام الذي أشرفت قوته على الزوال، يسترد مكانته، ويستعيد قوته، ويصبح أشد خطرًا من ذي قبل"[٣].
٣. ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، وهو ما أسهم وبشكل كبير في تحرير بلاد الشام من أيدي المغول، يقول ابن كثير: فما إن جاءت البشارة بالنصر صبيحة يوم الأحد السابِع والعشرين من رمضان، حتى أتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون ويغنمون، ويستفكّون الأسارى من أيدي المغول قهرًا[٤].
٤. أوقف نصر عين جالوت عجلة التوسع المغولي، حيث بدأت الخلافات تدبّ في ذلك البيت الذي كان يسفك الدماء، ويدمر الحضارات[٥].

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، ص٣٩.
(٢) الغامدي، عبد الله: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص١٣٣.
(٣) خطاب، محمود: بين العقيدة والقيادة، ص٣٣٢.
(٤) البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٠٢.
(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣١٧.

٥. كان النصارى وقت احتلال المغول للشام قد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، ونكلوا بهم أعنف تنكيل، فانتهكوا حرماتهم ومقدساتهم؛ فلما أعز الله الإسلام بعين جالوت انتقم منهم المسلمون بالشام أشد الانتقام؛ جزاءً وفاقًا[١].

٦. لعل من نتائج المعركة التي يجب أن يدركها كل جبان خائف هي أن هولاكو ما إنْ سمع بانتصار المسلمين في عين جالوت؛ حتى تمالكه الغضب؛ فاستدعى الناصر يوسف الذي هرب قبل ذلك من سيوفهم، وكان أسيرًا عنده؛ فوبّخهُ وضربه بسهم فقتله[٢]؛ ليصدق قول خليفة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لخالد بن الوليد-رضي الله عنه-: "احرص على الموت؛ توهب لك الحياة"[٣].

---

(١) انظر الدواداري: كنز الغرر وجامع الغرر، ج٨، ص٥٢-٥٣.

(٢) أبو الفداء: طبقات الشافعيين، ص٨٨٠.

(٣) الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، ج٣، ص٦١.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمد الله الذي وفقني إلى إتمام هذا البحث والذي خلصت منه إلى بعض النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج

- تعد حالة التشتت والتناحر التي سادت الأمة الإسلامية في القرن السابع الهجري /السادس عشر الميلادي من أهم العوامل التي ساعدت كثيرًا في تسهيل مهمة غزو المغول للعالم الإسلامي.
- تعتبر الطائفة الإسماعلية الشيعية أبرز عوامل، وأسباب الضعف التي ساعدت في تشرذم الأمة، وضياعها، وضعفها في تلك الحقبة التاريخية.
- بُعد الأمة عن شريعة الله –سبحانه وتعالى–هو أهم أسباب ضعفها.
- تعتبر الروح المعنوية لأيّ أمة هي السلاح الرئيس لها في أية معركة.
- كان للحياة القاسية التي عاشتها قبائل المغول أثر واضح في بناء الشخصية المغولية الصعبة والقاسية.
- تعتبر التنشئة العسكرية عند المغول هي أحد أهم أسباب قوتهم، وشدة بأسهم.
- تعد العقيدة، والأهداف المغولية الاستراتيجية أكبر الدوافع التي جعلت المغول يلجؤون لاستخدام سياسة الرعب في عملياتهم العسكرية، والسياسية.
- يمكن اعتبار العملاء والجواسيس أحد أهم الوسائل التي لجأ لها المغول؛ لتحقيق أهدافهم.
- كان المغول يعنون بشكل كبير في اختيار رسلهم وسفراءهم.
- ترك استخدام سلاح الرعب من قبل المغول على العالم الإسلامي آثارًا جمّة طالت مختلف مجالات الحياة.
- كان للإعداد الديني، والبدني، والعسكري الذي خضع له المماليك دور رئيس في تحقيق النصر في عين جالوت.

ثانيًا: التوصيات

- ضرورة العمل على تفعيل آليات استخدام ومواجهة هذا السلاح على حد سواء لمّا يحمل من خطورة على كلا الصعيدين.

- ضرورة التنبه إلى أن المسلمين أروع، وأفضل من استخدم هذا السلاح، كونهم كانوا يتميزون بمجموعة من الضوابط الدينية والأخلاقية على حد سواء.
- البحث عن طريقة المسلمين في استخدام سلاح الرعب.

الله أسأل أن ينفع بهذا البحث المتواضع الإسلام والمسلمين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# الملاحق

## خانات المغول

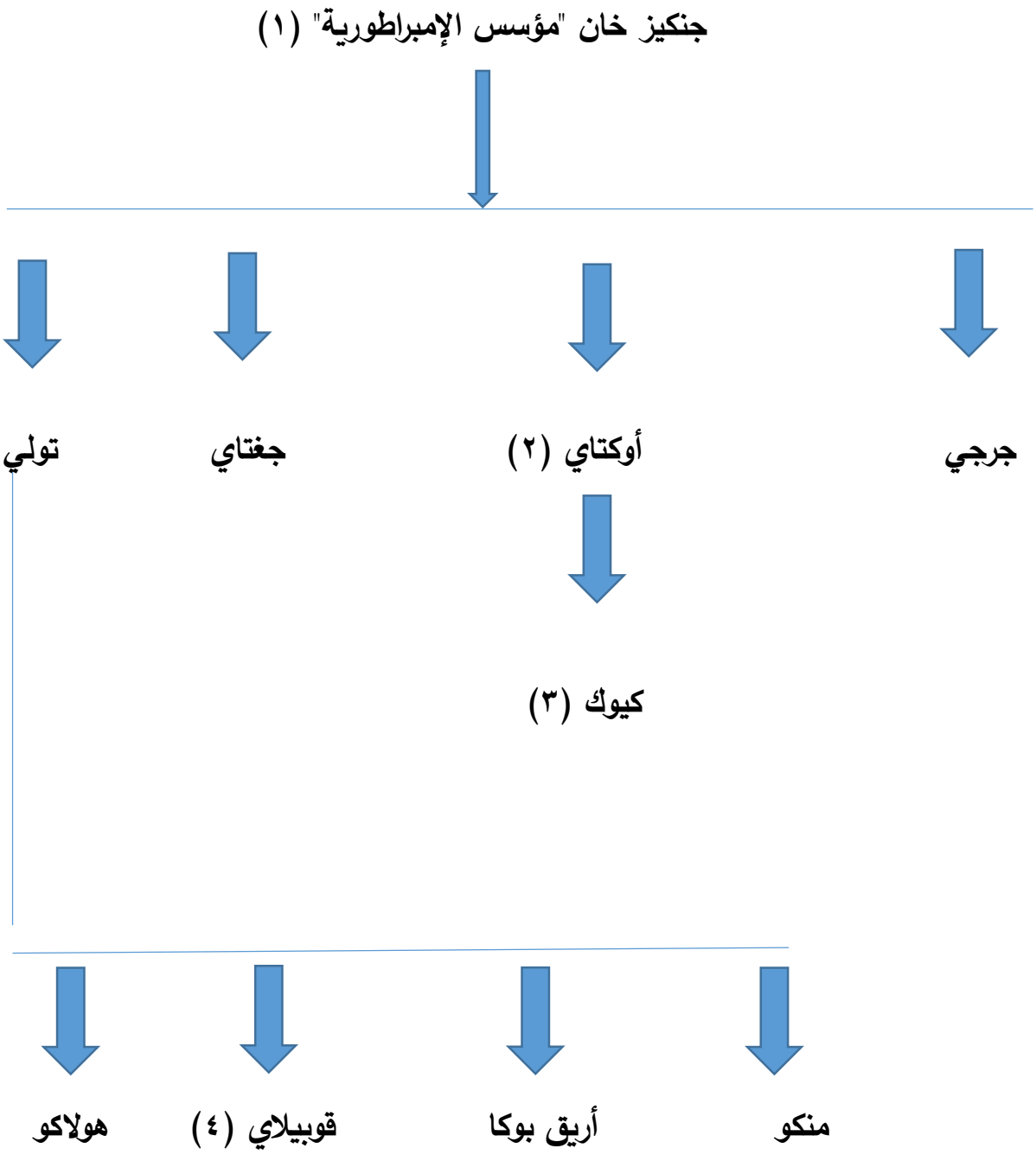


ملخص من كتاب جامع التواريخ للهمذاني

الملحق رقم (١)

## الرسائل المتبادلة بين هولاكو والخليفة العباسي عقب فراغ هولاكو من أمر قلاع الملاحدة سنة٦٥٥هـ/١٢٥٦م

### الرسالة الأولى من هولاكو:

"لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، وطلبًا مدداً من الجند، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند، وكانت آية الطاعة والاتحاد، أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة؛ فلم ترسل إلينا الجند، والتمست العذر، ومهما تكن أسرتك عريقة، وبيتك ذا مجد تليد...

شعر: فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة، يخفى معها نور الشمس الساطعة.

ولابد أن قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام، ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي، منذ عهد جنكيز خان إلى اليوم، والذل الذي حاق بأُسر الخوارزمية، وملوك الديالمة، والأتابكة، وغيرهم، ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة، وذلك بحول الله القديم الدائم، ولم يكن باب بغداد مغلقًا في وجه أي طائفة من تلك الطوائف، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم، فكيف يغلق في وجهنا؟ رغم ما لنا من قدرة وسلطان، ولقد نصحناك من قبل، والآن نقول لك احذر الحقد والخصام، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب، ومع هذا فقد مضى ما مضى؛ فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه، ويحضر لمقابلتنا، وإذا لم يرد الحضور، فليرسل كل من الوزير وسليمان شاه والدواتدار؛ لبلغوه رسلتنا دون زيادة أو نقص، فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نُكِنّ له الحقد، وسنبقي له على دولته وجيشه ورعيته، أما إذا لم يصغ الى النصح، وآثر الخلاف والجدل، فليعبئ الجند، وليعين ساحة القتال؛ فإننا متأهبون لمحاربته، وواقفون له على استعداد، وحينما أقود الجيوش إلى بغداد، مندفعاً بسورة الغضب، فإن لو كنت مختفياً في السماء أو في الأرض...

شعر: فسوف أنزلك من الفلك الدوار، وسألقيك من عليائك إلى أسفل، ولن أدع حيًا في مملكتك...، وسأجعل مدينتك أو إقليمك وأراضيك طعمة للنار.

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك؛ فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله".

## رد الخليفة المستعصم بالله على هولاكو:

"أيها الشاب الحدث!...المتمني قصر العمر، ومن ظنَّ نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مغتراً بيومين من الإقبال، متوهماً أنَّ أمره قضاء مبرم وأمر محكم، لماذا تطلب مني شيئاً لن تجده عندي.

شعر:

كيف يمكن أن تتحكم بالنجم وتقيده، بالرأي والجيش والسلاح.

ألَّا ليعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب، ومن الملوك إلى الشحاذين، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي، إنني حين أشير بجمع الشتات، سأبدأ بحسم الأمور في إيران، ثم أتوجه إلى بلاد توران، وأضع كل شخص في موضعه، وعندئذ سيصر وجه الأرض جميعه مملوءً بالقلق والاضطراب، غير أني لا أريد الحقد والخصام، ولا أن أشتري ضرر الناس وإيذائهم، كما أنني لا أبغي من وراء تردد الجيوش، أن تلهج ألسنة الرعية بالقدح أو المدح؛ خصوصاً وأنني مع الخاقان وهولاكو خان، قلب واحد ولسان واحد، وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم؛ فاسلك طريق الحب وعد إلى خرسان، وان كنت تريد الحرب والقتال...

شعر:

فلا تتوان لحظة ولا تعتذر، إذا استقر رأيك على الحرب.

إن لي ألوفاً مؤلفة من الفرسان والرجالة، وهم متأهبون للقتال.

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان.

## رد هولاكو على رسالة الخليفة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م:

"إن الله الأزلي رفع جنكيز خان، ومنحنا وجه الأرض كله من الشرق إلى الغرب؛ فكل من سار معنا وأطاعنا، وإستقام قلبه ولسانه، تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه، ومن يفكر بالخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك،...لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية، فلم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وإن في أذنيك وقراً، فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت

عن طريق آبائك وأجدادك، وإذن فعليك أن تكون مستعداً للحرب والقتال، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى، فتلك هي مشيئة الله العظيم".

**من كتاب جامع التواريخ للهمذاني، ج٢، ق١، ص٢٦٧-٢٧١.**

**الملحق رقم (٢)**

## بعض القصائد الشعرية التي قيلت بعد سقوط بغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م

قال شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ:

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك ... ولوعة في مجال الصدر تعتركُ
بالرغم لا بالرّضا مني فراقهم ... ساروا ولم أدر أيّ الأرض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بُعدهم ... أشر عليَّ فإن الرأي مشترك
عزّ اللقاء وضاقت دونه حيلي ... فالقلب في أمره حيران مرتبك
يُعوقني عن مرادي ما بُليت به ... كما يعوق جناحي طائر شرك
أروم صبراً وقلبي لا يطاوعني ... وكيف ينهض من خانه الوَرِك
إن كنت فاقد إلفٍ نُحْ عليه معي ... فإننا كلّنا في ذاك نشترك
يا نكبة ما نجا من صرفها أحدٌ ... من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عزّ في أحبتنا ... أيدي الأعادي فلا أبقوا ولا تركوا
لو أن ما نالهم يُفدى فديتهم ... بمهجتي وبما أصبحت أمتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم ... معطلاً، ودم الإسلام منسفك
والشرك منجبر والملك منكسر ... والحق مستتر والستر منتهك
ذاك السواد شباب الدهر كان وقد ... شاب الزمان ودال الفاحم الحِلكُ
كانوا وكانت حماة العز تحرسهم ... من الأعادي فلما نكبوا فُتِكوا
أين الذين على كل الورى حكموا ... أين الذين اقتنوا أين الأُلى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار أسألها ... عنهم وعمّا حووا فيها وما ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم ال ... خالي: نعم ها هنا كانوا وقدر هلكوا
لا تحسبوا الدمع ماءً في الخدود جرى ... وإنما هي روح الصب ينسبك

**ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٩.**

## الملحق رقم (٣)

**وقال أيضاً يذكر خراب بغداد وقتل الخليفة سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م:**

عندي لأجل فراقكم آلام ... فإلامَ أعذل فيكم وأُلام
من كان مثلي للحبيب مفارقاً ... لا تعذلوه فالكلام كلام
نِعمَ المساعد دمعي الجاري على ... خدي إلا أنه نمام
ويذيب روحي نوح كل حمامة ... فكأنما نوح الحمام حِمَامُ
إن كنت مثلي للأحبة فاقداً ... أو في فؤادك لوعة وغرام
قف في ديار الظاعنين ونادها ... يا دار ما صنعت بك الأيام
أعرضت عنك لأنهم مذ أعرضوا ... لم يبق فيك بشاشة تستام
يا دار أين الساكنون وأين ذي ... اك البهاء وذلك الإعظام
يا دار أين زمان ربعك مونقاً ... وشعارك الإجلال والإكرام
يا دار مذ أفلت نجومك عمنا ... والله من بعد الضياء ظلام
فلبعدهم قَرُبَ الردى ولفقدهم ... فُقِدَ الهُدى وتزلزل الإسلام
فمتى قبلت من الأعادي ساكناً ... بعد الأحبة لا سقاك غمام
يا سادتي أما الفؤادُ فشيق ... قلق وأما أدمعي فسجام
والدار مذ عدمت جمال وجوهكم ... لم يبق في ذاك المقامِ مقام
لا حظ فيها للعيون وليس لل ... أقدام في عرصاتها إقدام
وحياتكم إني على عهد الهوى ... باقٍ ولم يخفر لدي ذمام
فدمي حلال إن أردت سواكم ... والعيش بعدكم عليّ حرام
يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم ... نارٌ لها بين الضلوع ضرام
لا كتبكم تأتي ولا أخباركم ... تُروى ولا تدنيكم الأحلام
نغصتم الدنيا عليَّ وكلما ... جد النوى لعبت بي الأسقام
ولقيتُ من صرف الزمان وجورهِ ... ما لم تُخيلهُ لي الأوهام
يا ليت شعري كيف حال أحبتي ... وبأي أرض خيموا وأقاموا
مالي أنيس غير بيت قاله ... صب رمته من الفراق سهام
والله ما اخترت الفراق وإنما ... حكمت علي بذلك الأيام

**صلاح الدين: فوات الوفيات، ج٢، ص٢٣٢.**

**الملحق رقم (٤)**

## رسائل هولاكو إلى الملك الناصر صاحب دمشق عقب سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م

### الرسالة الأولى:

"يعلم السلطان الملك الناصر طال بقاؤه أنه لما توجهنا إلى العراق وخرج إلينا جنودهم، فقتلناهم بسيف الله، ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدموها، فكان قصارى كلامهم سببًا لهلاك نفوس تستحق الإهلاك، وأما ما كان من صاحب البلدة فإنه خرج إلى خدمتنا، ودخل تحت عبوديتنا، فسألناه عن أشياء كذبنا فيها، فاستحق الإعدام، وكان كذبه ظاهرًا، ووجدوا ما عملوا حاضراً، أجب ملك البسيطة ولا تقولن: قلاعي المانعات، ورجالي المقاتلات، وقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت إليك هاربة، وإلى جانبك لائذة:

أين المفر ولا مفر لهارب ... ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماؤها أرضًا، وطولها عرضًا، والسلام".

**ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤٧١**

**الملحق رقم (٥)**

**الرسالة الثانية:**

"خدمة ملك ناصر طال عمره أما بعد: فإنا فتحنا بغداد، واستأصلنا ملكها ومُلكها، وكان قد ظن، وقد فتنته الأموال، ولم ينافس في الرجال، أن ملكه يبقى على ذلك الحال، وقد علا ذكره ونمى قدره، فخسف في الكمال بدره:

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالًا إذا قيل تم

ونحن في طلب الازدياد، على ممر الآباد، فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وأبدِ ما في نفسك: إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره، وتنل بره، واسعَ إليه بأموالك ورجالك، ولا تعوق رسلنا، والسلام.

**الرسالة الثالثة:**

"أما بعد، فنحن جنود الله، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر، وطغى وتكبر، وبأمر الله ما ائتمر، إن عوتب تنمر، وإن روجع استمر، ونحن قد أهلكنا البلاد، وأبدنا العباد، وقتلنا النسوان والأولاد فيا أيها الباقون، أنتم بمن مضى لاحقون، ويا أيها الغافلون أنتم إليها تساقون، ونحن جيوش الهلكة، لا جيوش الملكة مقصودنا الإنتقام، وملكنا لا يرام، ونزيلنا لا يضام، وعدلنا في مكنا قد اشتهر، ومن سيوفنا أين المفر.

أين المفر ولا مفر لهارب ... ولنا البسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الأسود، وأصبحت ... في قبضتي الأمراء والخلفاء

ونحن إليكم صائرون، ولكم الهرب وعلينا الطلب:

ستعلم ليلى أي دين تداينت؟ ... وأي غريم بالتقاضي غريمها؟

دمرنا البلاد، وأيتمنا الأولاد، وأهلكنا العباد وأذقناهم العذاب، وجعلنا عظيمهم صغيراً، وأميرهم أسيراً، تحسبون أنكم منا ناجون أو متخلصّون، وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون، وقد أعذر من أنذر".

**السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٣-٣٣٤.**

## الملحق رقم (٦)

## رسالة هولاكو إلى قطز سلطان مصر

## سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م

"من ملك الْمُلُوك شرقاً وغرباً القان الْأَعْظَم بِاسْمِك اللَّهُمَّ باسط الأَرْض وَرَافِع السَّمَاء يعلم الْملك المظفر قطز الَّذِي هُوَ من جنس المماليك الَّذين هربوا من سُيُوفنَا إِلَى هَذَا الإقليم يتنعمون بإنعامه وَيقْتلُونَ من كَانَ بسلطانه بعد ذَلِك. يعلم الْملك المظفر قطز وَسَائر أُمَرَاء دولته وَأهل مَمْلَكَته بالديار المصرية وَمَا حولهَا من الْأَعْمَال أَنا نَحن جند الله فِي أرضه خلقنَا من سخطه وسلطنا على من حل بِهِ غَضَبه. فلكم بِجَمِيعِ الْبِلَاد مُعْتَبر وَعَن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم وَأَسْلمُوا إِلَيْنَا أَمركُم قبل أَن ينْكَشف الغطاء فتندموا وَيعود عَلَيْكُم الْخَطَأ. فَنحْن مَا نرحم من بَكَى وَلَا نرق لمن شكا وَقد سَمِعْتُمْ أننا قد فتحنا الْبِلَاد وَطَهّرْنَا الأَرْض من الْفساد وقتلنا مُعظم الْبِلَاد فَعَلَيْكُم بالهرب وعلينا بِالطَّلَبِ. فَأَي أَرض تأويكم وَأي طَرِيق تنجيكم وَأي بِلَاد تحميكم. فَمَا من سُيُوفنَا خلاص وَلَا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لَا تمنع والعساكر لقتالنا لَا تَنْفَع ومطركم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام ولا تعفون عند الكلام وخنتم العهود والأيمان وَفَشَا فِيكُم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان فاليوم تُجْزونَ عَذَاب الْهون بِمَا كُنْتُم تستكبرون فِي الأَرْض بِغَيْر الْحق وَبِمَا كُنْتُم تفسقون وَسَيعْلَمُ الَّذين ظلمُوا أَي مُنْقَلب يَنْقَلِبُون فَمن طلب حربنا نَدم وَمن قصد أماننا سلم. فَإِن أَنْتُم لشرطنا ولأمرنا أطعتم فلكم مَا لنا وَعَلَيْكُم مَا علينا وَإِن خالفتم هلكتم فَلَا تهلكوا نفوسكم بِأَيْدِيكُمْ. فقد أعذر من أنذر وَقد ثَبت عنْدكُمْ أَن نَحن الْكَفَرَة وَقد ثَبت عندنَا أَنكُمْ الفجرة وَقد سلطنا عَلَيْكُم من لَهُ الْأُمُور الْمقدرَة وَالْأَحْكَام الْمُدبرَة فكثيركم عندنَا قَلِيل وعزيزكم عندنَا ذليل وَبِغير الإهانة لملوككم ما عندنَا سَبِيل. فَلَا تطلوا الْخطاب وأسرعوا برد الْجَواب قبل أَن تضرم الْحَرْب نارها وترمى نحوكم شِرَارهَا فَلَا تَجِدُونَ منا جاهاً وَلَا عزا وَلَا كَافِيا وَلَا حرْزا. وتدهون منا بأعظم داهية وتصبح بِلَادكُمْ مِنْكُم خَالِيَة. فقد أنصفنا إِذْ راسلناكم وأيقظناكم إِذْ حذرناكم فَمَا بَقِي لنا مقصد سواكم، وَالسَّلَام علينا وَعَلَيْكُم وعَلى من أطَاع الْهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الْملك الْأَعْلَى.

ألا قل لمصرها هلاون قد أتى بحد سيوف تنتضى وبواتر

يصير أعز القوم منا أذلة ويلحق أطفالاً لهم بالأكابر

**المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٥١٥**

## الملحق رقم(١٢)

**ظهور مملكة التتار سنة ٦٠٣هـ**

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (٧)**

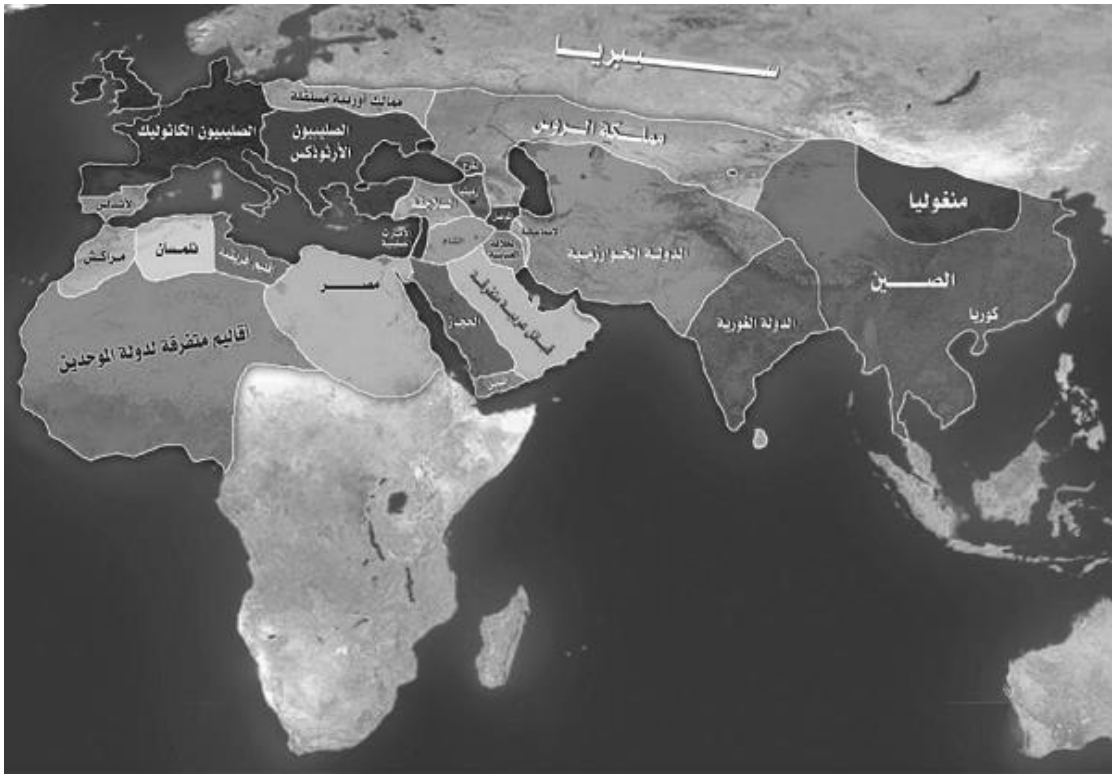


**الدويلات و الإمارات الإسلامية في أوائل القرن السابع الهجري**

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (٨)**

**حركة هروب الزعيم الخوارزمي علاء الدين محمد بن خوارزم شاه**

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (٩)**

**جيوش الإمبراطورية المغولية المشتركة في حصار بغداد**

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (١٠)**

**إمبراطورية المغول في أقصى اتساع لها بعد احتلال الشام**

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (١١)**

**معركة عين جالوت٦٥٨هـ/١٢٦٠م**

**أبو غضيب، هاني: أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر، ص٦٧.**

**الملحق رقم (١٢)**

حركة الجيوش الإسلامية داخل فلسطين حتى "عين جالوت"

**راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**

**الملحق رقم (١٣)**

# المصادر والمراجع

## أولاً: القرآن الكريم

## ثانياً: المصادر العربية


**ابن أبي أصيبعة**، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين (ت: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

١. تفسير القرآن العظيم، ج١٣، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز– السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج١، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة –بيروت.

**ابن أبي حاتم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت: ٣٢٧هـ/٩٣٨م):

**ابن أبي شيبة**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م):

٣. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ج٧، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

**ابن الأبار**، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م):

٤. التكملة لكتاب الصلة، ج٤، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

**ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٥. الكامل في التاريخ، ج١٠، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

**ابن الأزرق**، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، المعروف بشمس الدين الغرناطي (ت: ٨٩٦هـ/١٤٩٠م):

٦. بدائع السلك في طبائع الملك، ج١، تحقيق علي سامي النشار، وزارة الإعلام – العراق، ط١.

**ابن تغري**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، وزارة الثقافة والإرشاد القومي–دار الكتب–مصر.
٨. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٧، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ج٢، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية – القاهرة.

**ابن الجوزي**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

١٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٩، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١١. زاد المسير في علم التفسير، ج٤، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

**ابن الطقطقي**، محمد بن علي بن طباطبا (ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

١٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ج١، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي–بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

**ابن العبري**، أبو الفرج غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن هارون بن توما الملطي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

١٣. تاريخ مختصر الدول، ج١، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق–بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

**ابن العماد**، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١١، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

**ابن العمراني**، محمد بن علي بن محمد (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م):

١٥. الإنباء في تاريخ الخلفاء، ج١، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية–القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

**ابن الفوطي**، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي(ت:٧٢٣هـ/١٣٢٢م):

١٦. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ج١، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

**ابن القلانسي**، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي (ت:٥٥٥هـ/١١٥٩م):

١٧. تاريخ دمشق، ج١، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر–دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

**ابن المستوفي**، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي (ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م):

١٨. تاريخ إربل، ج٢، تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر–العراق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

**ابن الموصلي**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي شمس الدين (ت: ٧٧٤هـ/١٣٤٣م):

١٩. حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، ج١، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن–الرياض.

**ابن الوردي**، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٢٠. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ج١، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية–القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

**ابن الوردي**، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٢١. تاريخ ابن الوردي، ج٢، دار الكتب العلمية –لبنان–بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

**ابن بطوطة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٢٢. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٥، أكاديمية المملكة المغربية–الرباط.

**ابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):

٢٣. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٦، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

**ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٤م):

٢٤. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ج١، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

**ابن حجر**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

**ابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

٢٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٥، مكتبة الخانجي–القاهرة.

٢٧. جوامع السيرة النبوية، ج١، دار الكتب العلمية –بيروت.

**ابن حيان**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ/١٣٥٣م):

٢٨. البحر المحيط في التفسير، ج١٠، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

**ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ/٩٢٣م):

٢٩. صحيح ابن خزيمة، ج٤، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي–بيروت.

**ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٣٠. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر= تاريخ ابن خلدون، ج١، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر–بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

**ابن خلكان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٣١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٧، تحقيق إحسان عباس، دار صادر –بيروت.

**ابن شمائل،** عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفيّ الدين (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٣٢. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٣، دار الجيل-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

**ابن عربشاه،** أبو محمد أحمد بن محمد (ت: ٨٥٤هـ/١٤٥٠م):

٣٣. فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ج١، تحقيق أيمن عبد الجابر البحيري، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٤. عجائب المقدور في أخبار تيمور، ج١، طبعة كلكتا، ١٢٣٢هـ/١٨١٧م.

**ابن عساكر،** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م):

٣٥. تاريخ دمشق، ج٨٠، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

**ابن عطية،** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ/١١٤٧م):

٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٦، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

**المراكشي:** عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):

٣٧. المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ج١، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

**ابن قيم الجوزية،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م):

٣٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

**ابن كثير،** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٤٣م):

٣٩. البداية والنهاية، ج٢١، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٠. طبقات الشافعيين، ج١، تحقيق أنور الباز، دار الوفاء -المنصورة، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

**ابن منظور**، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م):

٤١. لسان العرب، ج١٥، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

**ابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م):

٤٢. السيرة النبوية لابن هشام، ج٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده –مصر، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

**ابن واصل**، جمال الدين محمد بن سالم الحموي (ت:٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

٤٣. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، تحقيق حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب– القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م.

**أبو الفداء**، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٤٤. المختصر في أخبار البشر، ج٤، المطبعة الحسينية المصرية، ط١.

**أبو حيان التوحيدي**، علي بن محمد بن العباس (ت:٤٠٠هـ/١٠٠٩م):

٤٥. البصائر والذخائر، ج١٠، تحقيق وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

**أبو شامة**، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م):

٤٦. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٥، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤٧. المذيل على الروضتين (تاريخ الدولة الأيوبية ما بعد صلاح الدين حتى دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس)، ج٢، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية–دمشق، ودار البشائر الإسلامية–بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

**الأزدي**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ/٩٣٢م):

٤٨. جمهرة اللغة، ج٣، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

**الأسفراييني**، طاهر بن محمد، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ/١٠٧٨م):

٤٩. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ج١، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

**الأسفراييني**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٥٠. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ج١، دار الآفاق الجديدة –بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م.

**ابن سعيد**، ابن سعيد الأندلسي:

٥١. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج١، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى– عمان –الأردن.

**بحرق**، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي (ت:٩٣٠هـ/١٥٢٣م):

٥٢. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ج١، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج –جدة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

**البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م):

٥٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ج٩، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

**البشاري**، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٥٤. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، مكتبة مدبولي القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

**البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٣م):

٥٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٤، عالم الكتب–بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

٥٦. المسالك والممالك، ج٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

**الديار بكري**، حسين بن محمد بن الحسن الديار (ت: ٩٦٦هـ/١٥٥٨م):

٥٧. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج٢، دار صادر – بيروت.

**بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م):

٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٤٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

**البيضاوي**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٥٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

**الثعلبي**، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٥م):

٦٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج١٠، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

**الجرجاني**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف **(ت:٨١٦هـ/١٤١٣م)**:

٦١. التعريفات، ج١، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

**الحموي**، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي):

٦٢. التاريخ المنصوري = تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، ج١، تحقيق أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز / مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق.

**الحموي**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٦٣. معجم البلدان، ج٧، دار صادر–بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٦٤. معجم الأدباء، ج٧، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

**الكلاعي**، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (ت: ٦٣٤هـ/١٢٢٨م):

٦٥. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–والثلاثة الخلفاء، ج٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

**الحميري**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٦٦. صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، ج١، تحقيق لافي بروفنصال، دار الجيل، بيروت –لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٧. الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت –طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٠م.

**الخازن**، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت: ٧٤١هـ/١٣٤٠م):

٦٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٤، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

**الداوودي**، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م):

٦٩. طبقات المفسرين، ج٢، دار الكتب العلمية –بيروت.

**النعيمي**، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ/١٥٢٠م):

٧٠. الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

**الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (مولده ووفاته غير معروف):

٧١. كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، تحقيق أولرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني–القاهرة، ١٩٧١م/١٣٩٠هـ.

**الدينوري**، أبو بكر أحمد بن مروان (ت: ٣٣٣هـ/٩٤٤م):

٧٢. المجالسة وجواهر العلم، ج١٠، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية–البحرين، ودار ابن حزم–لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

**الدينوري**، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

٧٣. الأخبار الطوال، ج١، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي–عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

**الذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٧٤. العبر في خبر من غبر، ج٤، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٥، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م/١٤٢٣هـ.

٧٦. سير أعلام النبلاء، ج١٨، دار الحديث–القاهرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٦هـ.

**ابن فارس**، أبو حسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

٧٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ج١، نشر محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

**الرازي**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ/١٢٦٧م):

٧٨. مختار الصحاح، ج١، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ.

**الرازي**، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

٧٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج٣٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

**الزركشي**، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ (ت: ٨٩٤هـ/١٤٨٨م):

٨٠. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ج١، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة–تونس.

**الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م):

٨١. أساس البلاغة، ج٢، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

**سبط ابن العجمي**، أبو ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

٨٢. كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج٢، دار القلم–حلب، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

**السبكي**، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت: ٧٥٦هـ/١٣٥٤م):

٨٣. فتاوي السبكي، ج٢، دار المعارف للنشر والتوزيع.

**السبكي**، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م):

٨٤. طبقات الشافعية الكبرى، ج١٠، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

**السخاوي**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

٨٥. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٩٩٣م/١٤١٣هـ.

**السمرقندي**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣هـ/٩٨٣م):

٨٦. بحر العلوم، ج٣، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٩٩٣م/١٤١٣هـ.

**السمعاني**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الشافعي (ت: ٤٨٩هـ/١٠٩٥م):

٨٧. تفسير القرآن، ج٦، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن–الرياض–السعودية، ط١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

**السمهودي**، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م):

٨٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج٤، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨٩. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، تحقيق محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، قام بطباعته حبيب محمود أحمد.

**السيوطي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت:٩١١هـ/١٥٠٥م):

٩٠. تاريخ الخلفاء، ج١، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ.
٩١. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية –عيسى البابي الحلبي وشركاه –مصر، ط١، ١٩٦٧م/١٣٨٦هـ.
٩٢. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ج١، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب– القاهرة–مصر، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ.
٩٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م/١٤١٨هـ.

**الشابشتي**، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٣٨٨هـ/٩٩٧م):

٩٤. الديارات، ج١، تحقيق كوركيس عوّاد، دار الرائد العربي–بيروت–لبنان، ط٣، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.

**الصالحي**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي(ت: ٩٤٢هـ/١٥٣٥م):

٩٥. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ج١٢، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م/١٤١٣هـ.

**الادريسي**، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

٩٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، عالم الكتب–بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

**الشيزري**، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م):

٩٧. الاعتبار، ج١، تحقيق فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية–مصر.

**الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٩٨. الوافي بالوفيات، ج٢٩، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

**ابن شاكر**، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

٩٩. فوات الوفيات، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط١، ١٩٧٤م/١٣٩٣هـ.

**الضبي**، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م):

١٠٠.بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج١، دار الكتاب العربي–القاهرة، ١٩٦٧م/١٣٨٦هـ.

**الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م):

١٠١.تاريخ الرسل والملوك، ج١١، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
١٠٢.جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

**الطرسوسي**، نجم الدين الحنفي إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم (ت: ٧٥٨هـ/١٣٥٦م):
١٠٣.تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ج١، تحقيق عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢.

**الطرطوشي**، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري المالكي (ت: ٥٢٠هـ/١١٢٥م):
١٠٤.سراج الملوك، ج١، ١٨٧٢م/١٢٨٨هـ.

**العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):
١٠٥.الفروق اللغوية، ج١، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع–القاهرة–مصر.

**العصامي**، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م):
١٠٦.سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٩٨م/١٤١٨هـ.

**العمري**، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):
١٠٧.التعريف بالمصطلح الشريف، ج١، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ.
١٠٨.مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢٧، المجمع الثقافي–أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

**الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ/١١١١م):
١٠٩.فضائح الباطنية، ج١، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت.

**الفاسي**، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م):
١١٠.شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج٢، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

**الفراهيدي**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م):
١١١.كتاب العين، ج٨، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

**الفسوي**، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي أبو يوسف (ت: ٢٧٧هـ/٨٩٠م):

١١٢. المعرفة والتاريخ، ج٣، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

**الفيروز آبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م):

١١٣. القاموس المحيط، ج١، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-لبنان-بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م/١٤٢٥هـ.

١١٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٦، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة.

**المناوي**، زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ/١٦٢١م):

١١٥. التوقيف على مهمات التعاريف، ج١، عالم الكتب-القاهرة، ١٩٩٠م/١٤١٠هـ.

**القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م):

١١٦. الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م/١٣٨٣هـ.

**القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

١١٧. آثار البلاد وأخبار العباد، ج١، دار صادر– بيروت.

**القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ/١٠٧٢م):

١١٨. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ج٣، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، ط٣.

**القفطي**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

١١٩. إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية -بيروت، ط١، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ.

**القلقشندي**، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٢٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١٥، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٢١. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١٣، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت-الكويت، ط٢، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ.

**مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م):**

١٢٢.حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، تحقيق السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر–القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

**مجهول (ت: في القرن الثالث الهجري/الثامن والتاسع الميلادي):**

١٢٣.أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، ج١، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت.

**مجهول،** م.م الرمزي:

١٢٤.تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، مخطوط، ج٢، ط١، المطبعة الكريمية والحسية.

**المراكشي،** عبد الواحد بن علي التميمي، محيي الدين (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):

١٢٥.المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ج١، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ط١، ٢٠٠٦م/١٤٢٦هـ.

**مرتضى،** محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

١٢٦.تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

**المرسي،** أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

١٢٧.المحكم والمحيط الأعظم، ج١١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

**المسعودي،** أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

١٢٨.مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، تحقيق أسعد داغر، دار الهجرة – قم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

**مسكويه،** أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٢٩م):

١٢٩.تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٧، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش–طهران، ط٢، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

**مسلم،** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤هـ):

١٣٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم=صحيح مسلم، ج٥، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

**مقاتل**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ/٧٦٧م):

١٣١. تفسير مقاتل بن سليمان، ج٥، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث–بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

**المقريزي**، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

١٣٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٨، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – لبنان–بيروت، ط١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

١٣٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٣٤. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١.

**النسوي**، شهاب الدين محمد بن أحمد بن علي (ت:٦٤٠هـ/١٢٤٢م):

١٣٥. سيرة السلطان جلال الدين منكُبرتي، ج١، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، مصر–القاهرة، ١٩٥٣م/١٣٧٢هـ.

**النويري**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

١٣٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، دار الكتب والوثائق القومية–القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

**الهروي**، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت: ٦١١هـ/١٢١٤م):

١٣٧. الإشارات إلى معرفة الزيارات، ج١، مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

**الواحدي**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت: ٤٦٨هـ/١٠٧٥م):

١٣٨. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٤، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٤م/١٤١٤هـ.

**الواقدي**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني (ت:٢٠٧هـ/٨٢٢م):
١٣٩. الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، ج١، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط١، ١٩٩٠م/١٤١٠هـ.
**اليافعي**، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م):
١٤٠.مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٤، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

**اليعقوبي**، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م):
١٤١.البلدان، ج١، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
**اليونيني**، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت: ٧٢٦ هـ/١٣٢٥م):
١٤٢.ذيل مرآة الزمان، ج٤، دار الكتاب الإسلامي–القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م/١٤١٢هـ.

## ثالثاً: المراجع العربية

**ابن الشاطئ**، سمير فراج:
١٤٣.دولة المماليك، ج١، مركز الراية للنشر والإعلام–القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
**أبو غضيب**، هاني خيرو:
**١٤٤**.أطلس تاريخ العالم القديم والمعاصر، المكتبة الجامعية–نابلس/عمان، ٢٠٠٤م.
**أبي زهرة**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م):
١٤٥.زهرة التفاسير، ج١٠، دار الفكر العربي–القاهرة.
١٤٦.خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، ج٣، دار الفكر العربي –القاهرة، ١٤٢٥هـ.
**آل ياسين**، محمد مفيد:
١٤٧.دراسات في تاريخ العراق في العهد الإيلخاني (عهد السيطرة المغولية ٦٥٦–٧٣٧هـ/١٢٥٧–١٣٣٦م)، ج١، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
**بدر**، مصطفى طه:
١٤٨.محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب–مصر، ط٢، ١٩٩٩م.
**الجبرتي**، عبد الرحمن بن حسن (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢١م):
١٤٩. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، دار الجليل–بيروت.

**الجديعي**، محمد بن يحيى:

١٥٠. الاستراتيجية العسكرية في ضوء القرآن الكريم، ج١.

**الجزار**، هاني فخري عطية:

١٥١. النظام العسكري في دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، ج١، رسالة ماجستير-الجامعة الإسلامية-غزة، ٢٠٠٧م.

**الحاج حسن**، حسين:

١٥٢. النظم الإسلامية، ج١، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع-لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

**حطيط**، أحمد:

١٥٣. حروب المغول (دراسة الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيز خان حتى عهد تيمورلنك)، ج١، دار الفكر اللبناني-بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

**حماد**، فتحي أحمد محمد:

١٥٤. العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهد الزنكي والأيوبي، ج١، رسالة ماجستير-الجامعة الإسلامية-غزة-فلسطين، ٢٠١١م.

**حمدي**، حافظ أحمد:

١٥٥. الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، ج١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

**الحملاوي**، عمر العرباوي (ت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م):

١٥٦. التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، ج١، مطبعة الوراقة العصرية، ١٩٨٤م.

**الخالدي**، إسماعيل عبد العزيز:

١٥٧. العالم الإسلامي والغزو المغولي، ج١، مكتبة الفلاح-الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

**الختاتنة**، سامي محسن جبريل:

١٥٨. علم النفس العسكري، ج١، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع-عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٣م.

**خطاب**، محمود شيت(ت:١٤١٩هـ/١٩٩٨م):

١٥٩. بين العقيدة والقيادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ٢٠٠٢م.

١٦٠. الرسول القائد، ج١، دار الفكر - بيروت، ط٦، ١٤٢٢هـ.

**الخطيب**، عبد الكريم يونس (ت: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م):

١٦١. التفسير القرآني للقرآن، ج١٦، دار الفكر العربي-القاهرة.

**الخلف**، سالم بن عبد الله:

١٦٢. نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج٢، عمادة البحث العلمي -الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٣م.

**الدوري**، زكريا مطلك:

١٦٣. الإدارة الاستراتيجية (مفاهيم وعمليات وحالات دراسية)، ج١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع–عمان، الطبعة العربية، ٢٠٠٥م.

**الزاملي**، يوسف إبراهيم:

١٦٤. معاملة المغول للأسرى المسلمين، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية–المجلد الثاني والعشرون–العدد الأول، ٢٠١٤م.

**الزركلي**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٥م):

١٦٥. الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

**الزغلول**، عماد عبد الرحيم:

١٦٦. علم النفس العسكري، ج١، دار الشروق للنشر والتوزيع–عمان–الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

**السديري**، توفيق بن عبد العزيز:

١٦٧. الإسلام والدستور، ج١، ط١، ١٤٢٥هـ.

**السرجاني**، راغب:

١٦٨. قصة التتار من البداية الى عين جالوت، ج١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع–القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

**السلاوي**، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م):

١٦٩. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٣، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب –الدار البيضاء.

**سميسم**، حميدة مهدي:

١٧٠. الحرب النفسية، ج١، الدار الثقافية للنشر–القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

**شبارو**، عصام محمد:

١٧١. السلاطين المماليك في المشرق العربي (معالم دورهم السياسي والحضاري ٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

**شُرَّاب**، محمد بن محمد حسن:

١٧٢. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ج١، دار القلم، الدار الشامية–دمشق–بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

**الشوبكي**، محمود يوسف:

١٧٣. مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب، ج١، بحث مقدم إلى مؤتمر" الإسلام والتحديات المعاصرة"-كلية أصول الدين-الجامعة الإسلامية-غزة-٢٠٠٧م.

**الشيخ**، ناصر بن علي عائض حسن:

١٧٤. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ج٣، مكتبة الرشد-المملكة العربية السعودية-الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م.

**الصاوي**، الصاوي محمد:

١٧٥. هولاكو الأمير السفاح، ج١، مكتبة النافذة-الجيزة، ط١، ٢٠١٢م.

**صفا**، محمد أسد الله:

١٧٦. جنكيز خان الوحشي النابغة(١١٦٧-١٢٢٧م)، ج١، دار النفائس-بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

**الصلابي**، علي محمد محمد:

١٧٧. دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ج١، الدار العالمية للكتب والنشر-الجيزة-مصر، ط١، ٢٠١١م.

١٧٨. الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م.

١٧٩. السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ج١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة-مصر، ط١، ٢٠٠٩م.

١٨٠. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-شخصيته وعصره، ج١، دار التوزيع والنشر الإسلامية-القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

**الصياد**، فؤاد عبد المعطي:

١٨١. المغول في التاريخ، ج١، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع-بيروت.

**ضيف**، شوقي:

١٨٢. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، دار المعارف-مصر، ط١٢، ١٩٧٣م.

**طقوش**، محمد سهيل:

١٨٣. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ج١، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨٤. تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، ج١، دار النفائس-بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

**الطنطاوي**، عبد الله بن محمود:

١٨٥. اللواء الركن محمود شيت خطاب المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه، ج١، دار القلم – دمشق، والدار الشامية –بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

**العبادي**، أحمد مختار:

١٨٦. قيام دولة المماليك الأول في مصر والشام، ج١، مؤسسة شباب الجامعة–الإسكندرية، ١٩٨٢م.

**عثمان**، حامد محمد حامد:

١٨٧. الاستراتيجية العسكرية في ضوء القرآن الكريم، ج١، جامعة الطائف–السعودية.

**العريني**، السيد الباز:

١٨٨. المغول، ج١، دار النهضة العربية–بيروت، ١٩٨٦م.

**عصفور**، محمد أبو المحاسن:

١٨٩. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج١، دار النهضة العربية –بيروت–لبنان، ط٢.

**عكاشة**، ثروت:

١٩٠. إعصار من الشرق (جنكيز خان)، ج١، دار الشروق–بيروت، ط٥، ١٩٩٢م.

**العلي**، صالح أحمد:

١٩١. العراق في التاريخ، ج١، دار الحرية للطباعة والنشر–بغداد، ط١، ١٩٨٣م.

**العمري**، نادية شريف:

١٩٢. أضواء على الثقافة الإسلامية، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٩، ٢٠٠١م.

**العودة**، سليمان بن حمد بن عبد الله:

١٩٣. كيف دخل التتر بلاد المسلمين، ج١، دار طيبة، ط٣، ٢٠٠١م.

**الغامدي**، عبد سعيد محمد:

١٩٤. جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ج١، رسالة دكتوراه–جامعة أم القرى–السعودية، ١٤٠٧هـ.

**الغزالي**، محمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م):

١٩٥. فقه السيرة، ج١، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.

**الغزي**، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت: ١٣٥١هـ/١٩٣٢م):

١٩٦. نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣، دار القلم–حلب، ١٤١٩هـ.

**فريد**، محمد أحمد فريد (ت: ١٣٣٨هـ/١٩١٩م):

١٩٧.تاريخ الدولة العلية العثمانية، ج١، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس–بيروت–لبنان، ط١، ١٩٨١م.

**فهمي،** عبد السلام عبد العزيز:

١٩٨.تاريخ الدولة المغولية في إيران، ج١، دار المعارف–القاهرة، ١٩٨١م.

**قاسم،** قاسم عبده:

١٩٩.في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ج١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية–مصر، ٢٠٠٥م.

٢٠٠.عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي، ج١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية–مصر، ط١، ١٩٩٨م.

**قطب،** سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م):

٢٠١.في ظلال القرآن، ج٦، دار الشروق –بيروت–القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

**القونوي،** أبو الفضل محمد بن عبد الله أحمد:

٢٠٢.المهول من نبأ من خدم المغول، مكتبة الرشد–الرياض، ط١، ٢٠١١م.

**الكتاني،** محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م):

٢٠٣.نظام الحكومة النبوية، ج٢، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم–بيروت، ط٢.

**كرد علي،** محمد بن عبد الرزاق بن محمد (ت: ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م):

٢٠٤.خطط الشام، ج٦، مكتبة النوري–دمشق، ط٣، ١٩٨٣م.

**محفوظ،** محمد جمال الدين:

٢٠٥. العسكرية في الإسلام، ج١، دار المعارف–القاهرة، ١٩٩٤م.

**محمد،** هيثم عبد السلام:

٢٠٦.مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ج١، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

**محمدين،** محمد، والفراء، طه:

٢٠٧.المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ج١، دار المريخ، ط٤.

**المخلف،** محمد بن مخلف بن صالح:

٢٠٨.الحرب النفسية في صدر الإسلام (العهد المدني)، ج١، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٠٩هـ.

**المراغي،** أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ/١٩٥١م):

٢٠٩. تفسير المراغي، ج٣٠، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده–مصر، ط١، ١٩٤٦م.

**الميداني**، عبد الرحمن بن حسن حبنكة (ت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م):

٢١٠. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، والاستشراق، والاستعمار، ج١، دار القلم – دمشق، ط٨، ٢٠٠٠م.

**النجار**، فهمي:

٢١١. الحرب النفسية (أضواء إسلامية)، ج١، سلسلة الرسائل الجامعية (٤٠)، دار الفضيلة– الرياض–السعودية، ط١، ٢٠٠٥م.

**نوفل**، أحمد:

٢١٢. الحرب النفسية، ج٣، دار الفرقان–الأردن، ط٣، ١٩٨٩م.

**هلال**، عادل إسماعيل محمد:

٢١٣. العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ج١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٧م.

**الهندي**، محمد حميد الله الحيدر آبادي (ت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م):

٢١٤. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ج١، دار النفائس–بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ.

**وافي**، علي عبد الواحد:

٢١٥. علم اللغة، ج١، نهضة مصر للطباعة والنشر–مصر، ط١، ١٩٤٠م.

**وشاح**، غسان محمود:

٢١٦. موقف الشيعة من الغزو المغولي للعراق، ج١، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٧م.

## رابعاً: المصادر المترجمة

**الجوزجاني**، أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (ت:٦٩٨هـ/١٢٩٨م):

٢١٧. طبقات ناصري، ج٢، ترجمة عفاف السيد زيدان، ملكه علي التركي، المركز القومي للترجمة–القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

**الجويني**، علاء الدين عطا الملك بن بهاء الدين محمد (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٢١٨.تاريخ فاتح العالم (جهازكشاي)، ج٣، تحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٧م.

**الطوسي**، الخواجة الحسن بن علي بن إسحاق، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك (ت: ٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

٢١٩.سياست نامة (سير الملوك)، ج١، ترجمة وتحقيق يوسف حسين بكار، دار الثقافة – قطر، ط٢، ١٤٠٧م.

**الهمذاني**، رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة (ت:٧١٨هـ/١٣١٨م):

٢٢٠.جامع التواريخ، تاريخ المغول، المجلد الثاني–الجزء الأول: تاريخ هولاكو، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية–القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٢١.جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن الى تيمور قاآن، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، ويحيى الخشاب، دار النهضة العربية–مصر، ط١، ١٩٨٣م.

## Abstract

Horror weapon considered one of the most important weapons in the past and in the present time too. It was one of the most ancient and destructive weapon during all times. People realized its importance early so when Mongols established their state by Genghis Khan he ordered his leaders to spread horror and panic in all parts of the world. They used all ways and procedures either psychologically or military, they committed Unprecedented massacres and crimes which allowed them to open forts, dams and boarders. They occupied most if Arab countries easily because thinking of fighting and resisting Mongols was a catastrophe till Allah sent the great Muslim leader Qutuz who prepared his army well to beat them in a great epic called ( ein jalout) which returned dignity and prestige back to Muslims and to remain a great lesson for al l nations and generations to learn from.